صور ومشاهد من الحضارة الاسلامية

نصوص منتخبة من امهات الكتب العربية

الجزء الاول

تاليف
عبدالقادر الخلادي

نشر
دار الكتب العربية
الرباط

صور ومشاهد

من الحضارة الإسلامية

منتخبات أدبية

الجزء الاول

تأليف :

عبد القادر الخلادي

مفتش بوزارة التربية الوطنية

* * *

نشر وتوزيع :

دار الكتب العربية

الرباط

اهـداء

اهدي هذا الكتاب

لاصدقائي أساتذة اللغة العربية ، ذوي القلوب الصافية والضمائر الحية ، تقديراً لايمانهم الصادق بقيمة التراث الاسلامي ، ولاهتمامهم الواعي بدراسته وتدريسه بعقول مبتدعة منظمة متطورة .

كما اهديه

لابنائي واخواني قدماء تلامذة ثانوية مولاي يوسف الرباطية ، حيث تعلمت وعلمت ، تذكاراً لما شاهدته فيهم من تحمس للسان العرب ولما كان ، ولازال ، يربطني وإياهم من أواصر التفاهم والاخاء .

الرباط في رجب 1381
دسمبر 1961

الجزء الأول

فهرس المواضيع

الفصل الاول

الحكومة (2)

الفصل الثانى

السفارات والوفود

الفصل الثالث

الوعظ والنهى عن المنكر

الفصل الرابع

الحروب

الفصل الخامس

بعد الحروب

50) حسن الاستعطاف	(عفيفى عبد الله - كتاب المرأة العربية)
51) عقد صلح	(شكيب أرسلان - من كتاب الحلل السندسية)
52) فك الاسارى أيام الصليبيين	(أسامة بن منقذ - كتاب الاعتبار)
53) رسم امان لحج بيت المقدس	(القلقشندى - صبح الاعشى)
54) غنائم باردة فى سردانية	(ابن عبد الحكم - فتوح افريقية والاندلس)
55) رجل مسالم	(ابن خلكان - وفيات الاعيان)

الباب الثالث

العمـــارة

الفصل الأول

العواصم والمدن والبلدان

56) مصر وخيراتها	(السيوطى - حسن المحاضرة)
57) مسجد دمشق وسوقها	(ابن فضل الله وابن بطوطة ـ رحلة)
58) بخارى	(ياقوت - معجم البلدان)
59) دعاية للوطن	(الاصبهانى - الاغانى)
60) البصرة	(ياقوت - معجم البلدان)
61) بغداد	(ابن الطقطقى - الفخرى)
62) تلمسان	(المقرى - نفح الطيب)
63) فاس فى عهد الموحدين	(ابن أبى زرع - الانيس المطرب)
64) قرطبة	(شكيب أرسلان - الحلل السندسية)
65) الذ العز ماكان فى الوطن	(شكيب أرسلان - الحلل السندسية)

الفصل الثانى

المنتزهات والقصور

66) قصر البديع بمراكش	(الافرانى - نزهة الحادى)
67) مجلس ذى النون وبحيرتاقصره	(ابن بسام - الدخيرة)
68) قبة من زجاج	(المقرى - نفح الطيب)
69) بركة الزئبق	(المقريزى - الخطط)

الفصل الثالث

المصالح العامة

الفصل الرابع

سكان البلاد

الباب الرابع

الحياة الفكرية

الفصل الأول

طلب العلم

الفصل الثاني

الكتب والمكاتب

الفصل الثالث

المناظرات ومجالس الآداب

الفصل الرابع

الاحتفاء برجال العلم والادب

الفصل الخامس

الاطباء والصيادلة

130) تجربة طبية كيماوية (المسعودى - مروج الذهب)
131) اختبار المتوكل لطبيبه (ابو الفرج الملطى - مجانى الادب)
132) المعالجة بالطرب (ابن القفطى - أخبار العلماء)
133) ملاحظة طبية لطيفة (ابن القفطى - أخبار العلماء)
134) اطباء فى البيمارستان (ابن ابى اصيبعة - عيون الأنباء)
135) الاعتناء بمعالجة المسجونين (ابن القفطى - اخبار العلماء)
136) امتحان الصيادلة (ابن القفطى - أخبار العلماء)

الفصل السادس

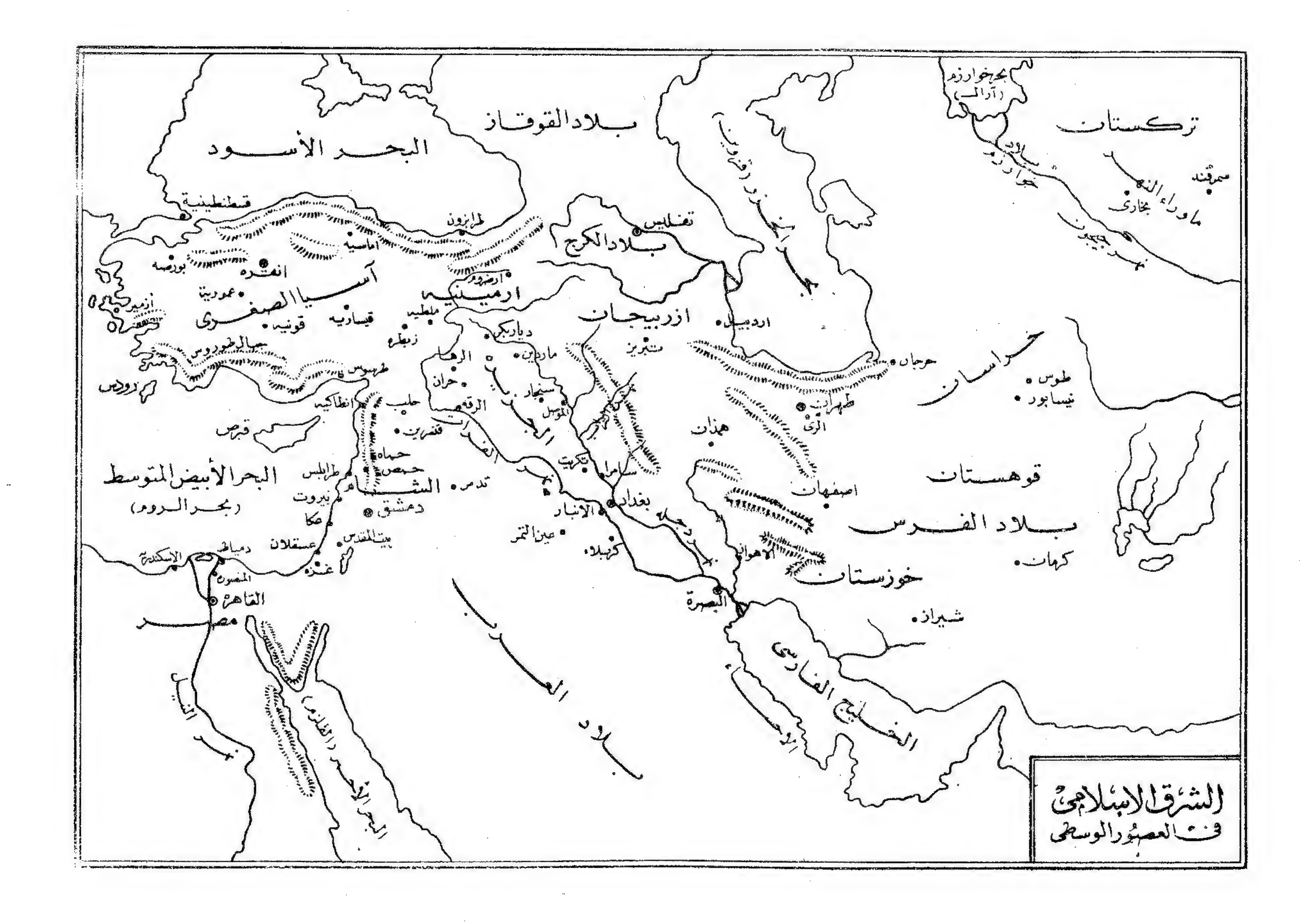
العلوم

137) عالم مخترع (المقرى - نفح الطيب)
138) التشريح (ابن ابى اصيبعة - عيون الانباء)
139) معمل كيمائى (ابن بسام - الدخيرة)
140) النباتات والادوية المفردة (ابن ابى اصيبعة - عيون الانباء)
141) الفلسفة (عبد الواحد المراكشى - المعجب)
142) الجغرافيا (الادريسى - نزهة المشتاق)
143) الزلازل (ابن سيناء - الشفاء)
144) بناء مرصد (ابن القفطى - أخبار العلماء)
145) فكرة صائبة تحققت فى زماننا (الف ليلة وليلة)

الفصل السابع

- الفنون -

146) مباراة بين مصورين (المقريزى - الخطط)
147) قلم الحبر « ستيلو » (القاضى النعمان - المجالس والمسامرات مخطوط)
148) المقصورة والمنبر « الاتوماتكيان » (الحلل الموشية - مؤلفه مجهول)
149) شماسيات مسجد دمشق (ابن جبير - رحلة)
150) مأدبة طريفة فى دار ظريفة (الحصرى - ذيل زهرات الأدب)



الشرق الاسلامي
في العصور الوسطى
البحر الأسود
بلاد القوقاز
تركستان
بحر خوارزم
(آرال)
سمرقند
ما وراء النهر
بخارى
قسطنطينية
طرابزون
اماسية
انقره
بورصه
عمورية
آسيا الصغرى
قيساريه
قونيه
ازمير
رودس
قبرص
تفليس
بلاد الكرج
ارضروم
ارمينية
ملطية
زبطرة
ازربيجان
اردبيل
تبريز
ديار بكر
ماردين
الرها
حران
الرقة
سنجار
الموصل
تكريت
سامرا
بغداد
الانبار
عين التمر
كربلاء
البصرة
خراسان
جرجان
طوس
نيسابور
الري
همذان
اصفهان
قوهستان
بلاد الفرس
كرمان
خوزستان
الاهواز
شيراز
الخليج الفارسي
بلاد العرب
البحر الأبيض المتوسط
(بحر الروم)
انطاكية
حلب
قنسرين
حماه
حمص
طرابلس
الشام
تدمر
بيروت
دمشق
عكا
عسقلان
غزة
بيت المقدس
دمياط
الإسكندرية
المنصورة
القاهرة
مصر
النيل

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جعل الغاية من بعثته الشريفة تتميم مكارم الاخلاق ، ورفع شأن العلم حتى جعل تعليم الكتابة فدية للاسير ، واعتبر تعليم آيات من القرآن الكريم مهر زوجة للفقير ... وبعد فلا يخفى أن المسلمين لم يضيعوا رعاية ما ورثوه عن الامم الاخرى كالفرس ، واليونان والهند والصين من علوم وآداب وفنون . فانهم لم يقتصروا على حفظ ذلك التراث ، بل أضافوا اليه ثمرات عبقريتهم ، وزبدة تجاربهم ، فأمكن بذلك للحضارة استئناف سيرها الى الامام ، واستعادة نشاطها لفائدة الانام .

فان الباحث فى زاوية واحدة من زوايا صرح الحضارة البشرية ـ وهى زاوية التأليف ـ ليرى أن المصنفات التى حبرها المسلمون لا يحصى عددها الا الله . وليذكر على سبيل المثال أن أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى كان يكتب فى كل يوم أربعين صفحة وذلك مدة أربعين سنة ، وأن الوزير الصاحب ابن عباد كان يحمل ما يحتاج اليه من كتب ، أثناء أسفاره ، على أربعين بعيرا ، وأن خزانة الحكم بن عبد الرحمن الناصر كانت تحتوى على أكثر من أربعمائة الف مجلد . ورغم صروف الدهر وأيدى العتاة ، فان الذخيرة الادبية العربية ـ ولا أعنى الا ما ألف في عهد ازدهار الحضارة الاسلامية ـ لا زالت ثمينة يستفيد منها المطلعون ويفيدون .

نعم لقد أخلص المسلمون فى خدمة الانسانية اخلاصا قدره رجال الغرب المنصفون ، ولذا تراهم قد اعتنوا منذ القديم ، ولا زالوا يعتنون ،

بالكتب العربية ، ينقحون ويعلقون ويطبعون ويترجمـون ، جـازى الله المحسنين منهم أحسن الجزاء .

ولكن مما يؤسف له ، أن غالب شبابنا ، وان كانوا مقتنعين بفضـل العلماء المسلمين ، يجهلون تفاصيل حياتهم ومحتويات مصنفاتهم وفى بعض الاحيان حتى أسماء الافذاذ منهم ، وذلك اما لان المظان ليست فى متنـاول أيديهم واما لانها خارجة عن دائرة مواد امتحاناتهم .

ولقد اخترت هذه القطع لاعطاء صورة مصغرة لجـانب مـن التراث الاسلامى ، فاصطفيتها تفيض حيوية لاستمالة النفوس ، ورتبتها ترتيبـا قد يكسب المطلع على فصل من فصول هذا الكتاب رأيا فى مظهر من مظاهر التمدن الاسلامى .

فليست اذن الغاية من اختيار هذه القطع اضافة كتاب نكت ونوادر الى جملة المؤلفات الموضوعة فى هذا النـوع ، ولا انشـاء بحث جديد فـى الحضارة الاسلامية واطوارها بطريقة تفصيلية ، بل المقصود منه هو ابـراز صور بعض ساسة الدول وقادة الفكر ـ فى العالم الاسلامى ـ وهم قائمون بأشغالهم ، واظهار طوائف من العملة والصناع والفنانين وهم دائبون فى أعمالهم ، وتجلية مشاهد بعض المنازل والمنتزهات وهى آهلـة بالغـادين والرائحين والجادين والهازلين .

ولقد جمعت هذه الصور والمشاهد من مصادر كثيرة ، معتمدا تنويع الاساليب الانشائية ، ونظمتها لاجعل منها شبه شريط سينمائى تتجلى فيه بعض مظاهر الحضارة الاسلامية بكيفية حية بليغة تشويقا الى مطـالعة مـا فصل فى تواريخ التمدن الاسلامـى التـى لا يقبل عليهـا غـالبا الا مـن يريدون التخصص .

وأرى أن هذه المنتخبات زهرات مختلفة الالوان والمغارس ، ولكنهـا كلها طيبة الروائح ، جعلت منها باقة يضعها كل طالب على منضدته ، فتكون معزية له عند الكروب ، ومشجعة وقت الخطوب ، ومغرية لـدى الكـلال ،

ومسلية حين الملال .

هذا ولم أحدد ميدان البحث لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان ، لان الحضارة الاسلامية ، وان اختلفت مظاهرها مبنية على اعتقادات أساسية وتقاليد متماثلة .

وحيث أن هذه المنتخبات موضوعة قبل كل شيء لابناء المدارس الثانوية فانى قسمتها الى أبواب وفصول فى الحياة الدينية والسياسية فالاجتماعية فالعقلية فالاقتصادية ، وصدرت كل فصل بلمحة تاريخية أتبعتها بذكر مراجع للاستيعاب فى درس الموضوع ، ثم ذيلت كل قطعة بشرح المفردات الصعبة وبتراجم موجزة للرجال الذين جاء ذكرهم فيها ، ثم ختمت الكل بكلمة فى التعريف بالمؤلفين المنقول عنهم .

وخلاصة القول فما هذا الكتاب الا آلة يظهر قيمتها من يحسن استعمالها وهو ككل عمل بشرى لا يخلو من نقص « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ... وعلى الله قصد السبيل والحمد لله رب العالمين » .

المؤلف

البـــاب الاول

الحياة الدينية

اكتفينا ، فى هذا الفصل ، بالاشارة الى بعض الحوادث التى وقعت فى عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لنعطـى صـورة بسيطـة ، وفكـرة وجيزة ، عن المحن التى لقيها المسلمون الاولون ، فى بداية البعثة الشريفة ، وأتبعنا ذلك بقطعتين فى الصيام ، وفى الزهد ، وباخرى فـى الطوائـف الاسلامية ، لنظهر التطور فى فهم حقيقة الاسلام ، ولقد ارجينا الكـلام عـن الاعياد ، والمواسم الدينية ، الى فصل خاص ، واعرضنا عمدا عن ذكر المذاهب والمسائل الفقهية والفتن التى أحدثها التعصب .

المراجـــع

1) رسالة ابى زيد القيروانى

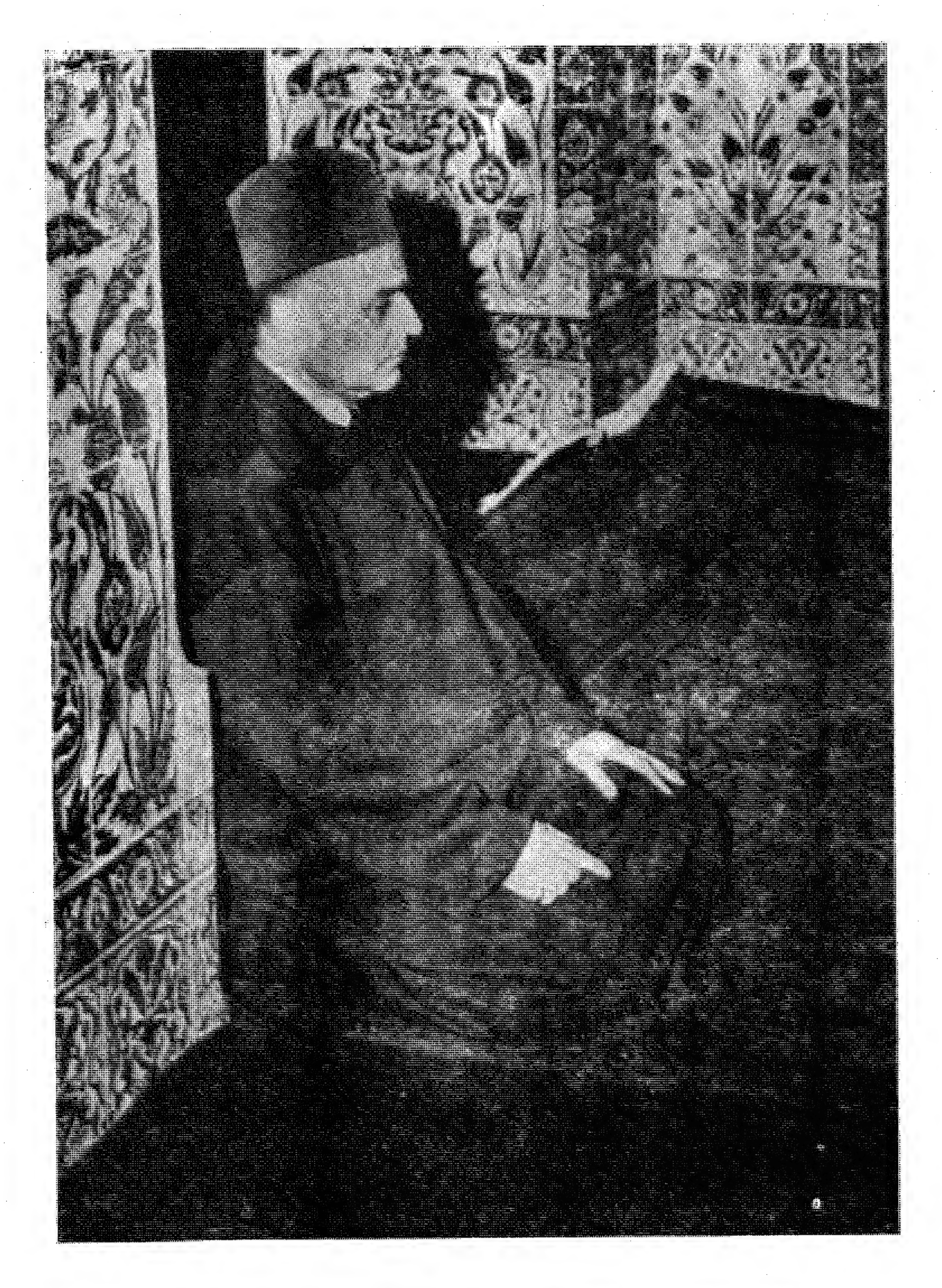
2) فجر الاسلام وضحى الاسلام ج 3 لاحمد امين

3) العقيدة والشريعة فى الاسلام : تاليف جولدزيهر ــ ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى ؛ الدكتور على حسن عبد القادر والاستاذ عبد العزيز عبد الحـق

4) العدالة الاجتماعية فى الاسلام للسيد قطب

5) الاسلام دين عام خالد لفريد وجدى .

6) وجهة الاسلام لجب وماسنيون تعريب ابو ريدة



محمد الخامس ، رحمه الله ، يؤدى الصلاة فى مسجد واشنطون

أ) آيات من الذكر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

«قلْ تعالَوْا أتلُ ما حرَّمَ ربُّكمْ عليكُمْ: ألاَّ تُشركُوا بهِ شيْئاً وبالوالِدَيْن إحسانًا. ولاَ تقتُلوا أوْلادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ نحْنُ نرزُقُكُمْ وإيَّاهمْ. ولا تقْرَبُوا الفَواحِشَ مَا ظَهرَ منْها ومَا بطَنَ، ولاَ تقْتُلوا النَّفْسَ الَّتِي حرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ ذلِكُمْ وصَّاكُمْ بهِ لعلَّكُمْ تعْقِلُونَ. ولا تقْرَبُوا مالَ اليَتيمِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ حتَّى يبْلُغَ أشُدَّهُ. وأوْفُوا الكَيْلَ والميزانَ بالْقِسْطِ. لا نُكلِّفُ نفْساً إلاَّ وُسْعهَا. وإذا قُلْتُمْ فَاعْدِلوا ولوْ كانَ ذا قُرْبى وبِعَهْدِ اللهِ أوْفُوا ذلِكُمْ وصَّاكُمْ بهِ لعلَّكُمْ تذَكَّرُون. وأنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقيماً فاتَّبِعُوهُ: ولاَ تتَّبِعُوا السُّبُلَ، فتفرَّقَ بكُمْ عنْ سَبيلِهِ ذلِكُمْ وصَّاكُمْ بهِ لعلَّكُمْ تتَّقُون».

سورة الانعام

ب) أحاديث شريفة

1 - قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلى خَمْسٍ: شَهادَةِ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وَصوْمِ رَمضَانَ، وَحجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرامِ لِمن اسْتَطَاعَ إليْهِ سبِيلاً.

2- وَقَالَ : إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ (1) ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ ، وَلَا تَحَسَّسُوا (2) ، وَلَا تَجَسَّسُوا (3) ، وَلَا تَنَاجَشُوا (4) ، وَلَا تَحَاسَدُوا (5) ، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا (6) ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا .

---

1) اياكم والظن = احذروا اتهام الناس بغير دليل
2) ولا تحسسوا = لا تستخدموا حواسكم للوقوف على سيئات الناس
3) لا تجسسوا = لا تبحثوا عن المستور من عيوب الغير
4) لا تناجشوا = لا يزد بعضكم فى ثمن شىء وهو لا يريد شراءه وانما يقصد ان يوقع غيره فى خسارة .
5) لا تحاسدوا = لا يتمن احدكم زوال نعمة اخيه
6) لا تدابروا = لا يهجر احدكم الآخر

فائـدة لغويـة =

التام : مصدر التام حذفت منه تاء التعويض تخفيفا والمصدر القياسي هو التامة اصله التوام .

2) مؤامرة قريش ضد النبي
صلى الله عليه وسلم

اجتمع نفر من قريش عند الوليد بن المغيرة 1) ، وكان ذَا سِنٍّ فيهم ، فقال لهم : يامعشرَ قُرَيش ، قد حضر هذا الموسمُ ، وان وفودَ العرب ستقدَم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم 2) هذا ؛ فأُجمعوا به رأيـا واحـدا ؛ ولا تختلفوا فَيُكَذِّبَ بعضكم بعضا . قالوا : فأنت ياابا عبدِ شمس فَقُل ، وَأَقِم لَنَارَأياً نقول فيه . قال : بل أنتم فقولوا أسمعْ. قَالوا : نقول كَاهِن. قال:والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكُهَّانَ ، فما هو بِزَمْزَمَة 3) الكاهن ولا سَجْعه 4) قالوا : فنقول : مجنونٌ ؛ قال : وما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعر فناه؛ فما هو بخَنْقِهِ ولا تَخَالُجه 5) وَلاَ وَسْوَسَتِه 6) ؛ قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال: ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشِّعْرَ كلَّه رَجَزَه وَهَزَجَه 7) وقَرِيضَه 8) ومقبوضَه 9)

---

1) الوليد بن المغيرة = بن عبد الله بن عمر المخزومـي كان مـن أعـداء النبى مات فى السنة الاولى من الهجرة .

2) موسم = اى موسم الحج ؛ صاحبكم = اى النبى صلى الله عليه وسلم .

3) زمزم = تمتم وتكلم من غير ان يستعمل لسانه ولا شفته بل هو صوت يديره فى خيشومه وحلقه لا يفهم .

4) سجع = من عادة الكهان ان يستعملوا السجع فى خطبهم ليؤثروا فـى الأسماع والنفوس .

5) تخالج = الارتعاد والاضطراب

6) وسوسة = من وسوس الرجل : اصيب فى عقلـه وتكلـم بغير نظـام

7) الرجز والهزج = بحران من بحور الشعر .

8) القريض = المقروض : من قـرض الشعـر قالـه الـقريض = الشعـر

9) المقبوض = القبض : زحاف يتضمن حذف خـامس التفعيلـة متـى كـان ساكنا مثلا فعولن تصير فعول .

ومبسوطه IO) ؛ فما هو بالشعر . قالوا : فنقول : سَاحِرٌ . قال : ما هو بساحر ؛ قد رأينا السُّحَّارَ وَسِحرَهم ؛ فما هو بِنَفْثِهِ II) ولا عَقْدِهِ . قالوا : فما تقول يا ابا عبد شمس ؟ قال : واللّه إنَ لِقَوْلِهِ لَحلاَوَةً ؛ وإِنَّ أصلَهُ لَعِذْقٌ I2) ؛ وان فرعه لَجَنَاةٌ I3) وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عُرف أنه باطلٌ ؛ وان أقربَ القول فيه لأن تقولوا ساحر؛ جاء بِقَوْلٍ هو سحر ، يفرق به بين المرء وابنه ، وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ؛ فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمرّ بهم أحدٌ الا حذروه إيّاه ، وذكروا له أمره . وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذِكْرُه فى بلاد العرب كلّها .

الاكتفاء ج I ؛ ص I35

IO) المبسوط = ربما هو الذى لا قبض فيه

II) نفث = نفخ ونفثه : سحره ؛ ونفث في قلبي = اى ألهمني
وقال تعالى = « ومن شر النفاثات في العقد » اى من شر الجماعات السواحر التى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها اى ينفخن مع ريق فيحدث مرض للمسحور .

I2) عذق = عنقود من التمر او العنب .

I3) جناة = ما يجني من الثمار

3) امرأة تستعذب المحنة في سبيل عقيدتها

قال ابن عبّاس [1] : وقع فى قلب امّ شَرِيك غُزَيّةَ بنتِ جَابِرٍ بن حَكِيمٍ القُرشيةِ العامريّة الاسلامُ ، وهى بمكة . فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرّاً فتدعوهن وترغّبهن فى الاسلامِ حتّى ظهر أمرُها لأهـلِ مَكّـةَ . فأخذوها وقالوا لها : « لولا قومُك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنرُدُّك اليهم . قالت: فحملونى على بَعيرٍ ليس تحتى شيء مُوَطّأ ولا غيرُه . ثم تركونى ثلاثاً لا يُطعموننى ولا يَسقوننى . فما أتتْ عليّ ثلاثٌ حتّى ما فى الارض شيءٌ [2] . فنزلوا منزلا . وكانوا اذا نزلوا وَقَفُونى فى الشّمس واستظلوا ، وحبسوا عنى الطعامَ والشّرابَ حتى يرتحلوا . فبينما أنا كذلك اذا باثر شيء بَارِدٍ وقع على منه ، ثمّ عاد فتناولتُه ، فاذا هو دَلْوُ مَاءٍ ؛ فشربتُ منه قليـلا . ثـم نُزِع منى ، ثم عاد ، فتناولتُه ، فشربتُ منه قليلا . ثم رُفِـعَ . ثم عـاد أيضـا. فصَنَعَ ذلك مرارا حتى رَوِيتُ ؛ ثم أفضـتُ [3] ، سَائِـرَه عـلى جسـدى وثيابى . فلمّا أستيقظـوا اذاهـم بأثر المـاء ، ورأونـى حسنةَ الهيئـة . فقَالوا لى : أنحللتِ فأخذتِ سِقَاءنَا فشربتِ منه ؟ فقلت : لا والله مـا فعلـتُ ذلك . كان من الأمر كذا وكذا . فقالوا ان كُنتِ صادقةً فدِينُكِ خيـرٌ مـن ديننا. فنظروا الى الأَسْقِيَةِ فوجدوها كما تركوها فأسلَمُوا لِسَاعَتِهم » .

الاصابة ج 1 ص 248

عن كتاب « المرأة العربية » لعبد الله عفيفى .

---

1) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب اى ابن عم النبى صلعم . وعليه يدور علم اهل مكة فى التفسير والفقه توفى بالطائف سنة 68 هـ .

2) حتى ما فى الارض شيء = اى حتى صرت لا ارى مـا عـلى الارض لشـدة الجوع والعطش .

3) افضت = افرغـت

4) المسلمون الاولون في الحبشة

هجرَ نَفَرٌ من المسلمين الى الحَبَشَة ؛ فبعث قريشٌ رجلين منهم الى النَّجَاشي 1) ، ليسالاه ان يُسَلِّمَهم اليهما .. فأرسل النجاشى الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دعا أَسَاقِفَتَه 2) فنشروا مَصَاحِفَهم حوله . فلما جاؤوا سألهم ؛ فقال لهم : « ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل؟ »فكان الذى كلمه، جعفر بن أبى طالب3). فقال له :«أيها الملك،كُنا قوماً أهلَ جَاهلية، نعبد الأصنامَ ، وناكل المِيتَةَ ، ونأتى الفواحِشَ ، ونقطع الأرحام ، ونُسِيءُ الجِوَارَ . ويأكل القويُّ منا الضعيفَ . فكنا على ذلك حتى بعث اللهُ الينا رسولا منّا ، نعرف نَسَبَهُ وصِدْقه وأمانته 4) وعَفَافَه 5) ؛ فدعانا الى الله لنُوَحِّدَه وَنَعبُدَه ، ونخلعَ ما كُنا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ؛ وأمرنا بصِدْقِ الحديث وأداء الامانة ، وصِلَة الرَّحِم، وحُسْنِ الجوار ، والكَفِّ عن المحَارِم والدِّمَاء. ونهانا عن الفواحش وقول الزُّور ، وأكل مال اليتيم وَقَذْفِ المحْصَنَات 6) ؛ وامرنا أن

---

1) النجاشي : ملك الحبشة وقد اسلم فيما بعد

2) اساقفته ج اسقف من رجال الدين المسيحى وهو فوق القسيس ودون المطران

3) جعفر بن أبى طالب : هو اخو سيدنا على كرم الله وجهه سكن بعد رجوعه من الحبشة المدينة وقتل بمؤتة فى الشام سنة ثمان من الهجرة .

4) امانة = ضد خيانة وكان النبى يعرف عند قريش بالامين قبل بعثته الشريفة .

5) عفاف = من عف اى كف وامتنع عما لا يحل او لا يجمل فهو عفيف وعف

6) المحصنات = حصنت المرأة كانت عفيفة فهى حصان ؛ وأحصن المرأة = زوجها . أحصنت المرأة تزوجت ، فهى محصنة ؛ وأحصن الرجل تزوّج فهو مُحْصِن .

نعبد الله لا نشرك به شيئا ؛ وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ؛ فصدّقناه وآمنا به ... فَعَدَا قومُنَا علينا ، فعذّبونا ، وفَتَنُونَا عن ديننا ليرُدُّونا الى عِبادة الأوثان ... فلما قهرونا وظلمونا ، وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، وأخترنَاك على من سواك ، وَرَغِبنا في جوارك ، ورجونا الا نُظّلَمَ عندك ايها الملك» . فقال له النجاشي: «هل معك مِمّا جاءَ به عن الله من شيء ؟ » فقال له جعفر : نعم ؛ قال :فأقرأه عَلَيّ . فقرأ عليه صَدْراً من كهيعص 7) فبكى والله النجاشي حتى أَخضلَ لِحْيَتَهَ ، وبكت أسَاقِفَتُه حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا مَاتَلاَ عليهم . فقال له النجاشي ؛ إن هَذَا والذى جاء به مُوسَى ليخرج من مِشْكَاة 8) واحدة . انطلقا 9) فوالله لا اسلمهم اليكما أبــدا . »

الاكتفاء ص 390

7) كهيعص = يلفظ بكل حرف على حدة وهى اول سورة مريم .
8) مشكاة = الكوة غير النافذة ؛ يوضع فيها مصباح ؛ وهنا = منبع
9) انطلقا = يخاطب هنا النجاشى الرسولين اللذين بعثهما قريش .

5) الاعرابي الصائم والحجاج

قال سعيد بن ابى عُرْوَةَ [1] : نزل الحجّاج [2] فى طريق مكّةَ ؛ فقال لحاجبه : انظر أعرابيا يتغذى معى وأسأَلُه عن بعض الامر . فنظر الحاجب فرأى أعرابيا بين شَمْلَتين ؛ فقال : أجِبِ الأميرَ . فأتاه فقال له الحجّاج : ادنُ فَتَغَدَّ معى . فقال : إنه دعانى مَن هو أولى منك فأجبتُه . قال : ومن هو ؟ قال : الله عز وجل ، دعانى الى الصوم فصمتُ ، قال : أفى هذا اليوم الحار ؟ قال : نعم صمتُه ليوم هو أشدّ حرّاً . قال : فأفطر وَصُم غداً — قال : إن ضَمِنْتَ لي البَقَاءَ الى غدٍ — قال : ليس ذلك الى — قال : فكيف تسألُنى عاجلا بآجلٍ لا تَقدِرُ عليه ؟ قال : انه طعامٌ طيّبٌ قال : إنّك لم تُطَيِّبه ولا الخبّازُ ، ولكن العافيةَ طيّبَتْه . ولم يُفطِر وخرج من عنده .

الامتاع والمؤانسة ج 3 ص 10

---

1) يظهر أنه ابن عروة بن المغيرة بن شعبة الذى كان زوجا لام الحجاج قبل ان يتزوج بها يوسف بن الحكم ابو الحجاج :

2) الحجاج بن يوسف الثقفى كان فى أول أمره معلم صبيان بالطائف ؛ ثم ولاه عبد الملك بن مروان العراقين بعد ان تحقق من كفاءته وحزمه واخلاصه : اشتهر بالفصاحة وبالبطش وسفك الدماء . بنى مدينة واسط واعتنى بتنظيم الرى بالعراق ويقال انه اول من أمر باعجام الحروف ؛ مات سنة 197 هـ(716م)

6) زهد رجل من بني العباس

قال عبد الله بن المُعَلّم I) ؛ : خرجنا من المدينة حجّاجاً ، فاذا أنا برجل من بني العباس بن عبد المطلب قد رَفَضَ الدنيا ، واقبل على الآخرة . فجمعتني وإيّاه الطريقُ . فانِسْتُ به وقلتُ له : هل لك ان تُعَادِ لَنِي 2) ، فإنَّ معي فَضْلاً مِن رَاحِلَتِي ؛ فجزاني خيرا ؛ ثمَّ أنسَ إليَّ ؛ فجعل يحدثني فقال : انا رجلٌ من وُلدِ العبّاس ؛ كنتَ أسكُنُ البصرةَ ؛ وكنتُ ذا كِبْرٍ شديد ، ونِعْمة طائلة ، ومال كثير ، وَبَذَخٍ 3) زائد ؛ فأمرت يوما خادما لي أن يحشُوَ لي فراشا من حرير ومخدةً بِوَرْدٍ نَثير 4) ؛ ففعل . فانّي لَنائِم اذا بِقِمَعِ 5) وَرْدَةٍ قد نَسِيَه الخادمُ . فقمتُ اليه فأوجعتُه ضرباً ؛ ثم عدتُ الى مَضْجَعي بعدإخراج القمع من المخدة . فاتاني آتٍ في منامي في صورة فظيعة فهزّني ، وقال : أفِقْ من غَشْيَتِك ، وانتبه من رَقْدَتِك ثم أنشأ يقول (كامل)

> ياخِلُّ إنّك ان تَوَسَّدْ (6) لَيِّناً وُسِّدْتَ بعدَ اليوم صُمَّ الجَنْدَلِ 7)
> فأمْهَدْ لِنَفسِكَ صَالِحاً تَسْعَدْ بِهِ فَلَتَنْدَمَنَّ غداً اذا لَمْ تَفْعَلِ

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا الى ربي(8)

(المستطرف للابشيهي)

I) ابن المعلم = اظنه يريد محمد بن النعمان بن المعلم البغدادي الذي نال حظوة في دولة بني بوية واحله عضد الدولة محلا ماثورا . كانت وفاته ببغداد سنة 4I3هـ (I023م) عن ست وتسعين سنة .

2) عادله = وازنه اى يركب كل واحد منهما في جهة من جهتي الهودج .

3) البذخ = من بذخ ؛ ارتفع وتكبر

4) بورد نثير = منثور اى باوراق الورد المنثورة

5) قمع الوردة = ساقها المشوكة

6) ان توسد = اى ان تتوسد

7) امهد = مهد وهيىء

8) هاربا الى ربي = اى تائبا الى الله

7) الطوائف الدينية

قال صاحب كتاب الاستقصاء 1) : قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها ، منذ اعصار متطاولة ، ولا سيما فى المائة العاشرة وما بعدها ، بِدعَةً قبيحة؛ وهى اجتماع طائفة من العامّة ، على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم، مِمّن يُشار اليه بالولاية والخُصوصية ، ويَخُصّونه بمزيد المحبّة والتعظيم ؛ ويتمسّكون بخِدمته والتقرُّب اليه قدرا زائدا على غيره من الشيوخ ، بحيث يرسُمُ فى خيال جُلّهم، ان كلّ المشايخ او جلّهم دونه فى المنزلة عند الله تعالى؛ ويقولون : نحن أتباع سيدى فلان ؛ وخُدّام الدّار الفلانية ؛ لا يحولون عن ذلك ؛ ولا يزولون خَلَفاً عن سلف ، وَيُنَادُونَ باسمه ؛ ويستغيثون بـه . ويفزعون فى مُهِمّاتهم اليه ، معتقدين أنَّ التقرب اليه نافع ، والانحرافَ عنه قَيْدَ شِبْرٍ ضَارٌّ ، مع ان النافع والضار هو الله وحدَه ... ثم استرسل هؤلاء الطَّغَام 2) فى ضلالهم ، حتى صارت كل طائفة تجتمع فى أوقات معلومة ، فى مكان مخصوص أو غيره ، على بِدْعتهم التى يسمونها « الحضرة » فما شئتَ من طَسّتٍ وطَار ، وطبل ومزمار ، وغناء ورقص ، وخبط بالرجل وفحصٍ ، وربما أضافوا الى ذلك نارا أو غيرها ، يشتعلونها على سبيل الكرامة عـلى زعمهم ، ويستغرقون فى ذلك الزمنَ الطويلَ ، حتى يمضى الوقتُ والوقتان من أوقات الصلوات ، وداعى الفلاح ينـادى عـلى رؤوسهـم ، وهـم فـى حيرتهم يعمهون 3) . فانهم يتخذون الزاوية باسـم الشيـخ ، ويجعلونهـا للصلاة بالمحراب والمنَارِ وغير ذلك ، ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة . فكم

---

1) هو ابو العباس احمد بن خالد الناصرى : أنظر ترجمته فى آخر الكتاب مع تراجم المؤلفين

2) الطغام = اوغاد الناس وجهالهم تقال للواحد والجمع

3) يعمهون = متحيرون يخبطون خبط عشواء

رأينا فى محاريب الصلوات من عود ومزمار ، وَرَبَاب على افحش الهيئات . ومن بدعهم الشنيعة محاكاتهم أضرحة الشيخ لبيت الله الحرام ، من جعل الكسوة لها، وتحديد الحَرَم 4) على مسافة بعيدة، وسَوْقِ الذبائح اليها على هيئة الهدْى5)، واتّخاذ الموسم كل عام .. ثم يقع فى ذلك الموسم ، ولا سيّما مواسم البادية، من المفاسد والمناكر العظام ، ما يصمُّ عنه الآذانُ .

الاستقصاء (فى تاريخ المغرب الأقصى)

---

4) الحرم = هنا هو تحديد الدائرة التى يحرم على من دخلها فعل بعض الاشياء او لبس النعال ، وقد يامن المجرم اذا دخله من ان يلقى عليه القبض وذلك تشبيها بحرم مكة المكرمة

5) الهدى = ما يهدى الى الحرم من النعم

الباب الثاني

الحياة السياسية

الفصل الاول : الحكومة (1)

الخلفاء ـ الملوك ـ الوزراء ـ الكتاب ـ القضاة

قَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ »

ان الخلافة نظام سياسى خاص بالاسلام وكانت فى عصر الراشدين انتخابية دينية ، أساس احكامها التقوى والرفق والعدل بما لم يسمع بمثله فى عصر من العصور . وقد صير معاوية الخلافة وراثية ؛ وسار سيرته كل من جاء بعده من الخلفاء والملوك والسلاطين . وكانت تقام البيعة فى الجوامع ويشهدها اشراف الدولة واعيانها ، فيستوثق من اخلاصهم بالأيمان المغلظة . وكان رؤساء الامة ينظمون اداراتهم فيعينون الوزراء واصحاب البريد والكتاب وقادة الجيش والمحتسبين والامناءوالولاة والقضاة الخ ؛ ولا يتأخرون عن عزلهم والتنكيل بهم إذا ظهر منهم عجز او خيانة .

حقاً لم يكن جميع الساسة عادلين فى احكامهم ، معتنين بمصالح رعاياهم ؛ بل كان منهم من سفكوا الدماء وهلكوا الزرع والضرع . فالنقص والظلم من طبيعة البشر ؛ ولكن لا ينبغى ان ينسينا هؤلاء القاسطون اولائك الرجال العظام ذوى النفوس الكريمة والشمائل النبيلة الذين رفعوا لواء العدل عاليا وبذلوا فى مصالح رعاياهم مجهودا ساميا .

واليك صور بعض اولائك الساسة المقسطين ، والقادة المنصفين ، لترى كيف كانوا يراعون حقوق الناس ويؤثرون الانصاف فى الحكومة وينزعون مادة الخلاف فى الخصومة .

بعض المراجع المهمة

1) الاسلام والحضارة العربية لكرد على (ج2)
2) النظم الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن
3) تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان (ج1و2)
4) صبح الاعشى للقلقشندى (للاطلاع على الوثائق الرسمية)
5) محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية للشيخ محمد الخضرى بك
6) كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشيارى
7) قضاة قرطبة للخشنى
8) تاريخ قضاة الاندلس للنباهى
9) تاريخ الاسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم حسن .



8) منزلة الامام من الرعية

قال الطرطوشي 1) : : اعلموا أنّ منزلةَ السلطان من الرعية أشبهُ بمنزلة الرّوح من الجسد . فاذا صفتِ الروحُ من الكَدَرِ سَرَتْ الى الجوارح سليمةً ، وسرت في جميع الجسد ، فأَمِنَ الجسدُ من الغِيَر ، فاستقامتِ الجوارحُ والحواسُّ . وان تكدّرت الرُّوحُ او فسد مِزاجُها ، فَيَاوَيْحَ الجسد ! فَتَسْرى الى الحواسّ والجوارح كدرةً ، وهي مُنحَرِفةٌ عن الاعتدال ... ومثالُ السلطان أيضا مثالُ النار ومثال الحَلَقِ مثالُ الخَشَبِ . فما كان منها معتدلا لم يحتج الى النار ؛ وما كان منها متأودا (2) ، احتاج الى النار لِيُقَامَ أَوَدُه ، فَيُعَدِّلُ عِوَجَه :فان أفرطتَ 3) النارَ ، احترق الخشبُ قبل أن يستقيمَ أَوَدُه ؛ وان قصّرَتَ النارلم يَلِنِ الخشبُ ... ومثالُه أيضا مثال ماء عَيْنٍ خَرّارة ، فـي أرضٍ خـوّارة 4) ؛ فإن حَلاَ مشربُه ، وعَذُبَ طعمُه ، وَسَلِمَتْ مِن الكَدَرِ والفساد أوصافُه ، اختلج في الارض، فابتلعته صافيا صِرفاً؛ ثم شربته عروقُ الاشجار ، فاغتذت بـه كذلك ؛ ففلظت سُوقُها ، وتفرّعت أغصانُها ، وامتدت أفنانُها ثم اخرجـت أوراقَها ، وأبرزت أزهارَها ؛ ثـم قذفـت ثِمارَهـا ، فجـاءت عـلى أتَـمِّ طِباعها كُبْراً وَطَعماً وَلَوناً وَرائحةً ؛ فتقـوت العبـادُ ، وأكلـت حظوظَهـا البهائمُ والحشراتُ ، وسقط عليها الطيرُ ، فأحرز كـل منهـا قوتـه ... وإن كان في العين كَدَرٌ او فساد او مِلْحٌ ، شربتْها الاشجارُ كذلك ففسـد مِزَاجُها ، وأضَرَّ الجزءُ الفاسدُ بالطَّيِّب ؛ فَرَقَّتْ سُوقُها ، وضعُفـت أغصانُهـا وتغيّرت أوراقُها ، وقلّت أزهارُها وثِمارُها ، ودخل الفسادُ على جميع ذلك؛ فجاءت الثمرةُ وهي نَزْرٌ قدرُها ، رَدِيء طَعْمُها ، كَاسِفٌ لَوْنُها ....

كتاب سراج الملوك

---

1) الطرطوشي = انظر ترجمته في آخر الكتاب مع المؤلفين المنقول عنهم .
2) متاود = معوج والاود = الاعوجاج
3) افرط = هنا جاوز الحد
4) خراره = متدفقة المياه
5) خوارة = الرخوة المنخفضة
6) افنانها = فروعهـا

9) نسخة بيعة

تمهيــــد =

كان الخلفاء والولاة يكتفون بالقاء الخطب للاعلان بالبيعة ؛ ثم صاروا فيما بعد يحبّرون عهود البيعة لتبقى حجّةً على الناس ؛ وكثيرا ما كانوا يحرصون على الاحتفاظ بها ، فيجعلونها احيانا في الأماكن المقدسة كالكعبة مثلا.ولقد بدأت بذكر نموذج من هذه العقود لشيوع استعمالها .

« ... تُبايعُ الامامَ ، اميرَ المؤمنين فلانا ، بيعة طَوْعٍ وايثار 1) واعتقاد واضمار ، واعلان واسرار ، واخلاصٍ من طويّتك ، وَصِدْقٍ من نيّتك ... طائعا غيرَ مُكْرَهٍ .. مُقِرّاً بفضلها ... وعالما بما فيها وفي توكيدها من صلاح الكافّة ، واجتماع الكلمة من الخاصة والعامّة ... وَعِزّ الأولياء وَقَمْعِ الاعداء على أن فلانا عبدُ الله وخليفته ، المفترضُ طاعَتُه والواجب على الأمة إقامَتُه وَوِلاَيَتُه ، اللازم لهم القيامُ بحقّه ، والوفاءُ بعهده ، لا تشكُّ فيه ، ولا ترتاب به . .. وإنكَ وليٌّ وليّه ، وعدوُّ عدوّه ، من خاصٍّ وعامٍّ ، وقريبٍ وبعيدٍ ، وحاضرٍ وغائبٍ . ... على ان أعطيتَ اللهَ هذه البيعةَ من نفسك ، وتوكيدَك إيّاها في عُنُقِك ، لفلان امير المؤمنين ، عن سلامة من قلبك ؛ واستقامة في عزمك ... على الا تتأوّلَ عليه فيها ، ولا تسعى في نَقض 3) شيء منها ، ولا تقعُدَ عن نصره في الرخاء والشدة ... حتى تلقى الله مؤذنا (4) بها ، مؤدّياً للامانة

---

1) ايثار = تفضيل اى تفضيل المبايع له على غيره

2) الاولياء = هنا الاحباب والمقرون بفضل الامام المبايع والمعترفون باستحقاقه للخلافة

3) نقض = نقض البناء هدمه - نقض الحبل = حله - هنا نقض العهد افسده بعد احكامه

4) مؤذنا = من آذن فلانا االامر أو بالامر : أعلمه به

فيها ، اذ كان الذين يبايعون ولاة الامر وخلفاء الله فى الارض (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللّهِ فوقَ أيديهم فَمَن نَكَثَ (5) فانما ينكثُ على نفسه) .

عليك بهذه البيعة ، التى طوقتَها عنقَك ، وبسطتَ لها يدَك ، واعطيتَ فيها صَفْقَتَك (6) ، وما شُرط عليك فيها ... عهدُ الله ؛ ان عهدَ الله كان مَسئُولا ... وان نكثتَ هذه البيعةَ او بدّلتَ شرطا من شروطها ... او غيّرت حُكماً من أحكامها ، مُعلِناً او مُسِرًا او محتالا او مُتأوِّلاً ... فكلُّ ما تملِكُه من عَيْنٍ او وَرِق (7) او آنية ، او عقار (8) او سائمة (9) ، او زرع او ضَرع (10) او غير ذلك من صنوف الاملاك المُعْتَدَّة ، والاموال المدّخرة ، صَدَقَةٌ على المساكين ، محرّم عليك أن تَرجِعَ الى شيء من مَالِكَ بحيلة من الحِيَل .. وكلّ ما تعتدُّه فى بقية عمرك من مال يقِلُّ خطرُه أو يجلُّ ، فتلك سبيلُه (11) الى أن تَتَوَفَّاكَ مَنِيَّتُك او يأتيك أجلُك ؛ وكل امراة لك اليومَ وأخرى تتزوّجها بعدها مدَّةَ بقائك طالق ثلاثا بتاتاً ، طلاقَ الحرَج والسنة ، لا مَثْنَوِيَّةَ (12) فيه ولا رجعةَ ؛ وعليك المشيُ الى بيت الله الحرام ثلاثين حَجَّةً حافيا، حاسرا (13) راجلا؛ لا يرضى الله منك الا بالوفاء بها ، ولا يقبل الله منك صرفا ولا عدلا (13)؛ وَخَذَلَكَ (15) يوم تحتاجُ اليه، وبرّأك من حَولِهِ وَقُوَّته، وألجأكَ الى حولك وقوتك؛ والله عزّ وجلّ بذلك شهيدٌ . وكفى به شهيدا » .

(صبح الاعشى)

---

5) نكث = نكث العهد = نقضه ؛ نكثت المراة غزلها افسدته

6) الصفقة = من صفق له بالبيع. وصفق يده بالبيعة : ضرب يده على يده علامة على قبول ذلك وامضائه .

7) العين والورق = الذهب والدراهم المضروبة

8) العقار = الاملاك القائمة كالدور والبساتين وغيرها

9) السائمة = البهائم والمواشي ؛ من سامت الماشية خرجت الى المرعى .

10) الضرع = هو للبهيمة كالثدى للمراة ؛ والزرع والضرع = اى المزروعات والماشية .

11) فتلك سبيله = اى هو كذلك محرم عليه

12) المثنوية = الاستثناء والاحتيال للرجعة

13) حاسرا = عارى الرأس

14) صرفا ولا عدلا = تعويض

15) خذلك = ضد اعانك واخذ بيدك

10) معاوية يمهد البيعة لابنه يزيد

تمهيد =

لقد قلنا ان معاوية هو اول من جعل الخلافة وراثية — وهذه القطعة تبين بعض ما لقيه من المقاومة — ولما مات اشتدت وطأة المقاومين ونتج عن ذلك حوادث مؤلمة فصلت في كتب التاريخ

«فلما كانت سنةُ خمس وخمسين ، كتب معاوية (1) الى سائر الأمصار ان يفدوا عليه ؛ فوفد عليه من كل مصر قوم؛ وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حَزْم . فَخَلاَ به معاويةُ وقال له : ما ترى في بيعة يزيد (2) ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الارض أحد هو أحبُّ إليَّ رَشْداً من نفسك ، سوى نفسي . وان يزيد أصبح غنيا في المال ، واسطا في الحسب ؛ وان الله سائل كل راع عن رعيّته ؛ فاتّقِ الله وانظر من تُولي أمرَ أمّةِ محمد . فأخذ معاوية بُهْرٌ (3) ، حتّى تنفّس الصُّعَداء (4) وذلك في يوم شاتٍ (5) . ثم قال: « ، يامحمد ، انك امرؤٌ نَاصحٌ،قلتَ برأيك

(1) معاوية بن أبي سفيان . كان أبوه من أشياخ مكة حارب النبي صلع وأسلم بعد الحديبية ثم صار أحد كتبة الوحي . وقد ولي قيادة الجنود بالشام في عهد عمر بن الخطاب . ثم عين واليا عليها .قام مطالبا بدم عثمان ووقعت بينه وبين الامام علي كرم الله وجهه حروب . كان داهية في السياسة . مات بدمشق سنة 60 هـ (680 م) .

(2) يزيد : ابنه . وقعت في أيامه حوادث مؤلمة منها قتل الحسين بن علي كرم الله وجهه ، واباحة المدينة لجنود الشام . ولي الخلافة وأكثر الناس له كارهون . مات بدمشق سنة 64 هـ 684 م :

(3) البهر : انقطاع النفس من التعب أو الدهش .

(4) تنفس الصعداء : الصعداء هو التنفس الطويل من هم أو تعب .

(5) يوم شات ـ يوم بارد من أيام فصل الشتاء .

ولم يكن عليك الا ذاك . ولكن لم يبق الا ابني وابناؤهم (6) ؛ وابني أحبّ
الىّ من ابنائهم ؛ اخرج عنّي »

ثم جلس معاوية في اصحابه واذن للوفود فدخلوا عليه ؛ وقد تقدّم لاصحابه ان يقولوا في يزيد . فكان أولّ من تكلم الضحّاكُ (7) . ابن قيس الفهّريُّ فقال : ياأمير المؤمنين إنّه لا بدّ من والٍ بعدك ؛ والانفس يُغْدَى عليها وَيُرَاحُ (8) ويزيدُ ، إبنُ أميرِ المؤمنين ، في حُسْنِ مَعْدِنه وَقَصْدِ سِيرَته ، من أفضلنا حِلْماً وأحكمنا عِلما ؛ فَوَله عهدَك ، واجعله لنا عَلَما بعدك ؛ وإنا قد بَلَوْنَا الجماعة (9) والأُلْفَةَ ، فوجدناها أحقنَ للدماء وآمن للسُّبُل وخيرا في العاجلة والآجلة (10) . ثم تكلم عمرو بن سعيد (11) ، فقال : أيها الناسُ ان يزيد املٌ تاملونه ، وأجَلٌ تأمنونه ، طويل الباع (12) رَحْبُ الذراع ؛ اذا صرتُم الى عدله وَسِعَكم ؛ وان طلبتم رِفْدَه (13) ، أغناكم . جَذَعٌ قَارح (14) ؛ سُوبِقَ فَسَبَقَ ؛ وَمُوجِد فمَجَد ؛ وقُورِع فقرع . خلفاً من أمير

6) أبناؤهم ــ يعنى ولا شك بنى هاشم .
7) الضحاك بن قيس الفهرى ــ كان من أهل الثقة عند معاوية ثار ضد مروان ابن الحكم لما استعد هذا للتغلب على الخلافة ومات في واقعة مرج راهط المشهورة سنة 65 هـ 684 م .
8) هذه الانفس يغدى عليها ويراح ــ أى تموت في الصباح والعشى .
9) بلونا الجماعة ــ أى جربنا نتيجة الاتفاق والالتفاف حول خليفة واحد وبعنى به معاوية ، اذ سمى العام الذى استتب له فيه الامر عام الجماعة .
10) العاجلة والآجلة ــ الدنيا والآخرة .
11) عمر بن سعيد الاشدق ــ كان من أكابر بنى أمية ــ نافس عبد الملك بن مروان في الخلافة ، فظفر به عبد الملك بن مروان وقتله سنة 70 هـ 690 م.
12) طويل الباع ــ الباع ــ قدر مد اليدين ــ ويقال طويل الباع رحب الذراع ــ أى كريم مقتدر .
13) رفده ــ اعانته .
14) جذع قارح ــ شاب ذى خبرة وتجربة ــ الجذع من البهائم ــ الصغائر والقارح الذى شق نابه وطلع .

المؤمنين ولا خلف منه » فقال معاوية: اجلس ابا أمية ، فلقد أوسعت واحسنتَ.
ثم قام يزيد بن المقفّع ، فقال : أميرُ المؤمنين هذا ! وأشار الى معاويـة ؛ فان هلك فهذا ! واشار الى يزيد ؛ فمن أبى فهذا ! واشار الى سيفه . فقال معاوية : أجلس فإنّك سيّدُ الخطباء ! . ثم تكلّم الأحْنَفْ بن قيس (15) فقال : ياأمير المؤمنين انت اعلم بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلانيته ، ومدخله ومخرجه ؛ فان كنتَ تعلمه لله رضاً ولهذه الامة فلا تشاور الناس فيه ؛ وان كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وانت تذهب الى الآخرة » .... ثم تفرق الناس ولم يذكروا الا كلام الاحنف ...

العقد الفريد . ج 3 ص133.



15) الاحنف بن قيس — هو أبو بحر الضحاك بن قيس التميمي كان يضرب به المثل في الحلم والعلم ؛ شهد صفين مع علي؛ مات بالكوفة سنة 67هـ 687م.

11) أمير المسلمين يوسف بن تاشفين

لما ضخمت مملكة يوسف بن تاشفين (1) ، واتسعت عمالته ، اجتمعت اليه اشياخ قبيلته واعيان دولته وقالوا له : أنت خليفة الله في ارضه ؛ وحقك اكثر من أن تُدْعَى بالامير ؛ بل ندعوك بامير المؤمنين . فقال لهم: حاشا الله ان نتسمّى بهذا الاسم . انما يتسمّى به خلفاءُ بنى العبّاس لكونهم من تلك السُّلالة (2) الكريمة ؛ ولانهم ملوك الحَرَمَينِ ، مكّة والمدينة ؛ وانـا راجلهم والقائم بدعوتهم . فقالوا : لا بدّ من اسمٍ تمتاز به : فأجاب الى أمير المسلمين وناصر الدين . فخطب له بذلك على المنابر وخوطب به فى العدوتَينِ (3) وامر كُتّابه ان يكتبوا عنه في ذلك ، فكتبوا ما نصُّه (4) : «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .من امير المسلمين وناصر الدين ، يوسف بن تاشفين الى الاشياخ والاعيـان والكافـة .. ادام الله كرامتهم بتقواه ووفقهم لما يرضاه ؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أمّا بعد حمد الله أصل الحمد والشكر وَمُيَسِّرِ اليُسْر وواهب النصر ، والصلاة على محمّد المبعوث بنور الفرقان (5) والذكر ؛ وانا كتبناه اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله ، فى منتصف محرم سنة 466 . وانه لما مَنَّ الله علينا بالفتح الجسيم ، وأسبغ علينا من أنْعُمِه الظاهرة والباطنة بُرُودَ النعيم،

---

1) يوسف بن تاشفين = هو المؤسس الحقيقى ، لدولة المرابطين بالمغـرب والاندلس.كان متقشفا زاهدا. بنى مدينة مراكش سنة 1062 م ومات بها سنة 1106 م ولا زال قبره معروفا هناك .

2) السلالة = النسل والولد ويعنى بالسلالة الكريمة سلالة النبى صلى الله عليه وسلـم

3) العدوتان = المغرب والاندلس - والعدوتان بالمغرب وهما الرباط وسلا

4) الفرقان = القرآن الكريم لانه يفرق بين الحق والباطل

5) الخطبة = تكون باسم الخليفة او الملك وهى من خصائصـه

وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم ،صلى الله عليه افضل الصلاة واتم التسليم ، راينا ان نُخَصِّص أنفُسَنا بهذا الاسم لنمتاز به عن سائر امراء القبائل ؛ وهو امير المسلمين وناصر الدين ؛ فمن خطب الخطبة العلية السامية فَلْيَخْطُبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى والله ولى العدل بِمَنّه وكَرَمِه والسلام . »

الحلل الموشية ص 17 ــ 18



12) التواضع والحزم

لما تَمَّت بَيْعَةُ أبى بكر الصدّيق 1) رضى الله عنه ، قام فى الناس خطيبا ، فقال، بعد ان حمد الله واثنى عليه: «أيّها الناس انى وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم فان أحسنت فأعينونى . وان صَدَفْتُ (2) فقَوِّمُونى. الصدقُ أمانة ، والكذب خيانة . والضعيف فيكم قويٌّ عندى حتّى آخذ الحقَّ لـه . والقـويّ فيكم ضعيفٌ عندى حتّى آخُذَ الحقَّ منه ان شاء الله. لا يَدَعُ أَحَدُ منكم الجهاد، فانه لا يَدْعُهُ قَوْمٌ الاّ ضربهم الله بالذّلّ 3). أطيعونى ما أطعتُ اللّهَ فيكم ، فـاذا عصيته فلا طاعةَ لى عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله »

(محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية)

---

1) ابو بكر الصديق = هو اول الخلفاء الراشدين ، واول مـن أسلم مـن الرجال . عرف بالكرم والعفة ولين الجانب مات بالمدينة بعد النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين .

2) صدف = مال عن الحق

13) التعفف عن اموال المسلمين

كان لعمر بن عبد العزيز غُلَامٌ (١) ، وكان خازنا لبيت المال . وكان لعمر بنات فجئنه يوم عرفات ، وقلن له : « غداً العيدُ ، ونساء الرعية وَبَنَاتُهم يَلْمُنَنا ويقلن ثلاانتن بنات امير المؤمنين ، ونراكن عَارِيَاتٍ . لا أقلَّ من ثياب بيضاء تَلبَسْنَها! »وبكين عنده. فضاق صدر عمر . فدعا غلامَه الخازنَ وقال له : أعطني مشاهرتي لشهر واحد . فقال الخازن : يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت مال المسلمين سلفا ؟ اتظن ان لك عمر شهر فتاخذ مشاهرة الشهر ؟ فتحيّر عمر وقال : نِعْمَ ما قلتَ أيُّهَا الغلامُ . بارك الله فيك ! ثم التفت الى بناته وقال : اكظمن شَهَوَاتِكُنَّ . فإنَّ الجَنَّة لا يدخلها احد الا بِمَشَقَّةٍ »

كشكـــول جمال ج 3

---

١) عمر بن عبد العزيز = هو ابن عبد العزيز بن مروان اخي عبد الملك بن مروان ؛ وهو ثامن خلفاء بنى امية . ولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك (٩٩هـ) : وكان عالما ورعا زاهدا ولد بمصر سنة ٦١ ومات سنة ١٠١هـ.

14) الشريعة فوق الخلافة

المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكثم

جلس المامون (1) يوما للمظالم (2) . فدخل عليه رجل برُقعة ، يتظلم فيها منه ، بان له قِبَلَهُ ثلاثين الف دينار لم يدفعها له . فحاجّه فيها ، وأنكر قِصَّتها عليه . فقال الرجل : إذَنّ أدعوك الى الحاكم الذى نصبته لرعيتك ؛ قال : نعم . ياغلام على بيحيى بن اكثم (3) . فلما مثل القاضى بين يديه، قال: يايحيى فقال : لبّيك يا أمير المؤمنين . قال : اقْضِ بيننا قال: فى حكم وقضيَّة! قال : نعم . قال : لا ! لا افعل : قال : لِمَ ؟ قال : لان أمير المؤمنين لم يجعَلّ دَارَه مجلس قضائى . قال : قد فعلت . قال : فإنّى أبدأُ بالعامّة أوّلاً ليصحَّ المجلس للقضاء . قال : افْعَلّ . ففتح الباب ؛ وقعد فى ناحية من الدار ، وأذِنَ للعامّة ، ونادى المنادى ، وأخذ الرِّقَاعَ ، ودعا بالناس . ثم دعا الرجلَ المُتَظَلِّمَ. فقال له يحيى : ما تقول ؟ قال : اقول ان تدعو بخصمى امير المؤمنين المأمون . فنادى المنادى ، فإذا المامون قد خرج فى رداء وقميص وسراويل قد أرسلها على عَقبَيْه ، فى نعل رقيق ، ومعه غُلَامٌ يحمل مُصَلّىً ؛

---

1) المامون : هو عبد الله ابو العباس ابن الرشيد بويع وهو ابن ثماني وعشرين سنة ومات عام 218 هـ (832م) وعمره تسع واربعون سنة استقل بالامر بعد قتل أخيه . اشتهر بضبطه للامور وبحزمه وحبه لمجالسة اهل العلم وبحمله وعلو همته فهو يعتبر سيد النجباء ورئيس الحكماء وزين العلم والعلماء .

2) المظالم : ج مظلمة وهى ما يشكو ويتظلم منه الانسان وكان بعض الخلفاء والولاة يخصصون يوما او يومين فى الاسبوع للنظر بانفسهم فى المظالم فترفع اليهم القصص او يقف امامهم المتظلمون فيشرحون قضاياهم .

3) يحيى بن اكثم (159 — 242هـ — 777 — 857م) هو من ولد اكثم بن صيفى حكيم العرب وهو احد اعلام الدنيا ولى القضاء بالبصرة ثم صار قاضى القضاة ببغداد ؛ عاش الى عهد المتوكل .

حتى وقف على يحيى وهو جالس . فقال له :اجلس . فطرح الاصلي ليقعد عليه فقال له يحى : لا تأخذ على خصمك شرف المجلس . فطرح له مصلى آخر ؛ فجلس الخصم ؛ فقال له يحيى : ماتقول ؟ فقال : لى على هذا ثلاثون ألف دينار . فقال : ومن هذا ؟ . قال : أمير المؤمنين المأمون. فقال له يحيى : يا امير المؤمنين قد سمعتَ ما يقول . قال : سلْه ما وجهُها؟ فأعاد قِصَّةَ الدَّعْوَى . فقال المامون : ما اعرف له حقّا . فقال يحيى للرجل : قد سمعتَ أَلَكَ بَيِّنَة ؟ قال : لا . قال : فما تريد ! قال:مايوجب الحكمْ على منعدم البينة (4) قال المامون : ويلك قد لجَجْتَ فى اليمين . قال القاضى : يا امير المومنين أتحلف ؟ قال : اى والله ولا اوطِّىءُ نفسى الغَشْوَة(5) فى اعطاء رجل مالا يستحقه ظُلْماً . فقال : قل والله (فاستحلفه غموسا (6) ثم وثب يحيى عند فراغ المامون من يمينه (اى وقضائه) ، فقام على رجليه فقال له المأمون : ما أقامك ؟ فقال : انى كنتُ فى حقّ الله عزّ وجلّ حتىأخذتُه منكَ ، وليس الآنَ من حقّى ان اتصدَّر عليك .

---

4) البينة : الحجة والبرهان ومن مبادىء الشرع الاسلامى : البينة على من ادعى واليمين على من انكر

5) الغشوة : الجهالة وركوب الامر على غير بيان

6) الغموس : الشديد . واليمين الغموس : الغليظة الغامسة الكاذب فى البلاء .

15) الانقياد للحق

الحكم والقاضى سعيد بن بشير

رَفَعَ رجلٌ من كُورة (1) أهل جَيَّانَ (2) الى القاضى سعيدِ بن بَشير (3) انّ عاملا للحَكَم (4) أغتصبه جارية ، وعمل فى تَصّييرها الى الحكم؛ فوقعت من قبله كل موقع . واثبت الرجل أمره . وأتاه ببينة (5) يشهدون على معرفة ما تظلم منه ، وعلى عين الجارية وبمعرفتهم بها . فاستأذن القاضى على الحكم . ولما دخل عليه قال له : انه لا يتمّ عدلٌ فى العامّة دون إفَاضَتِه فى الخَاصّة . وحكى له أمر الجارية ، وخيَّره فى ابرازها اليه أو عزلِه عن القضاء . فقال له : أدعوك الى خير من ذالك ؛ تبتاع الجارية من صاحبها بعين ثمنها ، وأبلغ ما يسأله فيها . فقال : ان الشهودَ قد شخصوا من كُورَه جَيَّان، يطلبون الحقّ فى مَظَانّه (6) ؛ فلما صاروا اليك تصرفهم دون انفاذ الحقّ لأهله؟ ولعل قائلا يقول : باع من لا يملك بيع متيسّر على نفسه.فَلَمَّا راى الحكم عزمه، امر باخراج الجارية من قصره ، وشهد الشهود على عينها وقضى بها لصاحبها.

العقد الفريد ج 3 ص 209

---

1) الكورة : البقعة التى تجتمع فيها المساكن والقرى ج كور
2) جيان : احدى كور الاندلس فى شرق قرطبة
3) سعيد بن بشير : كان قاضى الجند بقرطبة
4) الحكم : هو الحكم الاول بن عبد الرحمن الداخل الملقب بالمنتصر كان صارما حازما . هو اول من استكثر المماليك بالاندلس وكان ميالا للاداب والفنون ، توفى فى شهر ذى الحجة سنة 216 هـ
5) بينة : (انظر رقم 4 قطعة 13) وهنا : رجال يشهدون له .
6) مظان مفردها مظنة . ومظنة الشىء : موضعه ومألفه : يقال « فلان مظنة الخير » .

16) سياسة رشيدة

حكى انه رُفع الى الخليفة المعتضد (1) ان طائفة من الناس يجتمعون بباب الطّاق (2) ، ويجلسون فى دكّان شيخ تبّان ، ويخوضون فى الفضول والاراجيف (3) وفنون من الأحاديث ؛ وفيهم قَوْمٌ سَرَاةٌ (4) وَتُنَّاء (5) وأهل بيوتات . فلمّا عرف الخليفة ذلك ضاق ذرعا (6) وحرج صدرا ... فدعا بعبد الله بن سليمان (7) ، ورمى بالرفيعة (8) اليه .. فأخذها ؛ وشاهد من تربُّد (9) وجه المعتضد ما ازعج ساكنَ صدره ؛ فقال : قد فهمتَ يا أمير المومنين . قال : فما الدواء ؟ قال : تتقدم بصلب بعضهم ، واحراق بعضهم ، وتغريق بعضهم . فان العقوبة اذا اختلفت كان الهول أشدّ ... فقال المعتضد. وكان أعقل من الوزير : والله لقد برّدتَ لهيبَ غضبى بِفَوْرَتِك (10) هذه ؛ ونقلتنى الى اللّين بعد الغِلْظَة ، وحططت عليّ الرّفقَ من حيث أشرتَ بالحرق

---

1) المعتضد : خليفة عباسى : هو ابو العباس احمد بن طلحة الموفق جعله المعتمد ولى عهده وبويع سنة 274 هـ (892م) وتوفى عام 289 هـ .
2) باب الطاق : احد ابواب بغداد
3) الاراجيف : الاخبار المختلفة الكاذبة السيئة : يقولون اذا وقعت المخاويف كثرت الاراجيف :
4) السراة ج سرى وهو صاحب المروءة فى شرف او السخاء فى مروءة
5) تناء ج تانىء : الدهاقين والرؤساء
6) ضاق ذرعا به : لم يحتمل الصبر عليه وذرع الانسان : طاقته
7) عبيد الله بن سليمان — هو ابو قاسم بن سليمان بن وهب كان من كبار الوزراء ومشائخ الكتاب استوزره الخليفة المعتمد ثم أخوه المعتضد وفى أيامه توفى سنة 288 هـ (902م)
8) الرفيعة : الكتاب المرفوع اليه
9) التربّد : من ربدهُ : منعه . وتربدت السماء : تغيّمت وتربد الرجل : تعبّس
10) فورة = من فاريفور الماء = نبع وجرى والفورة = الغضب الشديد

وما علمت انك تستجيز هذا فى دينك وهديك ومروءتك . وقد ساءنى جهلك بحدود العقاب . أما تعلم ان الرعيّة وديعةُ الله عند سلطانها ؟ وان الله يسائلك عنها كيف سُسْتها ؟ ... الا تدرى ان احدا من الرعية لا يقول ما يقول الا نظلم لحقه ، او لحق جاره ؛ او داهية نالته ، او نالت صاحباً لـه ؟وكيـف نقول لهم : كونوا اتقياء صالحين ، مقبلين على معايشكم ، غير خائضين فى حديثنا ، ولا سائلين عن امرنا ، والعرب تقول فى كلامها : غلبنا السلطان ، فلَبِس فَرْوَتَنا وأكل خضرتنا .. وحَنقُ المملوك على المالك معـروف . وإنّمـا يَحْتَمِلُ السيّدُ على صروف تكاليفه اذا كان العيش فى كفه رافغا (11) ، والامل فيه قويا ، والصدر عنه باردا (12) . والقلب معه ساكنا . أتظن ان العمل بالجهل ينفع والعذر به يسع ؟ لا والله ما الرأى ما رأيتَ .. وجِّهْ صاحبَك ، وليكن ذا خبرة ورفق ، ومعروفا بخير وصدق ، حتى يعـرف حـال هـذه الطائفة . فمن كان منهم يصلح للعمل فعلّقه به ؛ ومن كان سيىء الحال فصِلْه من بيت المال بما يعيد نَضْرَةَ حاله (13) ويفيده طمأنينة باله . ومن لم يكن من هذا الرهط ، وهو غنى مَكفِىّ ، وإنّما يخرجه الى دكان هذا التبان البَطَرُ (14) والزَّهْوُ ، فادْعُ به ولاطِفْهُ وانصحه .. ففارق الوزير الخليفة ، وعمل بما أمره به على الوجه اللطيف . فعادت الحال ترف بالسلامة العامّة والعافية التامّة .

الامتاع والمؤانسة ج 3 ص88

---

11) رافغا = كثيرا خصبا .
12) يقال = فلان بارد الصدر = هادىء مطمئن البال .
13) نضر الوجه او لشجر = حسن وكان جميـلا ناضرا .
14) البطر = من بطر = طغى بالنعمة وصرفها فى غير وجهها .

17) وزير رزين متدين

كان ابو الشجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمذانى وزيـــر المقتدى (1) رجلا دَيِّناً خَيِّراً . كان يصلّي الظّهر ، ويجلس لكشف المظالم الى العصر . وكان الحُجّابُ ينادون فى الناس : من كانت له حاجة فليعرضها .

ومن مناقبه انه لما وقعت الفتن بين اهل السنة(2) والشيعة(3) بالكرخ(4) وباب البصرة من مدينة السلام ، تغاضى عن اراقة الدماء ، حتى قال المقتدى: «ان الامور لا تمشى بهذا اللين، ولا بد من نقض دور عشرة من كبار أهل المحال (5) حتى تقومَ السياسةُ ، وتسكن هذه الفتن» . فأرسل الوزير الى المحتسب وقال له : «قد تقدم الخليفة بنقض دور عشرة من كبار اهل المحال ، ولا تمكننى المراجعة فيهم ، وما آمَنُ ان يكون فيهم احد غير مستحقّ للمؤاخذة ، او يكون الملك ليس له . فأريد ان تبعث ثقاتك الى هذه المحال، وتشترى املاك هؤلاء المتهمين . فاذا صارت الاملاك لى نقضتها ، واسلم بذلك من الإثم ، ومن سخط الخليفة» . ونقده الثمن فى الحال . ففعل المحتسب ذلك ثم بعد ذلك ارسل ونقضها .

حجّ الى بيت الله ، ولم يؤرخ عن وزير أنه حجّ فى ايام وزارته الا هذا!

---

1) المقتدى : احد خلفاء بنى العباس بويع عام 467 هـ. (1075 م.) ومات سنة 487 هـ. (1094 م.) كان رقيق المحاسن حسن الشمائل

2) و(3) اهل السنة هم جماعة المسلمين ومن اهم شروطهم فى الخليفة ان يكون قرشيا . والشيعة : هم الذين يقولون بخلافة على بن ابى طالب واولاده من بعده ومنهم الغالون المتعصبون (انظر الجزء الثالث من كتاب ضحى الاسلام لاحمد امين)

4) الكرخ : سوق عظيمة ببغداد .

5) اهل المحال : الاغنياء والاشراف الساكنون بالدور الكبيرة فى احسن احياء بغداد .

والا البرامكة (6) . صُرِف عن الوزارة على حالة جميلة فانصرف الى داره وهو يُنْشد (وافر) :

تَولاّها وليس له عدوٌّ   وَفارَقَها وَليس له صديق

ثم اعتزل وتزهّد ، ولبس ثياب القطن، وتوجّـه الى الحج ، واقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . فكان يكنس المسجد النبويّ ، ويفرش الحصر ، ويشعل المصابيح، وعليه ثوب غليظ الخام (7) . وبدأ بحفظ القرآن وختمه هناك .

الفخرى ص. 217



6) البرامكة : اصلهم من العجم وجدهم خالد بن برمك . بدأ ظهورهم فى المناصب العالية فى عهد ابى جعفر المنصور وبلغوا ذروة المجد فى عهد الرشيد الا ان هذا غضب عليهم وقتل جعفرا بن يحيى وشتت شملهم .

7) الخام : نسيج من القطن

18) يوم من أيام عضد الدولة (1)

فانه كان يُبَاكر دخول الحمّام . فاذا خرج منه ، ولبس ثيابه ، أدّى فرض الصلاة ، ودخل اليه خواصّه وحواشيه فيجلس كاتبهُ بين يديه ويؤذن لوزيره ، فيسأله عمّا عمله فيما سبق التقدّمْ به اليه، فيخبره بذلك ، ثم يذكر له ما عرض من الامور، ويستأذنه في كل امر، فَيوعِزُ (2) اليه بما يعتمده فيه . ويفعل مثل ذلك مع عارضي جيش الدَّيْلم ، وجيش الأتراك والأعْرَاب والأكْرَاد . فاذا ترحّل النهار، سأل عن ورود النُّوب (3) المتردّدة بالكتب ، ولها وقت معلوم تأتي فيه وتُراعى من ساعات النهار . فان اتّفق ان تتأخّر، قامتِ القيامةُ، ووقع البحث عن العارض العائـــق، فان كان بعائق ظاهر فيه عذرٌ قُبِلَ ، او عن امر يحتاج الى إزَالته أُزِيلَ ، او من تقصير النوبيّين أُنزِل العذابُ بهم .. فاذا وصلت النوبة كان فضّ ختومها، وَفَتْحُ خرائطها(4) واخراجُ الكتب منها بحضرته. ويأخذ منها ما كان الى مجلسه، وَيُخْرَجُ الباقي الى ديوان البريد ، فيفرّق على أربابه . ثم يقرأ الكتب اليه كتاباً كتاباً ، ويطرحه . فاذا تكامل وقوفُه عليها ، جدّد كاتبُه ابو القاسم

---

1 عضد الدولة: امير ديلمي ، وهو ابن ركن الدولة البُويَهي. لم يبلغ احد من اهله مع عظم شأنهم وجلالة قدرهم، ما بلغه هو من سعة المملكة . هو اول من خُوطِب بالملك في الاسلام وأول من خُطِبَ له على المنابر ببغداد بعد الخليفة . وكان حازما مشاركا في عدة فنون. مدحه الشعراء ومن جملتهم ابو الطيب المتنبي الذي ورد عليه بشيراز. توفي عام 372 هـ. (983 م.) ببغداد وعمره سبع واربعون سنة ، وقبره بالكوفة .

2) اوعز اليه بالامر : اشار عليه به ليفعله او ليتركه .

3) اصحاب النوبة : هنا هم المكلفون بتبليغ الرسائل وهم يتناوبون في ذلك . وطبيب النوبة : الذي نوبته ان يقف على راس الامير .

4) الخرائط : الاكياس التي تجعل فيها الرسائل

عبد العزيز قراءتها عليه ، فيأمره فى جواب كل فصل بما يُوَقِّع به تحتَه وإخراج منها ما يأمر باخراجه ليواقف عليه وزيره فى تذكرة ، وهى أبدا بين يديه يعلق فيها ما يعرض له . ثم يسأل عن الطعام . فاذا حضر الوقت الذى رسمه للاكل فيه ، استدعاه ، فاصاب منه ، وطبيبُ النُّوبَة (3) قائم على راسه وهو يسأله عن كل شىء شىء من منافع الاغذية ومضارّها .

ثم يغسل يديه وينام، فاذا انتبه جدّد الوضوء وصلّى الصلاةَ الوُسْطى وخرج الى مجلس الشرب، فجلس وحضر النُّدمَاء والملهون، ووافى ابو القاسم فقعد بحضرته على رسمه وعرض له ما كتب الكتّابُ او كتبه هو نفسه من اجوبة الكتب الواردة . فربما زاد فيها او نقص منها . ثم تُصْلَحُ وتُخْتَمُ وتُجعَل فى إِسّكِدَارِها (5) وَتُحْمَلُ الى ديوان البريد فتصدر فى وقتها.. وهو مع ذلك يشرب، ويسمع الغناء، يسأل عمّا يمضى من أشعاره.. ولا يزال على ذلك الى ان يمضى صدر الليل ثم يأوى الى فراشه .

من ذيل كتاب تجارب الامم ص. 40 وما بعدها



---

5) اسكدار : الخريطة المعدة للبريد .

19) امتحان كاتب

قال المأمون (1) لعمرو بن مسعدة (2) : ما زلتَ تسألنى فى الرَّجَّجِيّ حتّى وليتُه الاهوازَ ، فقعد فى صَرّة الدنيا يأكلها خضماً وقضما (3) ،ولم يوجه الينا بدرهم واحد ! اخرُج اليه من ساعتك ! فقلتُ فى نفسى: أبَعْدَ الوزارة أَصير مُسْتَحِثاً على عامل خراج؟ ولكن لم اجد بُدّاً من طاعة امير المؤمنين. فأمرتُ ففُرِّشَ لى زُلَّالِي(4) بالطَّبَرِيّ(5) وحُشِيَ بالثّلج، وطُرح عليه الكَرّ (6) ثم خرجتُ. فلما صرتُ بين دَيْرِ هِرَقل(7) ودَيْر العَاقُول(7) اذا برجل يصيحُ: ياملاح رجلٌ منقطع ! . فقلتُ للملاّح : قَرِّبْ الى الشَطِّ . فقال: ياسيّدى هذا شَحَّاذٌ(8) فان قعد معك آذاك ! فلم التفت الى قوله .. فلما حضر وقتُ الغذاء دعوتُه الى طعامى . ثم قلتُ : ياهذا ما صناعتك ؟ فقال حَائِكُ كَلَامٍ (9) . ثُمَّ سألنى عن صناعتى فكرِهت ان اذكر له الوزارة ، فقلت : كاتب . فقال : جعلت

---

1) المأمون : تقدمت ترجمته فى قطعة رقم 14

2) عمرو بن مسعدة: هو ابو الفضل عمرو بن صول كان كاتبا بليغا ولى الوزارة للمأمون وتوفى سنة 218 هـ. (832 م.)

3) الخضم : اكل الشيء الطرى والقضم : اكل الشيء اليابس

4) الزلالى : نوع من السفن النهرية المستعملة على دجلة والفرات

5) الطبرى : نوع من الثوب منسوب الى طبرستان

6) الكر : الليف او الخوص

7) الدير: مقام الرهبان اوالراهبات يجمع على اديرة وديارات وديرا هرقل والعاقول قرب المدائن

8) شحاذ : المتسول . الشحاذة حرفته .

9) الحائك: النساج، وحائك كلام كناية عن الاديب البليغ الذى يحسن تنسيق الكلام .

فداك ! الكاتب على خمسة أصناف : فأيهم انت اعزك الله ؟ فقلت كاتب رسائل . قال : فاخبرني اذا كان لك صديق ، تكتب له في المحبوب والمكروه ، وجميع الاسباب ، فتزوجت امه فكيف تكتب له أتهنّئه أم تعزّيه ؟ قلت : والله ما اقف على ما تقول . قال : فلست بكاتب رسائل . فأيّهم أنت؟ قلت كاتب خراج . قال : فما تقول اصلحك الله وقد ولّاك السلطان عملا ، فبثثتَ عمّالك فيه ، فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمّالك ، فأردت ان تنظر في امورهم لتنصفهم ، إذ كنت تحبّ العدل ، وتؤثر حسن الاحدوثة وكان لاحدهم بَرَاحٌ شكله (١٥) .. قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب خراج . فأيهم انت ؟ قلت: كاتب جند . قال : فما تقول في رجُلَينِ اسم كل واحد منهما احمد، احدهما مقطوع الشفة العليا، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟ قلت : أكتب أحمد الاعلم وأحمد الاعلم. قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ، ورزق هذا الف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا فتظلم صاحب الالف ؟ فلستَ بكاتب جند . فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول اصلحك الله في رجل توفى وخلف زوجة وسَرِيّة ، وكانت للزوجة بنت ، وللسريّة ابن فلمّا كان في تلك الليلة أخذتِ الحرة ابن السريّة فادّعَته، وجعلت ابنتها مكانَه فتنازعتا فيه . كيف تحكم بينهما وانت خليفة القاضي ؟ قلت : والله لست أدري . قال : فلست بكاتب قاض فأيهم انت ؟ قلت : كاتب شرطة . قال : فما تقول اصلحك الله في رجل وثب على رجل فشجّه شجّةً مُوضِحَةً، فوثب عليه المشجُوج فشجّه شجّة مَأمُومة ؟ قلتُ : لا اعلم .ثم قلت : اصلحك

(١٥) البراح : هو المتسع من الارض لا شجر فيه ولا بناء وقد قطعنا الكلام هنا اذ ذكرت بعده أشكال هندسية لم نهتد الى معرفة صورها بالضبط ولا سيما ان ما جاء في مختلف النسخ لا يخلو من تصحيف وتحريف.

الله فيَسّر لى ما ذكرتَ ، ففعل (II) . فأحسنت اليه واستعنتُ به فى مهِمّتى ،
ولما صرتُ الى امير المؤمنين اخبرته خبره . وقلت : هذا اعلم الناس بالمِسَاحة
والهندسة . فولّاه البناءَ والمرمّة . فكنتُ والله القاه فى الموكب النبيل
فينحطّ عن دابته فأحلف عليه فيقول : سبحان الله انما هذه نعمتُك!..

العقد الفريد ج ص. I4 كتاب «عصر المأمون ج 3ص.66»

II) الجواب الاول ـ كتاب تعزية

الثانى ـ الاول الاعلم والثانى الافلح

الثالث ـ يوزن لبن المرأتين فأيهما كان اخف فهى صاحبة البنت .

الرابع ـ لصاحب الشجة الموضحة ثلث الدية ولصاحب المأمومة نصف
الدية فيرد صاحب الموضحة على صاحب المأمومة .

20) قاضي يستقيل من القضاء

كان عَاقِبةُ بنُ زِيَّاد قاضياً من قبل المهدى (1) . فجاء فى بعض الايام، وقتَ الظهر للمهدى وهو خالٍ ، فأستأذن عليه ، فلما دخل عليه استأذنه فيمن يسلم اليه القِمْطَرَ الذى فيه قضايا مجلس الحكم ، وطلب منه ان يُقيلَه من ولايته .

فظن المهدى ان بعض الاولياء قد عارضه فى حكمه ، فسأله. فقال القاضي : لم يكن شيء من ذلك . قال : فماسبب استعفائك من القضاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين تقدّم لى خصمان منذُ شهر فى قضيةٍ مُشْكِلَة تحتاج الى تأمُّل وَتلَبُّثٍ ، فرددت الخصوم رجاء ان يصطلحوا أو ان يظهر الفصل بينهما. فسمع أحدهما أنّى أُحِبّ الرُّطَبَ، فَعَمَدَ ـ فى وقتنا هذا وهو اول اوقات الرطب ـ فجمع رطبا لا يتهيّأ الآنَ جمعُ مِثْلِه لامير المؤمنين، وما رأيتُ أحسنَ منه ، وَرَشَا بَوَّابى بدراهم على ان يُدْخِل الطَبَقَ عليَّ .

فلما ادخله عليَّ أنكرت ذلك ، وطردت بوّابى وأمرت بردّ الطبق فَرُدَّ . وقد تقدّم الى الخصمان فما تساويا فى عينى ولا قلبى . فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل . فكيف يكون حالى لو قبِلتُ ؟ ولا آمن ان تقع على حِيلَةٌ فى دِينِي ، وقد فسد الناسُ . فأقِلْنى يا أمير المؤمنين اقالك الله وأعْفِني عفا الله عنك .

العقد الفريد للملك السعيد

---

1) المهدى : هو ابو عبد الله محمد بن ابى جعفر المنصور ولد سنة 126 هـ. (744 م.) وبويع سنة 158 هـ. 775م . وتوفى سنة 169 هـ 788 م



الباب الثاني

الفصل الاول

الحكومة (2)

العمال ـ الشرطة ـ المحتسبون ـ الحرس



قالَ تعالَى : « إنَّ اللهَ يأْمُرُكم أنْ تُؤَدُّوا الآمانات إلى أهْلِها وَإذا حكَمْتُم بينَ النَّاسِ أنْ تحكُمُوا بالعَدْل » .

21) أبو جعفر المنصور وعماله

كان أبُو جعفر المنصور (1) يقول : «ما كان أحْوَجَني الى ان يكون على بابى اربعة نَفَرٍ ، لا يكون على بابى أعَفُّ منهم» . فقيل له : يا امير المؤمنين من هم ؟ قال : هم أركان الملك ، لا يصلح الملك الا بهم. كما أنَّ السرير لا يصلح الا بأربعةقوائم ان نقصتْ وَاحِدَةٌ وَهَن . أمّا أحدهم فقاضٍ لا تأخذه فى الحق لومةُ لائم . والآخرُ صاحبُ شرطة يُنْصِفُ الضعيفَ من القويّ والثالثُ صاحبُ خَرَاج يَسْتَقصِى ولا يَظلِم الرعية ، فانى عن ظلمها غنىٌّ. والرابع : (ثم عضّ أصبعَه السَّبَّابَةَ ثلاث مراتٍ يقول فى كل مرة آه آه :) قيل : ومن هو ياامير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد (2) يَكتُب اليّ يخبر هؤلاء على الصِّحّة .

تاريخ الطبرى ج. 9 ص. 297 (من النظم الاسلامية)

---

1) ابو جعفر المنصور : ولى الخلافة بعد اخيه ابى العبّاس السفّاح الذى مات بالانبار سنة 136 هـ. (754 م.) ؛ هو المؤسّس الحقيقى للدولة العباسية، بنى مدينة بغداد عام 158هـ. (775 م.)

2) صاحب البريد هو المكلف بتبليغ الرسائل الرسمية وبتنظيم المراحل البريدية وتأمين الطرق ومراقبة العمال ، ولهذا كان الخلفاء يختارونه من أشدّ الناس حزما ويقظة

22) المهدى ورئيس الشرطة

قال عبدُ اللهِ بنُ مالك : كنتُ أتولّى الشُّرَطَ للخليفة المهدى (I) ، وكان يبعث الىّ فى نُدَماء ولده الهادى ان أضربهم وأحبسهم صيانَةً للهادى عنهم ، فيبعث الهادى يسألنى الرِّفق بهم ، والتخفيف فى امرهم، فلا التفت الى ذلك، وامضى الى ما يأمر به المهدى. فلما وَلِىَ الهادى الخلافةَ أيقنتُ بالتَّلَف . فبعث الى يوما ، فحضرتُ ، ودخلت عليه مُتكفِّناً مُتَحَنِّطاً (2)، واذا هو جالس على الكرسى ، والنِّطْعُ والسيفُ بين يديه . فسلمتُ عليه . فقال : لا سلم الله عليك ! أتذكر يوما بعثتُ اليك فى امر فلان لما أمر امير المؤمنين بضربه فلم تجبنى ؟ وفى فلان وفلان .. فلم تلتفت الى قولى ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . أفتأذَنُ لى ان أتكلّمَ ؟ قال:نعم .قلت :أنشدتك الله يا أمير المؤمنين أيَسُرُّك أنّك وَلَّيْتَنِى ما ولّانى ابوك ، وأمرتنى بأمر ، فبعث الى بعض وُلْدِك يأمر بخلاف أمرك ، فأتّبعتُ أمره وعصيت امرك . قال : لا . قلت : وكذلك أنا لك وكذلك كنتُ لأبيك

فاستَدْناني فَقَبّلتُ يده ، وامر بخِلَعٍ أُفيضَتْ علىّ ، وخرجتُ من عنده وصرت الى منزلى مفكّرا فى أمره وامرى ، وخفت ان يحدّثَ القومَ بالامر الذى عصيته فيه فيُزيلوه عن رايه فى. وانى لجالسٌ وبين يَدَيَّ خبزٌ أُسَخِّنه واطعمه الصِّبْيَة ، حتى توهمتُ ان الدنيا قد أُقلِعَت وزلزلت من شدّة وقع حوافر الخيل وكثرة الضوضاء ، واذا البابُ فتحت ، والخدم قد دخلوا ، وامير المؤمنين فى وسطهم .

فلما رأيته وثبتُ من مجلسى فقال : خفتُ ياعبدَ الله ان يسبقَ الى قلبك سُوءُ الظَّنِّ بأعدائك ، فسرتُ الى منزلك لاؤانِسَكَ ، واعلمك ان الوحشة قد زالت فلا تستوحش» .

العقد الفريد للملك السعيد (عن السمير المهذب ج 3 ص 62)

I) المهدى : تقدمت ترجمته فى قطعة رقم 20

2) متكفنا متحنطا : اى لابسا الكفن ومتخذا الحنوط (ما تحشى به جثة الميت من العقاقير لصيانته من الفساد) اى مستعدا للموت.

23) الحجاج بن يوسف وجيش عبد الملك

رَوَى عَبدُ اللَّه بن مُسْلِم بن قُتَيبَةَ (1) قَال : إن الحجَّاجَ بن يُوسُف كَانَ يُعلِّمُ الصِّبْيَانَ بالطَّائِفِ ، وَاسْمُهُ كُلَيبٌ ، وَأَبُوهُ يُوسف معلِّم أيضاً . ثُم لحق بِرُوح بن زِنْبَاعٍ وَزِيرِ عَبْدِ الملكِ بن مروانَ (2) ، فكان فى عَدَدِ شُرْطتهِ إلى أن شَكَا عبد الملك من انْحِلَالِ العسكرِ ، وان الناسَ لا يَرْحَلُون بِرَحِيلِه ، وَلاَ يَنزِلُونَ بِنزُولِهِ . فَقَالَ روح : يَا أَمِير المؤمنينَ إن فِى شُرْطَتِى رجلا لو قلَّده أميرُ المؤمنين لأَرحَلَهم بِرَحِيلِهِ وَأَنزلَهم بنزُولِهِ ، يُقَالُ لَهُ الحجَّاجُ بن يُوسفَ . قَالَ : إنا قَلَّدنَاهُ ذَلِكَ . فَكَانَ لا يَقدِرُ أَحدٌ ان يتخلَّفَ إلا أَعوَانَ رُوح بن زِنْبَاعٍ . فَوَقَفَ عَلَيهِم يَوماً ، وَقَد رَحَلَ النَّاسُ وَهُم عَلَى طَعَامٍ يَأكُلُونَ . فَقَالَ لَهُمْ : مَا مَنَعَكُمْ أن تَرْحَلُوا بِرَحِيلِ أَمِيرِ المؤمِنينَ ؟ فَقَالُوا لَهُ: انزل يَا ابن اللَّخْنَاء(3) فَكُلْ مَعَنا. فَقَالَ: هَيْهَاتَ مَا هُنَاكَ ! ثُم أَمَرَ بِهِم فَجُلِدُوا بِالسِّيَاطِ ، وَطَوَّفَهُم بِالعَسْكَرِ ، وَأمرَ بِفَسَاطِيطِ رُوحِ بنِ زِنْبَاعٍ فَأُحْرِقَتْ بِالنَّارِ . فَدَخَلَ رُوح عَلَى عَبْدِ المَلِكِ بَاكِياً . فَقَالَ لَهُ : مَالَكَ ؟ فَقَالَ : يَا أميرَ المؤمنينَ إنَّ الحَجَّاجَ بن يُوسُفَ الذِى كَانَ فِى عَدِيدِ شُرْطَتِى ضَرَبَ عَبِيدِى، وَأَحْرَقَ فَسَاطِيطِى . قَالَ:عَلَيَّ بِهِ . فَلَما دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ :

---

1) ابن قتيبة : هو ابو عبد الله محمد بن مسلم الكوفى . مؤلف عربى تولى القضاء والتدريس ومن مؤلفاته «ادب الكاتب» و«عيون الاخبار» توفى ببغداد عام 275 هـ. (889 م.)

2) عبد الملك : هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموى ولى الخلافة بعد ابيه سنة 65 هـ. (685 م.) تغلب على ابن الزبير واخمد نار الفتن التى تأججت فى زمانه، ووطد ملك بنى امية . مات سنة 95 هـ. (715 م.)

3) اللخناء من لخن : انتن . ولخن الرجل : تكلم بالقبيح. واللخناء: القبيحة المنظر القذرة الثياب والجسد

مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلتَ ؟ قَالَ : مَا أَنَا فَعلتُه يَا أَمِيرَ المؤمنينَ ؟ قَالَ : وَمَن فَعَلَه ؟ قَالَ : أنتَ يَا أَمِيرَ المؤمنينَ . إِنَّمَا يَدِي يَدُكَ، وَسَوْطِي سَوْطُكَ ! وَمَا عَلَى أَمِيرِ المؤمنينَ أَنْ يُخْلِفَ عَلَى رُوح بن زِنْبَاعٍ الفَسْطَاطَ فَسْطَاطَينِ وَالغُلَامَ غُلَامَينِ وَلَا يُكْسِرُنِي فِيمَا قَدَّمَنِي لَهُ . فأخلف لِرُوحٍ مَا ذَهَبَ لَهُ . وَكَانَ ذَلِكَ أَول مَا عُرِف مِن كِفَايَةِ الحجَّاج .

العقد الفريد ج 2 ص. 236



24) الحجاج (1) وصاحب شرطته

لمّا وَلِيَ الحجّاجُ العِرَاقَيْنِ (2) قَالَ لِأَصْحَابِهِ : دُلّونِى عَلَى رَجُلٍ أُوَلّيهِ الشرطَةَ. فَقِيلَ: أىّ الرِّجالِ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ دَائِمَ العُبُوسِ طَوِيلَ الجُلُوسِ، سَمِينَ الامَانَةِ (3) أَعْجَفَ الخِيَانَةِ ، لَا يَحْنَق فِى الحَقِّ ، يَهُونُ عَلَيْهِ سُؤَالُ الأَشْرَافِ فِى الشفَاعَةِ . فَقِيلَ : عَلَيْكَ بِعَبْدِ الرَّحْمن بن عُبيد التَّيمِى . فأرسلَ إِلَيْهِ فَاسْتَعْمَلَهُ فَقَالَ لَهُ : لَسْتُ أَقْبَلُهَا إِلاَّ أن تَكْفِينِى عُمَّالك ، وَوَلَدَكَ وَحَاشِيَتَكَ ، فَقَالَ الحجّاجُ : يَاغُلَامُ نَادِ : من طَلَبَ إليهِ مِنهُم حَاجَةً فَقَدْ بَرِئَتْ ذِمّتِى مِنْهُ . قَالَ الشّعبِى(4) فَوَاللّهِ مَا رَأَيْتُ قَطُّ صَاحِبَ شُرْطَةٍ مِثلَهُ . كَانَ لَا يَحبس إلا فِى دَيْنٍ ، وَكَانَ إذَا أُوتِىَ بِرَجُلٍ نقب عَلَى قَوْم وَضَعَ مَنقبتهُ فِى بَطنِهِ حَتّى تَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَإِذَا أُوتِىَ بِرَجُلٍ نَبَّاشٍ حَفَرَ لَهُ قَبْراً وَدَفَنَهُ فِيهِ حَيّاً ، وَإِذَا أُوتِىَ بِرَجُلٍ قَاتَلَ بِحَدِيدٍ أو أَظْهَرَ سِلاَحاً قَطَعَ يَدَهُ . فَرُبمَا أَقَامَ أَربَعِينَ يَوْماً لاَ يُوءتِى إِلَيهِ بِأَحَدٍ . فَضَمّ الحجّاجُ إِلَيْهِ شُرْطَةَ البَصْرَةِ مَعَ شُرْطَةِ الكُوفَةِ .

العقد الفريد

---

1) الحجاج : تقدمت ترجمته فى قطعة رقم 6 (انظر كذلك القطعة السابقة لهذه)

2) العراقين : البصرة والكوفة ونواحيهما .

3) سمين الامانة : كثير الامانة لا يخون الناس ولا يغشهم

4) الشعبى : (20 ـ 104 هـ) ابو عمر عامر بن شراحيل الشعبى ، كان علامة الكوفة فى زمانه انفذه عبد الملك بن مروان الى عبد ملك الروم واستعمله عنده زمانا وكان له نفوذ عند الامراء والخلفاء لغزارة عقله وسداد رايه .

25) عهد تولية محتسب

« .. قد وُلِّيَ أمرَ هذهِ الرُّتْبَةَ ، وَوُكِّلَ بِعَيْنِهِ النَّظَرُ فِي مَصَالِحِ المُسْلِمِينَ فَلْيَنْظُرْ فِي الدَّقِيقِ وَالجَلِيلِ .. وَمَا يُؤمَرُ فِيهِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يُنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ ، وَمَا يُشْتَرَى وَيُبَاعُ .. وَكُلّ مَا يُعْمَلُ مِنَ المَعَايِشِ فِي نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ ، .. وَلْيَعْمَلْ لَدَيْهِ مُعَدَّلاً لِكُلِّ عَمَلٍ ، .. وَيُحَذِّرُ مِنَ الغِشِّ ، فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُهُ مِنَ الطَعَامِ أَوْ الشَّرَابِ ، وَلْيَتَعَرَّفِ الأَسْعَارَ ، وَيَسْتَعْلِمِ الأَخْبَارَ ، فِي كُلِّ سُوقٍ مِن غَيرِ إِعْلَامِ أَهلِهِ وَلَا إِشْعَارٍ ، وَلْيَقُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الأُمَنَاءِ مَنْ يَنُوبُ عَنْهُ فِي النظَرِ . وَدَارُ الضَّرْبِ وَالنُّقُودِ الَّتِي مِنْهَا تَنْبَثُّ ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهَا مِنَ الزيفِ مَالاَ يَظْهَرُ إِلاَّ بَعْدَ طُولِ اللَّبْثِ ، فَلْيَتَصَدَّ لِمُهِمَّاتِهَا بِصَدْرِهِ الذِي لَا يَحرَجُ ، وَلِيَعْرِض مِنهَا عَلَى المِحَكِّ مِنْ رَأيِهِ مَالاَ يَجُوزُ عَلَيهِ بَهْرَجٌ ، وَمَا يعلق مِنَ الذَّهَبِ المَكْسُورِ ، وَيُرَوْبَصُ 1) مِنَ الفِضَّةِ وَيُخْرَجُ ، وَمَا أَكَلَتْ النَّارُ كُلَّ لِحَامِهِ أو بَعضِهِ ، فَلْيَقُمْ عَلَيْهِ مِنْ جِهَتِهِ الرُّقَبَاء ... وَلْيُقِمْ الضَمَانَ عَلَى العَطَّارِينَ وَالطُّرُقِيينَ 2) مِن بَيعِ غَرَائِبِ العَقَاقِيرِ ، إِلاَّ مِمَّن لاَ يُسْتَرَابُ فِيهِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ ، وَبِخَطِّ مُتَطَبِّبٍ مَاهِرٍ لِمَرِيضٍ مُعَيَّنٍ فِي دَوَاءٍ مَوْصُوفٍ . والطرقية وَأَهلُ النَّجَامَةِ 3) وَسَائِرُ الطَوَائِفِ المَنسُوبَةِ إِلَى سَاسَانَ 4) وَمَن يَأخُذُ أَمْوَالَ الرِّجَالِ بِالحِيلَةِ وَيَأكُلُهم بِاللِّسَانِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ سُوء مِنْ هَذَا القَبِيلِ هُوَ فِي الحَقِيقَةِ شَيطَانٌ لاَ إِنْسَانٌ امنَعهُمْ كُلَّ المَنعِ .. وَصُبَّ عَلَيْهِمْ النَّكَالَ ، وَمَن وَجَدْتَهُ قَدْ غَشَّ مُسلِماً أَوْ أَكَلَ بِبَاطِلٍ دِرْهَماً أو أَخْبَرَ مُشْتَرِياً بِزَائِد ، أَوْ خَرَجَ عَن مَعْهُودِ العَوَائِدِ أَشْهِرْهُ فِي البَلَدِ ، وَارْكَبْ تِلْكَ الآلَةَ 5) قَفَاهُ حَتَّى يَضْعُفَ مِنْهُ الجِلْدُ .. وَغَيْرُ هَؤُلاَءِ مِنْ فُقَهَاءِ المَكَاتِبِ وَعَالِمَاتِ النِّسَاءِ .. لاَ تَدَعْ مِنْهُمْ إِلاَّ مَنِ اخْتَبَرْتَ أَمَانَتَهُ وَاخْتَرْتَ صِيَانَتَهُ .»

صبح الاعشى

---

1) روبص الفضة = اتقن صنعتها وصفاها

2) الطرقيون = الذين يبيعون العقاقير فى الطرق

3) اهل النجامة = الذين يدعون معرفة الغيب بالنظر الى النجوم

4) ساسان = المراد بالمنسوب اليهم الشحاذون

5) الآلة = آلة التعذيب

26) دار العيار

لِلْمُحْتَسِبِ النَّظَرُ فِي دَارِ العِيَارِ ، وَهُوَ الذِى يُخْلَعُ (2) عَلَيْهِ، وَيُقْرَأُ سِجِلُّهُ بِمِصْرَ وَالقَاهِرَةِ عَلَى المِنبَرِ . وَكَانَ لِلعِيَارِ مَكَانٌ يُعْرَفُ بِدَارِ العِيَارِ، تُعَيَّرُ فِيهَا المَوَازِينُ بِأَسْرِهَا وَجَمِيعِ الصُّنُوجِ (3) . وَكَانَ يُنفِقُ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ مِنَ الدِّيوَانِ السُّلْطَانِى فِيمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الأَصْنَافِ كَالنُّحَاسِ، وَالحَدِيدِ ، وَالخَشَبِ وَالزُّجَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآلاتِ ، وَاجْـــرِ الصُّنَّاعِ وَالمُشَارِفِينَ وَنَحْوِهِمْ . وَيحضرُ المُحْتَسِبُ أَوْ نَائِبُهُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ لِيُعَيِّرَ المَعْمُولَ فِيهَا بِحُضُورِهِ . فَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ أَمْضَاهُ ، وَإِلاَّ أَمَرَ بِإِعَادَةِ عَمَلِهِ حَتَّى يَصِحَّ . وَكَانَ بِهَذِهِ الدَّارِ مَثْلَةٌ يُصَحَّحُ بِهَا العِيَارُ . فَلاَ تُبَاعُ الصُّنُوجُ وَالمَوَازِينُ وَالأَكْيَالُ إِلاَّ بِهَذِهِ الدَّارِ . وَيَحْضُرُ جَمِيعُ البَاعَةِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ بِاسْتِدْعَاءِ المُحْتَسِبِ لَهُمْ ، وَمَعَهُمْ مَوَازِينُهُمْ وَصُنُوجُهُمْ وَمَكَايِيلُهُمْ، فَتُعَيَّرُ مِنْ كُلِّ قَلِيلٍ ، فَإِنْ وُجِدَ فِيهَا النَّاقِصُ اسْتُهْلِكَ ، وَأُخِذَ مِنْ صَاحِبِهِ لِهَذِهِ الدَّارِ ، وَأُلْزِمَ بِشِرَاءِ نَظِيرِهِ مِمَّا هُوَ مُحَرَّرٌ بِهَذِهِ الدَّارِ وَالقِيَامِ بِثَمَنِهِ . ثُمَّ سُومِحَ النَّاسُ وَصَارَ يُلزَمُ مَنْ يَظْهَرُ فِي مِيزَانِهِ أَوْ صَنْجِهِ خَلَلٌ، بِإِصْلاَحِ مَا فِيهَا مِنْ فَسَادٍ فَقَط وَالقِيَامِ بِأُجْرَتِهِ . وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الدَّارُ بَاقِيَةً جَمِيعَ الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ فَلَمَّا اسْتَوْلَى صَلاَحُ الدِّينِ (4) أَقَرَّهَا وَجَعَلَهَا وَقْفاً عَلَى سُورِ القَاهِرَةِ .

الخطط المقريزية ج 2 ص 342

---

1) العيار : هو الذى يحقق الموازين والمكاييل من عاير المكيال. ودار العيار : محل العيارة .

2) يخلع عليه: اى على صاحب دار العيار : يلبسه الخلعة الخاصـة بأمثاله من الموظفين وكانت تقرأ سجلات هؤلاء الموظفين بالمسجد ليعرفهم الناس . ولا زالت هذه القاعدة متبعة بالمغرب .

3) الصنوج ج. صنج : ويقصد بها هنا المثاقيل التى تجعـــل فى الموازين لتحقيق وزن البضائع .

4) صلاح الدين الايوبى : هو مؤسس الدولة الايوبية بمصر والشام قاتل الصليبيين وهزمهم فى واقعة حطين الشهيرة وفتح المقدس مات سنة 564 هـ. (1169 م.) ودفن بدمشق حيث لا زال قبره معروفا ، اشتهر بالشجاعة والحلم وسداد الرأى .

27) الحرس

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ الحِسْبَةِ : «لَا يُسْمَعُ مِنْهُم إِلاَّ بِبَيِّنَةٍ مِنَ الجِيرَانِ. وَيُقَامُ الحَدُّ عَلَى مَنْ فَجَرَ مِنْهُمْ أَوْ شَرِبَ . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْبَحَ مِنْ أَنْ يَكُونُوا يُغَيِّرُونَ المُنْكَرَ عَلَى زَعْمِهِمْ وَهُمْ يَفْعَلُونَهُ .. وَمَنْ أُخِذَ بِاللَّيْلِ مِمَّنْ لَا تَأْخُذُهُ تُهْمَةٌ وَلَا ظِنَّةٌ (1) شُيِّعَ إِلَى دَارِهِ . وَمَن أُخِذَ بِاللَّيلِ لَا يُغَيَّرُ شَكْلُهُ، وَلَا تُكَشَّطُ ثِيَابُهُ، حَتَّى يُوقَفَ عِنْدَ صَاحِبِ المَدِينَةِ (2) بِالهَيْئَةِ التِي وُجِدَ عَلَيْهَا . فَإِنْ سُجِنَ لَا يُسْجَنُ إِلاَّ فِي فُنْدُقٍ، وَيَكُونُ تَحْتَ ضَمَانِ السَّاكِنِينَ فِيهِ إِلَى الصَّبَاحِ. يَجِبُ أَنْ يَمْشِي الحَرَسُ أَدْوَاراً كَثِيرَةً ، وَيُبَدِّلُوا الطُّرُقَ فَإِنَّ السُّرَّاقَ وَالذُّعَرَةَ (3) وَالطَّائِفِينَ بِاللَّيْلِ ، يَرْتَقِبُونَ مَشْيَ الحَرَسِ، وَيَنْطَلِقُونَ بَعْدَ ذَلِكَ لِطَلَبِ الشَّرِّ وَالفُجُورِ . فَيَجِبُ أَن يُشَدَّدَ عَلَى السُّرَّاقِ وَالذُّعَرَةِ فِي الحُكْمِ وَالنَّكَالِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ . فَإِنَّمَا غَرَضُهُمْ أَخْذُ الأَمْوَالِ وَإِتْلَافِ المُهَجِ (4) ...»

كتاب الحسبة لابن عبدون

---

1) ظنة من الظن: وهو الاعتقاد والراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك . والظنة التهمة ــ والظنان : السيء الظن . والظنين : المتهم والمعادي لسوء ظنه وسوء الظن به .

2) صاحب المدينة : هو الباشا بالمغرب

3) الذعرة ، ج. ذاعر : المخيف المفزع .

4) المهج ج. مهجة : الدم او دم القلب ــ الروح

28) طرفة

حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ قُضَاةِ لُوشَةَ (1) كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ فَاقَتْ العَلَمَاءَ فِى مَعْرِفَةِ الأَحْكَامِ وَالنَّوَازِلِ ، وَكَانَ يَسْتَشِيرُهَا فِيمَا يَنْزِلُ بِهِ فِى مَجْلِسِهِ مِنَ النوَازِلِ ، فَتُشِيرُ عَلَيْهِ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ مُدَاعِباً بِقَوْلِهِ :

بِلُوشَةَ قَاضٍ لَهُ زَوْجَـــةٌ ... وَأَحْكَامُهَا فِى الْوَرَى مَاضِيَة
فَيَالَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ قَاضِيـاً ... «وَيَالَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَة»(2)

فَأَطْلَعَ زَوْجَتَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَكَتَبَتْ بَدِيهَةً (3) :

هُوَ شَيْـــخٌ سُوءٍ مُزْدَرَى ... لَـــهُ شُيُوبٌ عَاصِيَـة
«كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَـــهِ ... لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَة» (4)

نفح الطيب ج 2 ص 493

---

1) لوشة : قرية قرب غرناطة
2) آية قرآنية (رقم 26 من سورة الحاقة)
3) بديهة : ارتجالا ومن غير تأمل طويل
4) آية قرآنية هذه 4 من سورة العلق



الباب الثاني

الفصل الثاني

السفارات والوفود

قَالَ تَعَالَى : « يَاأَيُّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ »

لَقَدْ أَسْهَبَ المؤلِفُونَ، مِنْ مؤَرِخِينَ وَأُدَبَاءَ فِي وَصْفِ اسْتِقْبَالِ السُّفَرَاء. وَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ : فَإِنَّ الخُلَفَاءَ وَالمُلُوكَ وَأَعَاظِمَ الدُّوَلِ ، مَهْمَا اخْتَلَفَتْ أَجْنَاسُهُمْ ، وَتَبَايَنَتْ أَدْيَانُهُمْ ، كَانُوا وَلَا زَالُوا يَنْتَهِزُونَ جَمِيعَ الفُرَصِ لِتَمْهِيدِ طُرُقِ التَّوَاصُلِ وَتَوْطِيدِ دَعَائِمِ التَّعَامُلِ ، سَاعِينَ فِي إِبْرَامِ عُقُودِ التَّحَالُفِ وَتَوْثِيقِ أَوَاصِرِ التَّوَادُدِ .

وَكَانَ وَلَا زَالَ وُرُودُ السُّفَرَاءِ عَلَى العَوَاصِمِ سَبَبَ إِقَامَةِ الاحْتِفَالَاتِ وَالمِهْرَجَانَاتِ ، وَمُنَاسَبَةٍ لِإِظْهَارِ بَهْجَةِ المُلك وَفَخَامَةِ السُّلْطَانِ ، وَتَبَادُلِ التُّحَفِ وَالنَّفَائِسِ .

هَذَا وَلَمْ تَنْفَكَّ البِلَاطَاتُ مَقْصِدَ وُفُودِ القَبَائِلِ وَالقُرَى ، مِنْ شَاكِرِينَ وَرَاغِبِينَ ، وَمُلْتَقَى مَبْعُوثِي الأَقَالِيمِ مِنْ مُهَنِّئِينَ وَمُسْتَنْجِدِينَ .

بعض المراجع

1) نفح الطيب وازهار الرياظ للمقرى
2) العقد الفريد لابن عبد ربه ج. 1
3) اتحاف اعلام الناس لمولاى الكبير بن زيدان (فى السفارات بين الملوك العلويين ورؤساء الدول الغربية)
4) تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج 1 ص 150

L'Espagne Musulmane au Xe J / par L. P. pp. 48 - 49
L'Espagne vue par les voyageurs Musulmans de 1610 1930 P. H. Pères

29) المقوقس ومبعوث رسول الله صلعم

قَالَ حَاطِبُ بنُ أبِى بَلْتَعَةَ : بَعَثَنِى النَّبِىُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المقَوْقس (1) مَلِك الإسْكِنْدرِيَّة ، فَأتَيْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ ، فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : كَتَبَ إِلَىَّ صَاحِبُكَ أَنْ أَتْبَعَهُ عَلَى دِينِهِ ، فَمَا يَمْنَعُهُ - إِنْ كَانَ نَبِيّاً - أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَىَّ البَحْرَ فَيُغْرِقَنِى فَيَكْتَفِى مُؤُونَتِى وَيَأْخُذُ مُلْكِى ؟ قُلْتُ : فَمَا صَنَعَ عِيسَى إِذَا أَخَذَهُ اليَهُودُ فَرَبَطُوهُ فِى حَبْلٍ ، وَحَلَّقُوا وَسَطَ رَأْسِهِ ، وَجَعَلُوا عَلَيْهِ إِكْلِيلَ شَوكٍ ، وَحَمَّلُوا خَشَبَتَهُ الَّتِى صَلَبُوهُ عَلَيْهَا عَلَى عُنُقِهِ ، ثُمَّ أَخْرَجُوهُ وَهُوَ يَبْكِى حَتَّى نَصَبُوهُ عَلَى الخَشَبَةِ ، ثُمَّ طَعَنُوهُ حَيّاً بِحَرْبَةٍ حَتَّى مَاتَ - هَذَا عَلَى زَعْمِكُمْ - فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَيُنَجِّيهِ وَيُهْلِكَهُمْ فَيَكْفِى مُؤُونَتَهُمْ ، وَيُظْهِرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَيْهِمْ؟ (2) وَمَا مَنَعَ يَحْيَى بن زَكَرِيَاء حِينَ سَأَلَت امْرَأَة المَلِكِ المَلِكَ أَنْ يَقْتُلَهُ فَقَتَلَهُ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهَا حَتَّى وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهَا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُنَجِّيهِ وَيهلك النَّاسَ ؟ فَأَقْبَلَ المُقَوْقسُ عَلَى جُلَسَائِهِ وَقَالَ : إِنَّهُ وَاللَّهِ لَحَكِيمٌ ، وَمَا يَخْرُجُ الحَكِيمُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ الحُكَمَاءِ .

الامتاع والمؤانسة ص 179

1) المقوقس : كان واليا على مصر من قبل الروم وقد ارسل الى النبى هدايا وجاريتين فتزوج صلى الله عليه وسلم بواحدة وهى مارية القبطية وزوج الاخرى لحسان بن ثابت

2) ظهر عليه : غلبه

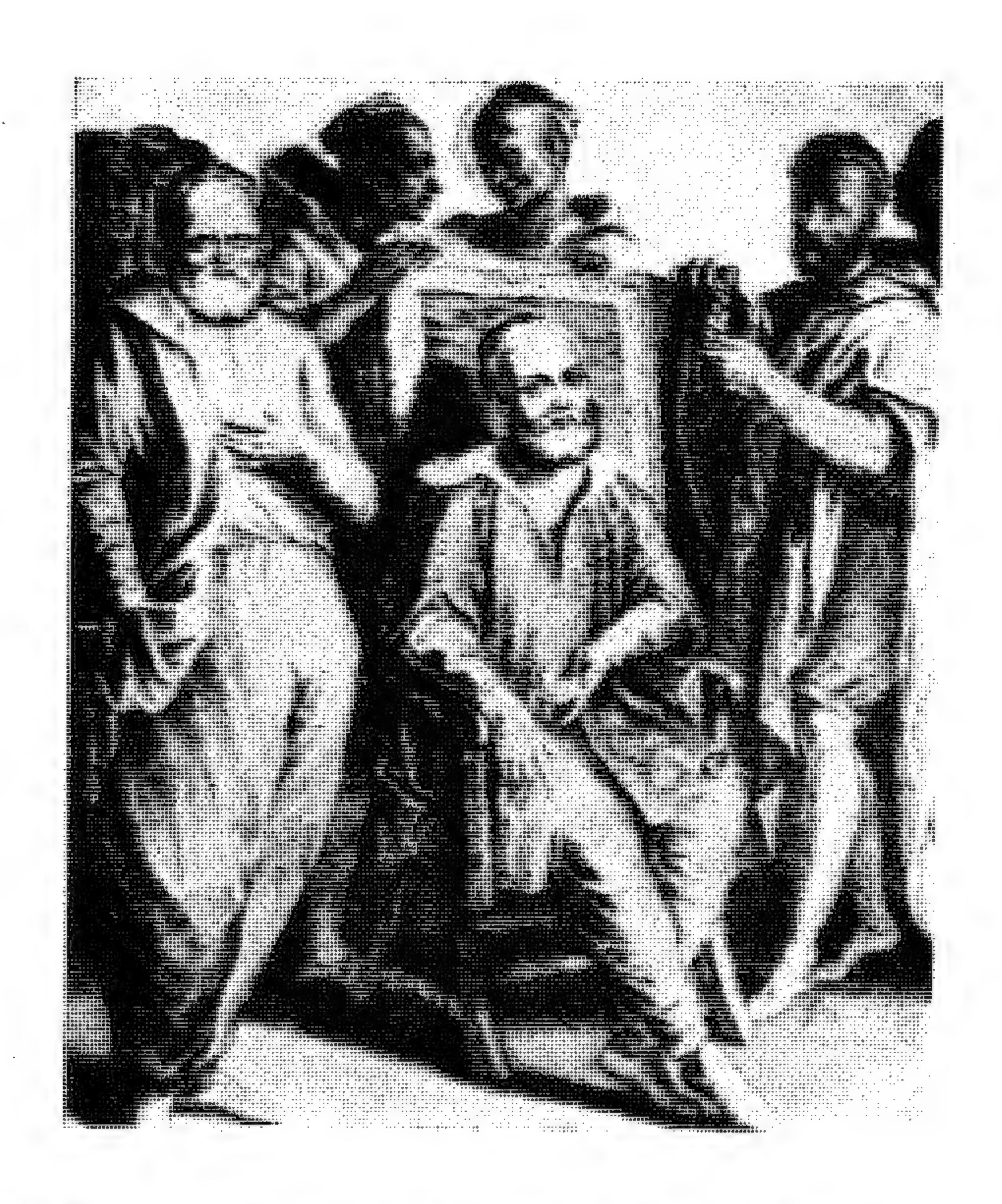
30) وفد عمر بن عبد العزيز عند ملك الروم

بَعثَ عُمَرُ بن عَبْدَ العَزِيزِ وَفْداً إِلَى مَلِكِ الرُّومِ فِى أَمْرِ مَصَالِحِ المُسْلِمِينَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ إِذَا تُرْجُمَانٌ يُفَسِّرُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ ، وَالتَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَالبَطَارِقَةُ (2) عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، وَالنَّاسُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَدَّى إِلَيْهِ التُّرْجُمَانُ مَا قَصَدُوا لَهُ . فَتَلَقَّاهُمْ بِجَمِيلٍ ، وَأَجَابَهُمْ بِأَحْسَنِ الجَوَابِ ، وَانْصَرَفُوا عَنْهُ فِى ذَلِكَ اليَوْمِ . فَلَمَّا كَانَ فِى غَدَاةِ غَدٍ، أَتَاهُمْ رَسُولُهُ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ نَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَوَضَعَ التَّاجَ عَنْ رَأْسِهِ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ صِفَاتُهُ التِى شَاهَدُوهُ عَلَيْهَا ، كَأَنَّهُ فِى مُصِيبَةٍ . فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ لِمَا دَعَوْتُكُمْ ؟ قَالُوا لاَ . قَالَ : إِنَّ صَاحِبَ مَصْلَحَتِى التِى تَلِى العَرَبَ جَاءَنِى كِتَابُهُ فِى هَذَا الوَقْتِ أَنَّ مَلِكَ العَرَبِ ، المَلِكَ الصَّالِحَ قَدْ مَاتَ. فَمَا مَلَكُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ بَكَوْا ـ فَقَالَ : لاَ تَبْكُوا لَهُ ، وَابْكُوا لأَنْفُسِكُمْ مَا بَدَا لَكُمْ. فَإِنَّهُ خَرَجَ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا خَلَّفَ ، قَدْ كَانَ يَخَافُ أَنْ يَدَعَ طَاعَةَ اللَّهِ. فَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَجْمَعَ عَلَيْهِ مَخَافَةَ الدُّنْيَا وَمَخَافَةَ الآخِرَةِ . لَقَدْ بَلَغَنِى مِن بِرِهِ وَفَضْلِهِ وَصِدْقِهِ مَا لَوْ كَانَ أَحَدٌ بَعْدَ عِيسَى يُحْيِى المَوْتَى لَظَنَنْتُهُ أَنَّهُ يُحْيِى المَوْتَى.. وَلَمْ أَعْجَبْ لِهَذَا الرَّاهِبِ الذِى تَرَكَ الدُّنْيَا ، وَعَبَدَ رَبَّهُ عَلَى رَأْسِ صَوْمَعَةٍ، وَلَكِنَّنِى عَجِبْتُ مِنْ هَذَا الذِى صَارَتِ الدُّنْيَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَزَهِدَ فِيهَا ، حَتَّى صَارَ مَثَلَ الرَّاهِبِ . إِنَّ أَهْلَ الخَيْرِ لاَ يَبْقَوْنَ مَعَ أَهْلِ الشَّرِّ إِلاَّ قَلِيلاً .

مروج الذهب ج 3 ص I2I

I) عمر بن عبد العزيز : انظر ترجمته فى قطعة رقم I3

2) البطارقة ، ج بطريق : قادة الروم



السيد عبد الله بن عائشة سفير المولى اسماعيل ، سنة 1698 م.
لدى ملك فرنسا لويس الرابع عشر



31) الخليفة عبد الرحمن الناصر ورسل ملك الروم

كَانَ وُصُولُ ارْسَال صَاحِبِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، عَظِيمِ الرُّومِ قُسْطَنْطِين ابنِ لَيُّون ، فِي شَهْرِ صَفَر سَنَةَ 538 . وَتَأَهَّبَ النَّاصِرُ (1) لِوُرُودِهِمْ، وَأَمَرَ أَنْ يلقوْا أعظَمَ تَلَقٍّ وَأفخَمِهِ . وَأَخْرَجَ لِلِقَائِهِمْ بِبَجَّانَةَ (2) يَحْيَى بـنَ مُحَمَّـد اللَّيْث وَغَيْرِهِ لِخِدْمَةِ أَسْبَابِ الطَّرِيقِ . فَلَمَّا صَارُوا بِأقْرَبِ المحَلاتِ مِنْ قُرْطُبَةَ، خَرَجَ إِلَى لِقَائِهِمْ القُوَّادُ فِي العَدَدِ وَالعُدَدِ وَالتَّعْبِئَةِ ، وَالفَتَيَانِ (3) الكَبِيرَانِ، يَاسَرا وَتَمَّاماً .. وَأُنْزِلُوا بِمُنْيَةِ (4) وَلِيِّ العَهْدِ الحَكَمِ .. وَمُنِعُوا وَحُمُوا مِنْ لِقَاءِ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَرُتِّبَ لِحَاجَاتِهِمْ رِجَالٌ تُخُيِّرُوا مِنَ المَوَالِي وَوُجُـوهِ الحَشَمِ .. وَرَحَلَ النَّاصِرُ ، فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ ، مِنْ قَصْرِ الزَّهْرَاء إِلَى قَصْرِ قُرْطُبَةَ لِدُخُولِ وَفْدِ الرُّومِ عَلَيْهِ .. فَقَعَدَ فِي بَهْوِ المَجْلِسِ الزَّاهِرِ قُعُوداً حَسَناً نَبِيلاً .. وَجَلَسَ عَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ بَنُوهُ وَالعُلَمَاءُ وَالوُزَرَاءُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ، وَوَقَفَ الحُجَّابُ مِنْ أَهْلِ الخِدْمَةِ مِنْ أَبْنَاءِ الوُزَرَاءِ وَالمَوَالِي وَالوُكَلاءِ وَغَيْرِهِمْ وَقَدْ بُسِطَ صَحْنُ الدَّارِ جَمِيعاً بِعِتَاقِ البُسُطِ وَكَرَائِمِ الدَّرَانِكِ (5)، وَظُلِّلَتْ أَبْوَابُ الدَّارِ وَحَنَايَاهَا بِظُلَلِ الدِّيبَاجِ ، وَرَفِيعِ السُّتُورِ . فَوَصَلَ رسلُ الرُّومِ حَائِرِينَ مِمَّا رَأَوْهُ مِنْ بَهْجَةِ المُلْكِ ، وَفَخَامَةِ السُّلْطَانِ . وَدَفَعُوا كِتَابَ مَلِكِهِمْ،

---

1) عبد الرحمن الناصر : هو عبد الرحمن الثالث من الدولة الاموية بالاندلس وهو الذى بنى قرب قرطبة قصر الزهراء واول من تلقب بالخليفة من امراء بنى امية ولى بعد جده الامير عبد الله سنة 300 هـ. (912 م.) وتوفى سنة 961 م. فى السبعين من عمره. بلغت الدولة الاموية فى عهده ذروة المجد

2) بجانة : قرب مرسى المرية

3) الفتيان : مماليك من الصقالبة ، كانت تسند اليهم ، فى بلاط الخليفة ، مسؤوليات مهمة .

4) منية . اسم القصر الذى كان يسكنه ولى العهد ـ وقد سميت عدة قصور بهذا الاسم ـ

5) الدرانك : مفردها درنك وهو نوع من الزرابى خضراء وصفراء .

وَهُوَ فِى رِقٍّ مَصْبوغٍ لَوْناً سَماوِيّاً ، وَمَكْتوبٌ بِالذَّهَبِ بِالخَطِّ الإِغْرِيقى ، وَداخِلَ الكِتَابِ مُدْرَجَةٌ مَصْبوغَةٌ أَيْضاً مَكْتوبَةٌ بِفِضَّةٍ ، فيهَا وَصْفُ هَدِيَّتِهِ التى أَرْسَلَ بِهَا وَعَدَدُهَا ، وَعَلَى الكِتَابِ طَابَعُ ذَهَبٍ وَزْنُهُ أَرْبَعَةُ مَثَاقِيلَ ، عَلَى الوَجْهِ الوَاحِدِ مِنْهُ صُورَةُ المَسِيحِ ، وَعَلَى الآخَرِ صُورَةُ قُسْطَنْطِينَ وَصُورَةُ وَلَدِهِ . وَكَانَ الكِتَابُ بِداخِلِ دُرْجٍ فِضَّةٍ مَنْقوشٌ ، عَلَيْهِ غطاءُ ذَهَبٍ فِيهِ صُورَةُ قُسْطَنْطِينَ مَعْمولَةٌ مِنَ الزُّجَاجِ المُلَوَّنِ البَدِيعِ . وَكَانَ الدُّرجُ دَاخِلَ جَعْبَةٍ مُلَبَّسَةٍ بِالدِّيبَاجِ .

وفى آخِرِ هَذَا الشَّهْرِ ، أَعَادَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ القُعُودَ الثَّانِى لِرُسُلِ مَلِكِ الرُّومِ بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ ـ فَاحْتَفَلَ لِذَلِكَ أَيْضاً وَاسْتَكْمَلَ لَهُ الاهِبَةَ ، وَبَالَغَ في الزِّينَةِ ، وَقَعَدَ عَلَى بَابِ السدة صَاحِبُ المَدِينَةِ مَعَ مَنْ ضَمَّ إِلَيْهِ مِنَ العُرَفَاءِ وَالشُّرَطِ وَالحَرَسِ وَهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ . وَقَامَ مَعَ سُورِ القَصْرِ سِمَاطٌ مِنَ المَوَالِى فِى المَلاَبِسِ الحِسَانِ ، وَالسِّلاحِ الشاكِّ . وَأَلْزَمَ الفُصْلاَنَ كُلَّهَا جُمَلاً مِنَ العَبِيدِ وَالحَشَمِ وَالبَوَّابِينَ وَغَيْرِهِمْ فِى أَكْمَلِ زِيِّهِمْ .

ثُمَّ أَعَادَ لَهُمْ القُعُودَ بِالزَّهْرَاءِ وَهُوَ القُعُودُ الثَّالِثُ .. وَفِى النِّصْفِ مِن جُمَادَى الأُولَى أَدْخَلَ هَؤُلاَءِ الرسُلَ عَلَى نَفْسِهِ فِى مَجْلِسٍ خَاصٍ .. فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ أُدْخِلُوا دِيَارَ الصِنَاعَاتِ (6) وَالعُدَّةِ بِأَكْنَافِ الزَّهْرَاءِ ، وَدَارَ السِّكَةِ وَطِيفَ بِهِمْ فِى أَرْجَائِهَا ، ثُمَّ صُرِفُوا إِلَى دَارِ نُزُولِهِمْ . فَاتَّصَلَ مَقَامُهُمْ بِقُرْطُبَةَ فِى كَرَامَةٍ مَوْصُولَةٍ، وَعَطَايَا مُتَوَالِيَةٍ ، إِلَى أَنْ كَمُلَتْ الهَدِيَّةُ التى كُوفِىءَ بِهَا الطَّاغِيَةُ مُرْسِلُهُمْ وَأُسْلِمَتْ إِلَيْهِمْ مَعَ أجوبَتِهِمْ وَأُمِرُوا بِالرَّحِيلِ .

ازهار الرياض ج 2 ص 258 باقتضاب

---

6) ديار الصناعات : التى تصنع بها السفن وآلات الحرب وهى اصل الكلمة الفرنسية ارسنال

32) رسل الروم في قصر المقتدر

أَمَرَ المُقْتَدِرُ (1) أَنْ يُطَافَ بِالرُّسُلِ فِي الدَّارِ .. وَفُتِحَتِ الخَزَائِنُ ، وَالآلاتُ مُرَتَّبَةٌ كَمَا يفعَلُ بِخَزَائِنِ العرُوسِ ، وَقَدْ عُلِّقَتِ السُّتُورُ وَنُظِمَ جَوْهَرُ الخِلاَفَةِ فِي قَلَّايَاتٍ عَلَى دَرَجٍ غُشِّيَتْ بِالدِّيبَاجِ الأَسْوَدِ . وَلَمَّا دَخَلَ الرُّسُلُ إِلَى دَارِ الشَّجَرَةِ وَرَأَوْهَا ، كَثُرَ تعجُّبُهُم مِنْهَا . وَكَانَتْ شَجَرَةً مِنَ الفِضَّةِ ، وَزْنُهَا خَمْسُمَائِةِ أَلْف دِرْهم، عَلَيْهَا أَطْيَارٌ مَصْنُوعَةٌ مِنَ الفِضَّةِ تَصَفِّرُ بِحَرَكَاتٍ قَدْ جُعِلَتْ لَهَا .. وَكَانَ عَدَدُ مَا عُلِّقَ فِي القُصُورِ مِنَ السُّتُورِ وَالدِّيبَاجِ ، المُذَهَّبَةِ بِالطُّرُزِ الذَهَبِيَّةِ الجَلِيلَةِ ، المُصَوَّرَة بالجَامَاتِ وَالفِيلَةِ والخَيْلِ وَالجمَالِ وَالسِّبَاعِ وَالطَّرْدِ ، وَالسُّتُورِ الكِبَارِ البَصْنَائِيَّةِ وَالأَرْمَنِيَّةِ ، وَالوَاسِطِيَّةِ ، وَالبَهْنَسِيَّةِ السَّوَاذِجِ ، (3) وَالمَنْقُوشَةِ والدِيبَقِيَّةِ المُطَرَّزَةِ ثَمَانِيةً وَثَلاثِينَ أَلْفَ سِتْرٍ ..

وَأُدْخِلَ رُسُلُ صَاحِبِ الرُّومِ إِلَى الدَّارِ المعْرُوفَةِ بِخَانِ الخَيْلِ ، وَهِيَ دَارٌ أَكْثَرُهَا أَرْوِقَةٌ بِأَسَاطِين رُخَام ، وَكَانَ فِيهَا مِنَ الجَانِبِ الأَيْمَنِ خَمْسَمَائة فَرَسٍ ، عَلَيْهَا خَمْسَمائة مَرْكَب ذَهَباً وَفِضَّةً بِغَيْرِ أَغْشِيَةٍ ، وَمِنَ الجَانِب الأَيْسَرِ خَمْسَمائة فَرَسٍ عَلَيْهَا الجِلاَلُ الديبَاجُ ، بِالبَرَاقِعِ الطِّوَالِ . وَكُلُّ فَرَسٍ بِيَدِ شَاكِرِيٍّ بِالبِزَّةِ الجَمِيلَةِ. ثُمَّ أُدْخِلُوا دَارَ الوَحْشِ ، وَكَانَ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ الوَحْشِ التِي أُخْرِجَتْ إِلَيْهِمْ قُطْعَانٌ تَقْرُبُ مِنَ النَّاسِ وَتَتَشَمَّمُهُمْ وَتَأْكُلُ مِنْ أَيْدِيهِمْ . ثُمَّ أُخْرِجُوا إِلَى دَارٍ فِيهَا أَرْبَعَة فِيَلَةٍ مُزَيَّنَةٌ بِالديبَاجِ وَالوَشْيِ عَلَى كُلِّ فِيلٍ ثَمَانيةُ نَفَرٍ مِنَ السِّنْدِ وَالزَّرَاقِين (4) بِالنَّارِ . فَهَالَ الرُّسُلَ

---

1) المقتدر : ابو الفضل جعفر بن المعتضد العباسي بويع سنة 295 هـ. (908 م.) وخلع مرتين ـ قتل في بغداد سنة 320 هـ. (922 م.)

2) قلايات : ج قلاية ـ هنا ـ شبه منضدة من خشب او غيره

3) السواذج : التي لا نقش فيها .

4) الزراقون : هم الذين يرمون النار بانبوبة او شبهها .

أَمْرُهَا ثُمَّ أُخْرِجُوا إِلَى دَارٍ فِيهَا مائةُ سَبُعٍ خَمْسُونَ يُمْنَةً وَخَمْسُونَ يَسْرَةً .

ثُمَّ أُخْرِجُوا إِلَى الجَوْسَقِ المُحْدَثِ ، وَهِيَ دَارٌ بَيْنَ بَسَاتِينَ ، فِي وَسَطِهَا بِرْكَةٌ رَصَاصٍ قَلْعِي ، حَوَالَيْهَا نَهْرُ رَصَاصٍ قَلْعِيّ أَحْسَن مِنَ الفِضَّةِ المَجْلُوَّةِ، طولُ البِرْكَةِ ثَلَاثُونَ ذِرَاعاً فِي عِشْرِينَ ذِرَاعاً ، فِيهَا أَرْبعُ طَيَّارَات (5) لِطَافٍ بِمَجَالِسَ مُذَهَّبَةٍ .. وَحَوَالَيْ هَذِهِ البِرْكَةِ بُسْتَانٌ بِمَيَادِين فِيهَا نَخْلٌ ، وَعَدَدهُ أَرْبَعمَائة نَخْلَةٍ ، وَطُول كُلِّ وَاحِدَةٍ خَمْسَةُ أذْرُعٍ ، قَدْ لُبِّسَ جَمِيعُهَا سَاجاً مَنْقُوشاً مِنْ أَصْلِهَا إِلَى حَدِّ الجُمَّارَةِ (6) بِحلَقٍ مِن شَبَهٍ (7) مُذَهَّبَةٍ .. وَفِي جَانِبِ الدَّارِ، يُمْنَةَ البِرْكَةِ ، تَمَاثِيلُ خَمْسَةَ عَشَرَ فَارِساً عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ فَرَساً قَدْ أُلْبِسُوا الدِيبَاجَ وَغَيرَه ، وَفِي أَيْدِيهِمْ مَطَارِدُ (8) عَلَى رِمَاحٍ يَدُورُونَ عَلَى خَطٍّ وَاحِدٍ في النَّاوَرْدِ (9) جَنْباً وَتَقْرِيباً ، فَيُظَنُّ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى صَاحِبِه قَاصِدٌ، وَفِي الجَانِبِ الأَيْسَرِ مِثْلُ ذَلِكَ . ثُمَّ أُخْرِجُوا بَعْدَ أَنْ طِيفَ بِهِمْ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ قَصْراً ، إِلَى الصَّحْنِ التِّسْعِينِي وَفِيهِ الغِلْمَانُ الحُجَرِيَّة بِالسِّلَاحِ الكَامِلِ

ثُمَّ وَصَلُوا إِلَى حَضْرَةِ المُقْتَدِرِ بِاللَّهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي «التَّاجِ» مِمَّا يَلِي دِجْلَةَ ، بَعْدَ أَن لُبِّسَ بِالثِّيَابِ الدِّيبَقِيَّةِ المُطَرَّزَةِ بِالذَّهَبِ ، عَلَى سَرِيرٍ قَدْ فُرِشَ بِالدِّيبَقِيِّ المُطَرَّزِ بِالذَّهَبِ، وَعَلَى رَأْسِهِ الطَّوِيلَةُ (10) وَمِنْ يُمْنَةِ السَّرِيــر تِسْعَةُ عُقُودٍ مِثْلَ السُّبَحِ مُعَلَّقَة ، وَمِنْ يَسْرَتِه تِسْعَةٌ أُخْرَى مِنْ أَفْخَرِ الجَوَاهِــر وَأَعْظَمِهَا قِيمَةً ، غَالِبَةَ الضَّوْءِ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ ، وَبَيْنَ يَدَيْه خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِه ثَلَاثَةٌ يُمْنَةً وَاثْنَانِ يَسْرَةً .

تاريخ الخطيب ١٠٠/١ وما بعدها

عن كتاب ظهر الاسلام لاحمد امين

---

5) الطيارات : مراكب نهرية للتنزه .

6) الجمارة : هنا الموضع التى تتفرع فيه اغصان النخلة .

7) الشبه : النحاس الاصفر .

8) مطارد : ج. مطرد وهو الرمح القصير .

9) الناورد : كيفية مواجهة العدو الراكب والظفر به ، وقد يطلق على ملعب الخيل .

10) الطويلة : قلنسوة طويلة ومزينة بالجواهر كان يضعها الخليفة على رأسه في المواسم والاعياد .

33) بين سيدى محمد بن عبد الله والعثمانيين

وَفِى سَنَةَ 1200 هـ. أَرْسَلَ السُّلْطَانُ سَيِّدِى مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ اللَّهِ (1)، كَاتِبَهُ أبَا القَاسِمِ الزَّيَانِى(2) سَفِيراً إِلَى الأُسْتَانَةَ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لِلسُّلْطَانِ عبد الحَمِيد ، مِنْ جُمْلَتِهَا أحْمَالٌ مِنْ سَبَائِكِ الذهَبِ الخَالِصِ مِثْل بَارَّاتُ الحَدِيدِ، وَأَرْبعةُ آلافِ قِنْطَارٍ مِنَ النُّحَاسِ ، فَأَقَامَ هُنَاكَ مِائَة يَوْمٍ ، فِى رِعَايَةٍ وَإِكْرَامٍ ، إِلَى أَنْ قَضَى الغَرَضَ فَقَابَلَ السُّلْطَان وَاشْتَرَى الكُتُبَ التِى أَوْصَاهُ بِشرَائِهَا سَيِّدِى مُحَمّد .. وَلَما أرَادَ الرُّجُوعَ ، وَجَّهَ مَعهُ السُّلْطَانُ عَبدُ الحَمِيد أَحَدَ كُتَّابِهِ بِهَدِيَّةٍ وَمَكَاتِبَ ، وَلَما قَدِمَ عَلَى السُّلْطَان ، وَبَلَّغَهُ مَكَاتِبَ السُّلْطَان عَبْدُ الحَمِيدِ وَهَدِيَّته ، وَقصَّ عَلَيْهِ خَبَرَ سِفَارَتِهِ ، وَمَا قَالَ وَمَا قِيلَ لَـهُ ، وَأَنَّهُـمْ أَبدَوْا لَهُ رَغْبَتَهُمْ فِى السَّلَفِ مِنَ المُتَرْجَم (3)، أَمَرَ بِتَوْجِيهِ وَجِيهِ الإِعَانَـةِ لِلدَّوْلَةِ عَلَى الجِهَادِ وَقَدْرُهَا سِتمائةُ الف رِيَالٍ وخَمْسِينَ أَلْفَ رِيَالٍ سَبَائِكَ ذَهَبِيَّةً، جَعَلَهَا فِى صَنَادِيقَ وَخَتَمَ عَلَيْهَا، وَوَجَّهَهَا عَلَى يَدِ مَلِك إِسْبَانْيَا، فَمَلِكَ فَرَنْسَا، وَهُوَ يُبَلِّغُهَا لِلسُّلْطَانِ عَبْدُ الحَمِيدِ. فَجَاءَ الجَوَابُ بِبُلُوغِ المَالِ فِى سِتِّينَ يَوماً ... وَقدْ بَيَّنَ الزَّيَانِى سِفَارَتَهُ هَذِهِ فِى كِتَابِهِ «التَّرْجَمانَةَ الكُبْرَى الجَامِعَةِ لِأَخْبَارِ المَعْمُورِ بَرّاً وَبَحْراً»

اتحاف اعلام الناس ج 3 ص 305

---

* فى كتاب « اتحاف اعلام الناس » فوائد كثيرة عن السفارات التى كانت بين ملوك المغرب ومختلف الدول الشرقية والغربية .

1) سيدى محمد بن عبد الله بن المولى اسماعيل، ولى ملك المغرب سنة 1171 هـ. (1757 م.) ، وتوفى سنة 1204 هـ. (1790 م.) قرب الرباط ودفن بهذه المدينة ــ عرف بالحزم والبر .

2) ابو القاسم بن احمد الزيانى ولد بفاس 1147 هـ. (1734 م.) وولى الكتابة والوزارة لسيدى محمد بن عبد الله والمولى اليزيد والمولى سليمان وصنف فى التاريخ كتاب «الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب» و«البستان الظريف فى دولة مولاى على الشريف» ، مات بفاس سنة 1249 هـ.

3) المترجم : هنا هو سيدى محمد بن عبد الله الذى يتكلم عنه المؤلف.

34) سودة بنت عمارة عند معاوية

اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ (I) بِنْتُ عِمَارَةَ بنِ الأَسَكِّ عَلَى مُعَاوِيَةَ (2) بنِ أَبِى سُفْيَانَ ، فَأَذِنَ لَهَا . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ : هِيهِ يَابِنْتَ الأَسَكِّ أَلَسْتِ القَائِلَةَ يَوْمَ صِفِّينَ (3) ، (كامل) .

شَمِّرْ كَفِعْلِ أَبِيكَ يَا ابْنَ عِمَارَةَ ... يَوْمَ الطِّعَانِ وَمُلْتَقَى الأَقْــرَانِ
وَانصُرْ عَلِيّاً وَالحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ ... وَاقْصِدْ لِهِنْدٍ (4) وَابْنِهَا بِهَوَانِ

قَالَتْ : أيْ وَاللَّهِ ! مَا مِثْلِي مَنْ رَغِبَ عَنِ الحَقِّ أَوْ اعْتَذَرَ بِالكَذِبِ .. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أرَى عَلَيْكِ مِنْ أثَرِ عَلِيٍّ شَيْئاً . قَالَتْ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَاأَمِيرَ المؤمِنينَ وَإِعَادَةَ مَا مَضَى .. لَقَدْ مَاتَ الرَّأسُ وَبُتِرَ الذَّنَبُ (5)، وَبِاللَّهِ أَسْأَلُ أَمِيرَ المؤمِنينَ إِعْفَائِى مِمَّا اسْتَعْفَيْتُ مِنْهُ. قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ، فَمَا حَاجَتُكِ ! قَالَتْ : إِنَّكَ أَصْبَحتَ لِلنَّاسِ سَيِّداً، وَأَمْرِهِمْ مُتَقَلِّداً، وَاللَّهُ سَائِلُكَ عَنْ أَمْرِنَا، وَمَا افْتَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ حَقِّنَا، وَلاَ يَزَالُ يقدَمُ عَلَيْنَا مَنْ يَبُوءُ بِعِزِّكَ، وَيَبْطِشُ بِسُلْطَانِكَ، هَذَا بُسْرُ بنُ أرْطَأَةَ قَدِمَ عَلَيْنَا ، فَقتَلَ رِجَالِي، وَأَخَذَ مَالِي .. وَلَوْلاَ الطَّاعَةُ لَكَانَ فِينَا عِزٌّ وَمَنْعَةٌ . فَأَمَّا عزلتهُ عَنَّا فَشَكَرْنَاكَ وَأَمَّا لاَ فَعَرفْنَاكَ. فَقَالَ مُعَاوِيةَ : أَتُهَدِّدِينِى بِقَوْمِكِ ؟ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْمِلَكِ عَلَى قَتَبٍ (6)

I) سودة : كانت من النساء اللاتى حضرن واقعة صفين فى صفـوف الامام على وكانت تحرض الجيوش وابن عمارة اخوها ، وقد ذكر صاحب العقد الفريد عدة من هؤلاء النساء كن وفدن فيما بعد على معاوية

2) معاوية : تقدمت ترجمته في قطعة IO

3) صفين : اسم المكان الذى كانت فيه آخر واقعة بين جيوش على ومعاوية وقد ختمت بالتحكيم

4) هند : ام معاوية .

5) مات الرأس وبتر الذنب : كناية عن موت الزوج والاولاد .

6) القتب : الرحل الذى يوضع على البعير ، وهنا البعير نفسه . والاشرس : الصعب الانقياد .

أشْرَس فَارْدَكَ إِلَيْهِ يَنْفذُ فِيكَ حُكْمَهُ . فَأَطْرَقَتْ تبْكِي ثُمَّ أَنْشَأَتْ تقولُ :

(بسيط)

صَلَّى الإلَهُ عَلَى جِسْمٍ تَضمنـــهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ العَدْلُ فِيهِ مَدْفُونَا
قَدْ حالَفَ الحَقَّ لاَ يَبْغِي بِهِ بَدَلاً فَصَارَ بِالحَــقِّ وَالإِيمَانِ مَقْرُونَا

قَالَ لَهَا : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ . قَالَ، وَمَا صَنَعَ بِكِ حَتَّى صَارَ عِنْدَكِ كَذَلِكَ ؟ قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَيْهِ فِي رَجُلٍ وَلاَّهُ صَدَقَتَنَا (7) قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ قِبَلِهِ ، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا بَيْنَ الغَثِّ وَالسَّمِينِ (8). فَأَتَيْتُ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ لأَشْكُو إِلَيْهِ مَا صنعَ بِنَا . فَوَجَدْتُهُ قَائِماً يُصَلِّي. فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ انْفَتَلَ مِنْ صَلاَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِي بِرَأفَةٍ وَتَعَطُّفٍ : أَلَكِ حَاجَةٌ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ الخَبَرَ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الشاهِدُ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ، إِنِّي لَمْ آمُرْهُمْ بِظُلْمِ خَلْقِكَ، وَلاَ بِتَرْكِ حَقِّكَ. ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ قِطْعَةَ جِلْدٍ فَكَتَبَ فِيهَا : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ فَسَاداً، بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (9). إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي فَاحْتَفِظْ بِمَا فِي يَدِكَ مِنْ عَمَلِنَا حَتَّى يَقْدَم عَلَيْكَ مَنْ يَقْبِضُهُ مِنْـــكَ وَالسَّلاَمُ» . فَأَخَذْتُهُ مِنْهُ وَاللَّهِ مَا خَتَمَهُ بِطِينٍ وَلاَ خَزَمَهُ (10) بِخِزَامٍ. فَقَرَأْتُهُ. فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ: لَقَدْ لَمَّظَكُمْ (11) ابنُ أَبِي طَالِبٍ الجُرْأَةَ عَلَى السُّلْطَانِ. فَبَطِيئاً مَا تُفْطَمُونَ. قَالَ : اكْتُبُوا لَهَا بِرَدِّ مَالِهَا وَالعَدْلِ عَلَيْهَا . قَالَتْ : أَلِيَ خَاصَّةً أَمْ لِقَوْمِي عَامَّةً ؟ قَالَ : مَا أَنْتِ وَقَوْمُكِ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ إِذَنْ الفَحْشَاءُ وَاللُّؤْمُ! إِنْ لَمْ يَكُنْ عَدْلاً شَامِلاً وَإِلاَّ فَأَنَا كَسَائِرِ قَوْمِي . قَالَ : اكْتُبُوا لَهَا وَلِقَوْمِهَا .

العقد الفريد ج 1 ص 211

---

7) ولاه صدقتنا : امره بجمع الزكاة .

8) الغث : المهزول ما بين الغب والسمين : ما بين القوى والضعيف .

9) من اول الرسالة الى بحفيظ : قرآن كريم .

10) خزمه : شده ـ والخزام : ما يشد به ـ والخزم ، شجر كالدوم . يفتل من لحائه الحبال .

11) لمظكم : ذوقكم .

35) فتًى عربيٌّ عند هشام بن عبد الملك

قَحِطَتِ البَادِيَةُ فِي أيَّامِ هِشَام بن عَبْدِ المَلِكِ (1)، فَقَدِمَتِ العَرَبُ مِنْ أَحْيَاءِ القَبَائِلِ. فَجَلَسَ هِشَامٌ لِرُؤَسَائِهِمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَفِيهِمْ دِرْوَاسُ بنُ حَبِيب (2) وَلَهُ أَرْبَعَ عَشَرَةَ سَنَةً، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ وَلَهُ ذُؤَابَةٌ، فَاسْتَصْغَرَهُ هِشَامٌ وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : مَا شَاءَ أحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلاَّ وَصَلَ حَتَّى الصِّبْيَان!.

فَعَلِمَ دِرْوَاسُ أنَّهُ يُرِيدُهُ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ إنَّ دُخُولِي لَمْ يَخِلَّ بِكَ شَيْئاً، وَقَدْ شَرَّفَنِي، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمِ قَدِمُوا لِأَمْرٍ أَحْجَمُوا دُونَهُ، وَانَّ الكَلاَمَ نَشْرٌ وَالسُّكُوتُ طَيٌّ، وَلاَ يُعْرَفُ الكَلاَمُ إلاَّ بِنَشْرِهِ . فَقَالَ هِشَام : فَانْشُرْهُ لاَ أَبَالَكَ (3) !! وَأَعْجَبَهُ كَلاَمُهُ .

فَقَالَ : «أَصَابَتْنَا ثَلاَثُ سِنِينَ : فَسَنَةٌ أَذَابَتْ الشَّحْمَ ، وَسَنَةٌ أَكَلَتِ اللَّحْمَ، وَسَنَةٌ نَقَتِ العَظْمَ. وَفِي أَيْدِيكُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ. إِنْ كَانَتْ لِلَّهِ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ المُسْتَحِقِّينَ لَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَعَلاَمَ تَحْبِسُونَهَا عَنْهُمْ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ وَلاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ إِنَّ الوَالِي مِنَ الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ مِنَ الجَسَدِ: لاَ حَيَاةَ لِلْجَسَدِ إلاَّ بِهِ» .

فَقَالَ هِشَامٌ : «مَا تَرَكَ الغُلاَمُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلاَثِ عُذْراً» ، وَأَمَرَ أنْ يُقَسَّمَ فِي بَادِيَتِهِ مِائَةُ أَلفِ دِرْهَمٍ وَأَمَرَ لِدِرْوَاس بِمائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ ارْدُدْهَا إِلَى أَعْطِيَةِ أَهْلِ بَادِيَتِي ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَن يَعْجِزَ مَا أَمَرَ لَهُمْ بِهِ أَمِيرُ المؤمِنِينَ عَنْ كِفَايَتِهِمْ ، قَالَ : فَمَا لَكَ حَاجَةٌ تَذْكُرُهَا لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : مَا لِي حَاجَةٌ دُونَ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ !!

لباب الآداب 353 – من كتاب قصص العرب ج 1 ص 260

---

1) هشام بن عبد الملك خليفة اموى بويع له سنة 105 هـ. (724 م.) سكن الرصافة قرب الفرات وبها مات سنة 125 هـ. (743 م.) عرف بالحزم والاقتصاد وفى عهده وقعت معركة بلاط الشهداء بفرنسا .

2) درواس بن حبيب : يظهر انه لا اثر له فى كتب السير .

3) لا ابالك : عبارة تقال مدحا او شتما لمن له اب ولمن لا اب له .

4) نقا ينقو نقوا : العظم استخرج نقيه اى مخه .

البـــاب الثانى

الفصل الثالث

الوعظ والنهى عن المنكر

قَالَ للهُ تَعَالَى : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

يُعْتَبَرُ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ مِنَ الوَاجِبَاتِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ . قَالَ تَعَالَى : «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ» . وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ» . وَقَدْ فَسَّرَ العُلَمَاءُ لَفْظَةَ «أُمَّة» فِي الآيَةِ الثَّانِيَةِ بِطَائِفَةٍ وَجَمَاعَةٍ .

وَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» .

وَلَقَدْ تَصَدَّرَ الكَثِيرُ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَةِ لِلْقِيَامِ بِهَـذَا الوَاجِبِ فِي المَسَاجِدِ وَالأَسْوَاقِ وَالبَلاَطَاتِ. فَكَانُوا يُحَبِّرُونَ الفُصُولَ، وَيَرْتَجِلُونَ الخُطَبَ، زَاجِرِينَ عَنِ المُنْكَرَاتِ مِنْ شُرْبِ خَمْرٍ أَوْ هَتْكِ حُرْمَةٍ أَوْ إِسْرَافٍ فِي بِنَاءٍ أَوْ جَوْرٍ فِي حُكْمٍ .

وَتَعَرَّضَ جُلُّهُمْ لِسُخْرِيَةِ الجُهَّالِ وَالمُبْطِلِينَ وَانْتِقَامِ الجَبَابِرَةِ الظَّالِمِينَ.

وَإِذَا كَانَ رِجَالُ الدِّينِ يُعْرِضُونَ عَادَةً عَنِ الاتِّصَالِ بِالخُلَفَاءِ وَالمُلُوكِ،

خَوْفاً مِنْ أَنْ يُحْمَلُوا عَلَى تَأْيِيدِ الجَائِرِينَ أَوْ مَنْ يَعْتَبِرُ سُكُوتَهُمْ أَوْ غَفْلَتَهُمْ تَشْجِيعاً لِلآثِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُ زَمَنٌ مِنْ عُلَمَاءَ جَابَهُوا أَرْبَابَ السُّلْطَةِ ، غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ وَلاَ هَيَّابِينَ ، لِيزْجُرُوهُمْ عَنِ المحَرَّمَاتِ وَيُنَبِّهُوهُمْ إِلَى مَا يَقَعُ فِي بِلاَدِهِمْ مِمَّا يَضُرُّ بِكَرَامَةِ الرَّعَايَا أَوْ يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ مَعَاشَهُمْ .

وَلَقَدْ ذَكَرْنَا فِي هَذَا البَابِ زُمْرَةً مِمَّنْ وَاجَهُوا الأَكَابِرَ بِالْحَقِّ وَاكْتَفَيْنَا بِذَلِكَ مُعْتَبِرِينَ أَنَّهُ مَتَى صَلُحَ الأَصْلُ صَلُحَ الفَرْعُ .

36) عمر بن عبد العزيز على فراش الموت

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ القُرَضِيُّ (1) : دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ (2)، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي مَرَضِهِ الذِى مَاتَ فِيهِ . فَجَعَلْتُ أُحِدُّ النظَرَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لِي: يَاابنَ كَعْبٍ مَا لَكَ تحدُّ النَّظَرَ إِلَيَّ ؟ قُلْتُ : لِما نحل مِنْ جِسْمِكَ ، وَتغيَّرَ مِنْ لَوْنِكَ! قَالَ : لَوْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ ثَلاثَةٍ فِي قَبْرِي، وَقَدْ سَالَتْ حَدَقَتَايَ (3) عَلَى وَجْنَتَيَّ، وَابْتَدَرَ فَمِي وَأَنْفِي صَدِيداً وَدُوداً، لَكُنْتَ لِي أَشَدَّ نَكْرَةً !! أَعِدْ عَلَيَّ حَدِيثاً كُنْتَ حَدَّثْتَنِيهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ (4) . قُلْتُ : سَمِعْتُ ابنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفاً، وَإِنَّ أَشْرَفَ المَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ القِبْلَةَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَعَزَّ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَارَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «مَن نَزَلَ وَحْدَهُ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ (5)، وَجَلَدَ عَبْدَهُ . ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا: بَلَى يَارَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «مَنْ لاَ يُقِيلُ عَثْرَةً ، وَلاَ يَقْبَلُ مَعْذِرَةً . ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَارَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ . ثُمَّ قَالَ : أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَارَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ . إِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ

---

1) محمد بن كعب القرضي : راوية اخبارى وقاص يكنى ابا حمزة . مات سنة 117 هـ. (835 م.)

2) عمر بن عبد العزيز : انظر ترجمته في قطعة 13 .

3) الحدقة : سواد العين الاعظم .

4) ابن عباس : تقدمت ترجمته رقم 3 .

5) الرفد : العطاء والمعونة .

6) أقال عثرته : انهضه من سقوطه وهنا عفا عنه وصفح .

قَامَ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيل فَقَالَ : يَابَنِي إِسْرَائِيلَ : لاَ تَتَكَلَّمُوا بِالحِكْمَةِ عِنْدَ الجُهَّالِ فَتَظْلِمُوهَا ، وَلا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ ، وَلا تُكَافِئُوا ظَالِماً فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ . يَابَنِي إِسْرَائِيلَ ، الأُمُورُ ثَلاثَةٌ : أَمْرٌ تَبَيَّنَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ غَيُّهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَأَمْرٌ اخْتُلِفَ فِيهِ فَإِلَى اللَّهِ رُدُّوهُ» .

البيان والتبيين ج 2 ص 3I



37) عبد الله بن مروان [1] وملك النوبة

أَمَرَ المَنْصُورُ (2) بإِخْرَاجِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَرْوَانَ مِنْ حَبْسِهِ، وَإِحْضَارِهِ فِي مَجْلِسِه . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ : قُصَّ عَلَيَّ قِصَّتَكَ وَقِصَّةَ مَلِكِ النُّوبَةَ . قَالَ : «يَا أَمِيرَ المؤمنِينَ قَدِمْتُ إِلَى النُّوبَةِ ، فَأَقَمْتُ بِهَا ثَلَاثاً ، فَأَتَانِي مَلِكُهَا، فَقَعَدَ عَلَى الأَرْضِ ، وَقَدْ أَعْدَدْتُ لَهُ فِرَاشاً . فَقُلْتُ: مَا مَنَعَكَ مِنَ القُعُودِ عَلَى فِرَاشِنَا ؟ فَقَالَ : لِأَنِّي مَلِك ، وَحُقَّ لِكُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَفَعَهُ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ : لِمَ تَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيكُم فِي كِتَابِكُمْ ؟ فَقُلْتُ : اجْتَرَأَ عَلَى ذَلِكَ عَبِيدُنَا وَأَتْبَاعُنَا ، قَالَ : فَلِمَ تَطَئُونَ الزَّرْعَ (3) بِدَوَابِّكُمْ ؟ وَالفَسَادُ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ ؟ فَقُلْتُ: فَعَلَ ذَلِكَ أَتْبَاعُنَا وَعَبِيدُنَا لِجَهْلِهِمْ . قَالَ : لِمَ تَلْبَسُونَ الدِّيبَاجَ وَالحَرِيرَ وَالذَّهَبَ وَهُوَ .مُحَرَّمٌ عَلَيكُمْ فِي كِتَابِكُمْ وَدِينِكُمْ ؟ فَقُلْتُ: ذَهَبَ مِنَّا المَلكُ وَانْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ العَجَمِ دَخَلُوا فِي دِينِنَا فَلَبِسُوا ذَلِكَ عَلَى الكُرْهِ مِنَّا. فَأَطْرَقَ إِلَى الأَرْضِ يُقَلِّبُ يَدَهُ مَرَّةً ، وَيَنْكُتُ فِي الأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَيَقُولُ : عَبِيدُنَا وَأَتْبَاعُنَا وَأَعَاجِمَ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِي دِينِنَا !! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَرَكِبْتُمْ مَا عَنْهُ نُهِيتُمْ ، وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكْتُمْ ، فَسَلَبَكُمُ اللَّهُ العِزَّ ، وَأَلْبَسَكُمُ الذُّلَّ بِذُنُوبِكُمْ . وَلِلَّهِ فِيكُمْ نِقْمَةٌ لَمْ تَبْلُغْ غَايَتَهَا فِيكُمْ . وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَحِلَّ بِكُمُ العَذَابُ وَأَنْتُمْ بِبَلَدِي فَيَنَالَنِي مَعَكُمْ، وَإِنَّمَا الضِّيَافَةُ ثَلَاثٌ فَتَزَوَّدْ مَا احْتَجْتَ إِلَيْهِ، وَارْحَلْ عَنْ أَرْضِي » . فَتَعَجَّبَ المَنْصُورُ وَأَطْرَقَ مَلِيّاً ، فَرَقَّ لَهُ وَهَمَّ بِإِطْلَاقِهِ ..

مروج الذهب ج 3 ص 2II

I) عبد الله بن مروان : هو احد ابناء مروان آخر ملوك بنى امية بالشام ـ كان فر الى بلاد النوبة بعد انهزام ابيه وقتله بصعيد مصر ـ وقد القى بنو العباس القبض على كثير من الامويين وانصارهم وكان عبد الله من جملتهم .

2) ابو جعفر المنصور : تقدمت ترجمته رقم 2I .

3) تطئون الزرع بدوابكم : يشير هنا الى خروجهم الى الصيد .

38) ان هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم !

دَخَلَ عَمْرُو بن عُبَيْد (1) عَلَى المَنْصُورِ (2) فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقِفُكَ وَيُسَائِلُكَ عَنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَأَنَّ الأُمَّةَ خُصَمَاؤُكَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَأَنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَرْضَى عَنْكَ إِلاَّ بِمَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . أَلاَ وَإِنَّكَ لاَ تَرْضَى لِنَفْسِكَ إِلاَّ أَنْ يعدلَ عَلَيْكَ . وَأَنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَرْضَى مِنْكَ إِلاَّ بِأَنْ تَعْدِلَ عَلَى الرَّعِيَّةِ . يَاأَمِيرَ المُؤمِنِينَ إِنَّ وَرَاءَ بَابِكَ نِيرَاناً تَتَأَجَّجُ مِنَ الجَوْرِ . وَاللّٰهِ مَا يُحْكَمُ وَرَاءَ بَابِكَ (3) بِكِتَابِ اللّٰهِ وَلاَ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

فَبَكَى المَنْصُورُ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ بنُ مُجَالِد ، وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ المَنْصُورِ : يَاعَمْرُو قَدْ شَقَقْتَ عَلَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ . فَقَالَ عَمْرُو : يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَخُوكَ سُلَيْمَانُ بنُ مُجَالِد. قَالَ عَمْرُو : وَيْلَكَ يَاسُلَيْمَانَ . إِنَّ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ يَمُوتُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا تَرَاهُ يُفْقَدُ ، وَإِنَّكَ جِيفَةُ عَذَابِ الفَنَاءِ ، لاَ يَنْفَعُكَ إِلاَّ عَمَلٌ صَالِحٌ قَدَّمْتَهُ ، وَلَقُرْبُ هَذَا الجِدَارِ أَنْفَعُ لأَمِيرِ المُؤمِنِينَ مِنْ قُرْبِكَ ، إِذْ تَطْوِى عَلَى النَّصِيحَةِ ، وَتَنْهَى مَنْ يَنْصَحُهُ . يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إِنَّ هَؤُلاَءِ اتَّخَذُوكَ سُلَّماً إِلَى شَهَوَاتِهِمْ ! قَالَ المَنْصُورُ : أَصْنَعُ مَا ذَا؟ ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ أَوَلِّهِمْ . قَالَ: ادْعُهُمْ بِعَمَلٍ صَالِحٍ تُحْدِثُهُ . وَمُرْ بِهَذَا الخِنَاقِ فَلْيُرْفَعْ عَنْ أَعْنَاقِ النَّاسِ ، وَاسْتَعْمِلْ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ عُمَّالاً كُلَّمَا رَابَكَ مِنْهُمْ رَيْبٌ أَوْ أَنْكَرْتَ عَلَى رَجُلٍ عَزَلْتَهُ وَوَلَّيْتَ غَيْرَهُ. فَوَاللّٰهِ لَئِنْ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ إِلاَّ العَدْلَ لَيَتَقَرَّبَنَّ بِهِ إِلَيْكَ مَنْ لاَ نِيَّةَ لَهُ فِيهِ .

من كتاب المحاسن والمساوى للبيهقى

---

1) عمرو بن عبيد البصرى العابد الزاهد المعتزلى ، مات بطريق مكة سنة 142 هـ.

2) المنصور : تقدمت ترجمته رقم 21

3) وراء بابك : خارج قصرك وفى بلادك .

39) القاضي المنذر بن سعيد عند الناصر

اتَّخذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ (1) لِسَطْحِ القُبَيْبَةِ ، المصَغَّرةِ الاسْمِ لِخُصُوصيَّةٍ ، التي كانَتْ مَائِلَةً عَلَى الصَّرْحِ المُمَرَّدِ المَشْهُورِ ، شَأْنُهُ بِقَصْرِ الزَّهْرَاءِ ، قَرَامِيدَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، أَنْفَقَ عَلَيْهَا مَالاً جَسِيماً ، وَقَرْمَدَ سَقْفَهَا بِهِ ، وَجَعَلَ سَقْفَهَا صَفْرَاءَ فَاقِعَةً إِلَى بَيْضَاءَ نَاصِعَةٍ تَسْتَلِبُ الأَبْصَارَ بِأَشِعَّةِ نُورِهَا . وَجَلَسَ فِيهَا ، آخِرَ تَمَامِهَا ، يَوْماً لأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . فَقَالَ لِقَرَابَتِهِ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الوُزَرَاءِ وَأَهْلِ الخِدْمَةِ ، مُفْتَخِراً عَلَيْهِمْ بِمَا صَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ ، مَعَ مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ البَدَائِعِ الفَتَّانَةِ : «هَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ مَلِكاً قَبْلِي فَعَلَ هَذَا أَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالُوا : لاَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ المؤمنِينَ وَإِنَّكَ لأَوْحَدُ فِي شَأْنِكَ كُلِّهِ ، وَمَا سَبَقَ إِلَى مُبْتَدَعَاتِكَ هَذِهِ مَلِكٌ رَأَيْنَاهُ ، وَلاَ انْتَهَى إِلَيْنَا خَبَرُهُ . فَأَبْهَجَهُ قَوْلُهُمْ وَأَسَرَّهُ ، وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ القَاضِي المُنْذِرُ بنُ سَعِيدٍ البُلُّوطِي (2) نَاكِسَ الرَّأْسِ . فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ ، قَالَ لَهُ كَالذِي قَالَ لِوُزَرَائِهِ . فَأَقْبَلَتْ دُمُوعُ القَاضِي تَتَحَدَّرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ المؤمنِينَ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّيْطَانَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، يَبْلُغُ مِنْكَ هَذَا المَبْلَغَ ، مَعَ مَا أَتَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ، حَتَّى يُنْزِلَكَ مَنْزِلَةَ الكَافِرِينَ . فَانْفَعَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَالَ : انْظُرْ مَا تَقُولُ ! وَكَيْفَ أَنْزَلَنِي مَنْزِلَتَهُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : «وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ ، لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» ؟ فَوَجَمَ الخَلِيفَةُ ، وَأَطْرَقَ مَلِيّاً ، وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ خُشُوعاً لِلَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى المُنْذِرِ وَقَالَ لَهُ : جَازَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا القَاضِي عَنَّا وَعَنْ نَفْسِكَ خَيْراً وَعَنِ الدِّينِ وَالمُسْلِمِينَ أَجَلَّ جَزَائِهِ . وَقَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَمَرَ بِنَقْضِ سَقْفِ القُبَيْبَةِ ، وَأَعَادَ قَرَامِيدَهَا تُرَاباً كَغَيْرِهَا .

نفح الطيب ج 1 ص 268

---

1) الناصر : تقدمت ترجمته قطعة رقم 31

2) المنذر بن سعيد البلوطي : كان قاضي الجماعة بقرطبة من سنة 339 هـ. الى سنة 355 هـ. كان متفننا في ضروب العلم نزيها ورعا .

40) وزير يعظ ملكا

حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ الوَزِيرُ عَلِيُّ بنُ يُوسُفَ القِفْطِيُّ (1) الأَكْرَم، أَدَامَ اللّٰهُ تَمْكِينَهُ ، قَالَ : خَرَجْتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ 15 ذِي القِعْدَةِ سَنَةَ 618 إِلَى ظَاهِرَ مَدِينَةِ حَلَب ، عَلَى سَبِيلِ التَّسْيِيرِ ، فَرَأَيْتُ عَلَى جَانِبِ قُوَيْف (2) عِدَّةَ مَشَايِخَ بِيضِ اللِّحَى ، وَقَدْ سَكِرُوا مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ ، وَهُمْ عُرَاةٌ يُصَفِّقُونَ وَيَرْقُصُونَ عَلَى صُورَةٍ مُنْكَرَةٍ بَشِعَةٍ ، فَاسْتَعَذْتُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . وَرَجَعْتُ مَغْمُوماً وَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ وَرَكِبتُ لِلطُّلُوعِ إِلَى القَلْعَةِ، اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ صَعْلُوكٌ ، فَقَالَ : «انظُرْ فِي حَالِي ، نَظَرَ اللّٰهُ إِلَيْكَ يَوْمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ المُتَّقُونَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا خَبَرُكَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ صَعْلُوكٌ، وَكَانَ لِي دَابَّةٌ اسْتَرْزِقُ عَلَيْهَا لِلْعَائِلَةِ ، فَاتَّهَمَنِي الوَالِي بِالخُيُولِ بِسَرِقَةِ المِلْحِ، فَأَخَذَ دَابَّتِي، ثُمَّ طَالَبَنِي بِجِبَايَةٍ . فَقُلْتُ : خُذْ الدَّابَّةَ . فَقَالَ : قَدْ أَخَذْتُهَا وَأُرِيدُ جِبَايَةً أُخْرَى»فَقُلْتَ لَهُ: «أَبْشِرْ بِمَا يَسُرُّكَ. وَطَلَعْتُ إِلَى صَاحِبِ الأَمْرِ يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ الأَمِيرُ الكَبِيرُ أَتَابَك طُغْرُل الظَّاهِرِي ، (3) وَقُلْتُ : «رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ : «ثَلاثَةُ أَشْيَاءَ مُبَاحَةٌ لِلنَّاسِ مُشْتَرِكُونَ فِيهَا : الكَلأَ وَالمَاءَ وَالمِلْحَ» ، وَقَدْ جَرَى كَيتُ وَكَيتُ .. وَلَا يَلِيقُ بِمِثْلِكَ ـ وَأَنْتَ

---

1) القفطى : هو صاحب كتاب أخبار العلماء (انظر ترجمته فى آخر الكتاب)

2) قويف : نهر صغير قرب حلب .

3) اتابك طغرل الظاهرى : اتا معناها اب ، وبك : امير . وقد كان يسمى بهذا الاسم الموالى الاتراك الذين كانوا يربون امراء بنىالعباس في عهد الانحلال السياسى (القرن الحادى عشر المسيحى) ، ومنهم من صاروا قادة للجيش وولاة واسسوا دولا صغيرة ابان الحروب الصليبية ، وطغرل الظاهرى احدهم ، وينسب الى الظاهر غياث الدين غازى (582 هـ. 1186 م.) .

تامّة وقتك جالسٌ ، على مُصلّاك ، مُستقبلُ القبْلة ، والسُّبْحة في يدك ، ان تكونَ هذه الأشياء في بلدك » فقال : «اكْتب السّاعة إلى جميع النّواحي برفْع الجبايات ، ومحْو اسْمها أصْلاً ـ ومُر الوُلاة أنْ يعْملوا بكتاب اللّه وسنّة رسوله ، ومَنْ وجب عليْه حدٌّ من الحُدُود الشّرْعيّة يُقام فيه على الفوْر، ولا يلْتمس منْه شيءٌ آخر. ومُر السّاعة بإراقة كُلّ خمْرٍ في المدينة. واكْتبْ إلى جميع النواحي التي تحْت حُكْمي بمثْل ذلك وأوْعدْ منْ يُخالفُ ذلك عُقوبتنا في الدُّنْيا عاجلاً ، وعُقوبة الخالق في الآخرة آجلاً» فخرجْتُ وجلسْتُ في الديوان وكتبْتُ بيدي ولمْ أسْتعنْ بأحدٍ .

معجم الادباء ج 15 ص 195

41) الشجاعة الادبية

لَمّا خَرَجَ الظَّاهِرُ «بِيبَرْس» (1) إِلَى قِتَالِ التَّتَارِ بِالشَّامِ، أَخَذَ فَتَاوَى العُلَمَاءِ بِأَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ أَخْذَ مَالٍ مِنَ الرَّعِيَّةِ لِيَسْتَنْصِرَ بِهِ عَلَى قِتَالِ العَدُوِّ. فَكَتَبَ لَهُ فُقَهَاءُ الشَّامِ بِذَلِكَ. فَقَالَ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ؟ فَقِيلَ: نَعَمْ، بَقِيَ الشَّيخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِي (2)، فَطَلَبَهُ فَحَضَرَ. فَقَالَ الشَّيْخُ: «أَكْتُبُ أَنَّكَ كُنْتَ فِي الرِّقِّ لِلأَمِيرِ «بُنْدُقْدار» وَلَيْسَ لَكَ مَالٌ، ثُمَّ مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ، وَجَعَلَكَ مَلِكاً! وَسَمِعْتُ أَنَّ عِنْدَكَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ، كُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ حِيَاصَةٌ (3) مِنَ الذَّهَبِ، وَعِنْدَكَ مِائَتَا جَارِيَةٍ، لِكُلِّ جَارِيَةٍ حُقٌّ مِنَ الحُلِيّ! فَإِذَا أَنْفَقْتَ كُلَّ ذَلِكَ، وَبَقِيَتْ مَمَالِيكُكَ بِالبُنُودِ (4) الصُّوفِ بَدَلاً مِنَ الحَوَائِصِ وَبَقِيَتِ الجَوَارِي بِثِيَابِهِنَّ دُونَ الحُلِيِّ، أَفْتَيْتُكَ بِأَخْذِ المَالِ مِنَ الرَّعِيَّةِ». فَغَضِبَ الظَّاهِرُ مِنْ كَلامِهِ، وَقَالَ: اخْرُجْ مِنْ بَلَدِي! (يَعْنِي دِمَشْقَ). فَقَالَ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ! وَخَرَجَ إِلَى «نَوَا». فَقَالَ الفُقَهَاءُ: إِنَّ هَذَا مِنْ كِبَارِ عُلَمَائِنَا وَصُلَحَائِنَا، وَمِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ، فَأَعِدْهُ إِلَى دِمَشْقَ، فَرَسَمَ بِرُجُوعِهِ، فَامْتَنَعَ الشَّيْخُ وَقَالَ: «لا أَدْخُلُهَا وَالظَّاهِرُ بِهَا!» فَمَاتَ الظَّاهِرُ بَعْدَ شَهْرَيْنِ.

من كتاب اخلاق العلماء ص 179

---

1) الظاهر بيبرس : احد مؤسسي دولة المماليك بمصر وهو الذى انقذ الخليفة العباسي المستنصر بالله بعد ان خرب المغول بغداد، ثم جعل مركز الخلافة العباسية بمصر. قاتل المغول والصليبيين، مات سنة 675 هـ. (1277 م.) .

2) محيي الدين ابو زكرياء، يحيى النووى : هو صاحب كتب كثيرة فى الفقه الشافعى وله كتاب الاربعين (فى الاحاديث)، كانت وفاته سنة 676 هـ. (1278 م.) فى مسقط راسه نوا قرب دمشق

3) حياصة : حزام .

4) بنود : حبال مفردها بند .

البـــاب الثانى

الفصل الرابع

الحروب

قَالَ تَعَالَى : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ؛ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ. اللهُ يَعْلَمُهُمْ. وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ »

يَشْهَدُ مَا نَعْرِفُهُ مِنْ تَارِيخِ الْبَشَرِ أَنَّ الْحُرُوبَ ضَرُورَةٌ، وَقَدْ قَدَّرَ الإِسْلَامُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ بِقَدْرِهَا فَحَصَرَهَا فِى دَائِرَةٍ ضَيِّقَةٍ مِنَ الشُّرُوطِ وَالقُيُودِ . (اقْرَأْ وَصِيَّةَ أَبِى بَكْرٍ لِلْجَيْشِ) .

وَالجِهَادُ بِحَسَبِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَبِحَسَبِ رُوحِ الدِّيَانَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لَيْسَ مَعْنَاهُ قَتْلَ المخَالِفِينَ فِى الدِّينِ بِدُونِ شَرْطٍ وَلَا رَحْمَةٍ ، كَمَا يَفْهَمُهُ الكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ .

قَبْلَ الإِسْلَامِ كَانَتْ قَبَائِلُ العَرَبِ تَتَطَاحَنُ لِأَتْفَهِ الأَسْبَابِ، وَكَانَ يَتَنَازَعُ سِيَادَةَ العَالَمِ دَوْلَتَانِ عَظِيمَتَانِ : «الرُّومُ وَالفُرْسُ» .

أَمَرَ الإِسْلَامُ بِالجِهَادِ لِلدِّفَاعِ عَنِ العَقِيدَةِ سَائِراً وَالمبْدَأَ السَّامِى : «لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ»، فَوَجَدَ فِى العَرَبِ الذِينَ أَلِفُوا النِّضَالَ، وَمَارَسُوا القِتَالَ، أَبْطَالاً قَدْ زَادَهُمُ الإِيمَانُ رَغْبَةً فِى الشَّهَادَةِ، . فَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ فُنُونَ الحَرْبِ عَنِ الدُّوَلِ التِى قَاتَلُوهَا،وَعَمَّنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنَ المسْلِمِينَ المخْتَلِفِى الأَجْنَاسِ، وَتَمَّ اسْتِعْدَادُهُمْ فِى بِضْعِ سِنِينَ، فَأَنْشَئُوا دِيوَانَ الجُنْدِ، وَأَقَامُوا الحُصُونَ وَالمعَسْكَرَاتِ وَتَجَهَّزُوا بِالآلَاتِ الحَرْبِيَّةِ الكَامِلَةِ وَنَظَّمُوا اللقَاءَ وَاتَّخَذُوا دُوراً لِصِنَاعَةِ السُّفُنِ وَرَكِبُوا البَحْرَ .

وَكَانَتِ الشُّعُوبُ فِى غَالِبِ الأَحْيَانِ لَا تُقَاوِمُهُمْ مُقَاوَمَةً عَنِيفَةً، لِأَنَّ الاخْتِلَافَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَظُلْمِ الحُكَّامِ المسَيْطِرِينَ عَلَيْهِمْ، كَانَتْ قَدْ أَرْهَقَتْهُمْ

وَقَوَّضَتْ دَعَائِمَهُمْ، فَلَمْ تَمُرَّ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى انْتَشَرَ الإِسْلَامُ مِنْ آسْيَا الشَّرْقِيَّةِ إِلَى جَنُوبِ فَرَنْسَا، وَسَادَتْ فِي هَذِهِ الأَقْطَارِ رُوحَ التَّسَامُحِ وَالعَدْلِ، فَاسْتَأْنَفَتْ سَيْرَهَا فِي طَرِيقِ الرُّقِيِّ وَالحَضَارَةِ .

بعض المراجع :

1) حضارة العرب : لكسطاف ليون (الفصل الثالث) .
2) تاريخ التمدن الاسلامي : لجرجي زيدان ج.
3) السياسة البشرية : لعبد الوهاب خلاف .
4) النظم الاسلامية : للدكتور حسن ابراهيم حسن (الجيش) .
5) تقاليد الفروسية عند العرب : وضعه بالفرنسية الاستاذ واصف بطرس غالي وعربه الدكتور أنور لوقا .
6) الفتوة عند العرب : تأليف عمر الدسوقي .



42) وصية ابي بكر لقائد الجيش

لما وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (1) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَزِيدُ بنَ أَبِى سُفْيَانَ (2) لِفَتْحِ الشَّامِ، وَصَّاهُ فقالَ: « قَدْ وَلَّيْتُكَ لِأَبْلُوَكَ وَأُجَرِّبَكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مِثْلَ الذى يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ .. وَإِذَا أَقْدَمْتَ عَلَى جُنْدِكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، وَابْدَأْهُمْ بِالخَيْرِ وَعِدْهُمْ إِيَّاهُ . وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ : فَإِنَّ كَثِيرَ الكَلَامِ يُنْسِى بَعْضُهُ بَعْضاً . وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يُصْلِحْ لَكَ النَّاسُ . وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا . وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ ، وَأَقْلِلْ لُبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ ، وَأَنْزِلْهُمْ فِى ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ (3) .. وَكُنْ أَنْتَ المُتَوَلِّى لِكَلَامِهِمْ .. وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَاصْدُقِ الحَدِيثَ تَصْدُقْ لَكَ المَشُورَةُ .. وَاسْمُرْ بِاللَّيْلِ فِى أَصْحَابِكَ تَأْتِكَ الأَخْبَارُ .. وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ، وَبَدِّدْهُمْ فِى عَسْكَرِكَ، وَأَكْثِرْ مُفَاجَأَتَهُمْ فِى مَحَارِسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبْهُ فِى غَيْرِ إِفْرَاطٍ . وَأَعْقِبْ بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الأَخِيرَةِ : فَإِنَّهَا أَيْسَرُهَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ .. وَلَا تَغْفَلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ . وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ . وَلَا تَكْشِفِ النَّاسَ عَلَى أَسْرَارِهِمْ ، وَاكْتَفِ بِعَلَانِيَتِهِمْ . وَلَا تُجَالِسِ العَبَّاثِينَ، وَجَالِسْ

---

1) ابو بكر الصديق : (انظر ترجمته فى قطعة 12) .

2) يزيد بن ابى سفيان : هو اخو معاوية توفى بالشام فى طاعون عمواس سنة 18 هـ. ولم يترك أولادا .

3) انزلهم فى ثروة عسكرك : اى وسط احسن عسكرك لباسا واظهرهم نعما .

4) العباثون من عبث لعب وهزل : هم الذين يملأون اوقاتهم باللعب واللهو .

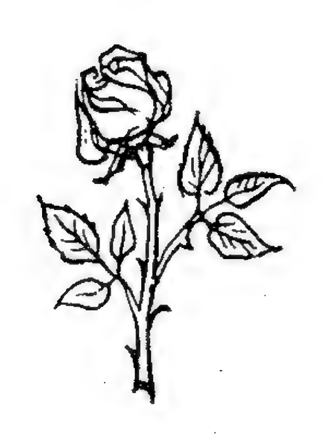
أَهْلَ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ، وَاصْدُقِ اللِّقَاءَ (5) وَلَا تَجْبُنْ فَيَجْبَنَ النَّاسُ، وَاجْتَنِبْ الخِيَانَةَ : فَإِنَّهَا تُقَرِّبُ الفَقْرَ وَتَدْفَعُ النَّصْرَ . وَسَتَجِدُونَ أَقْوَاماً (6) حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعْهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ »

عن ابن الاثير

---

5) اصدق اللقاء : اى كن شجاعا مقداما فى ملاقاة الاعداء .

6) اقواما : يشير هنا الى الرهبان الذين يسكنون الاديرة وكان المسلمون لا يتعرضون لهم .



43) وصية ابي بكر رضى الله عنه للجيش

لما أشخص رضيَ اللّهُ عنهُ الجيْشَ الذى كانَ على رأسِهِ أسامَةُ بنُ زيدِ ابنِ حارِثَةَ (1)، شيَّعهُ ماشياً، وأسامَةُ راكِباً ؛ وعبدُ الرَّحمنِ بنِ عوْفٍ (2) يقودُ دابَّةَ أبِي بكرٍ، ثمَّ قالَ : «يا أيُّها النَّاسُ قِفوا أوصيكُمْ بعشْرٍ فاحفظوها عنِّي : لاَ تخونوا ، ولاَ تغلُّوا (3)، ولاَ تغدُروا ، ولاَ تمثِّلوا (4)، ولاَ تقتلوا طِفلاً صغيراً ولاَ شيْخاً كبيراً ولا امْرأةً ، ولاَ تعقرُوا نخْلاً ولاَ تحرقوهُ ، ولاَ تقطعوا شجرةً مُثمرةً ، ولاَ تذبحوا شاةً ولاَ بقرةً ولا بعيراً إلاَّ لمأكلةٍ ، وسوْف تمرُّونَ بأقوامٍ قدْ فرَّغوا أنفسَهُمْ في الصَّوامِعِ فدعوهُمْ وما فرَّغوا أنفسَهُمْ لهُ . وسوْفَ تقدمونَ على قومٍ يأتونكمْ بآنيةٍ فيها ألوانُ الطَّعامِ، فإذا أكلتُمْ منْها شيْئاً بعْدَ شيْءٍ فاذكُروا اسْمَ اللهِ عليْهَا . وتلقونَ أقوامـاً قدْ فحصوا أوْساطَ (5) رؤوسِهِمْ ، وترَكوا حوْلَها مثلَ العصائِبِ، فاخفقوهُمْ بالسَّيفِ خفقاً (6) . اندفِعوا باسْمِ اللّهِ» .

(عنِ الطَّبرِي) ـ «أبو بكرٍ الصِّدِّيق» للشَّيْخِ علِي الطَّنطاوِي ص 183

---

1) أسامة : هو ابن زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انفذه ابو بكر الى الشام ثم استخلفه على المدينة وبها توفى سنة 54 هـ. (675 م.) .

2) عبد الرحمن بن عوف : هو ابو محمد القرشى الصاحبى . كان من المهاجرين الاولين وحضر اكثر الغزوات مع النبى صلى الله عليه وسلم مات سنة 32 هـ. (653) م. وهو ابن 72 سنة .

3) غل يغل غلولا : خان. وغل (يغل غلا وغليلا) صدره : كان ذا حقد وغش

4) مثل به ومثل : نكل به وعذبه ليحذر غيره ويجعله عبرة له .

5) اقواما قد فحصوا اوساط رؤوسهم : هم طائفة من رجـال الدين المسيحيين.وحلق وسط الراس علامة على أنهم انخرطوا فى سلك الرهبان .

6) خفقهم بالسيف : ضربهم به ضربا خفيفا .

44) المطالبة قبل انتشاب الحرب

كَتَبَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ (1) إِلَى رُسْتُمَ (2) صَاحِبِ الأَعَاجِـمِ : «إِسْلاَمُكمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَنَائِمِكمْ ، وَقِتَالُكمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صُلْحِكمْ». فَبَعَثَ إِلَيْهِ رُسْتُمَ : «أَنْتُمْ كَالذُّبَابِ، إِذَا نَظَرَ العَسَلَ، قَالَ : مَنْ يُوصِلُنِي إِلَيْهِ بِدِرْهَمَيْنِ ؟ فَإِذَا نشبَ فِيهِ، قَالَ : مَنْ يخْرِجُنِي مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ ؟ وَأَنْتَ طَامِعٌ وَالطَّمَعُ سَيُرْدِيكَ» . فَأَجَابَهُ سَعْدُ : «أَنْتُمْ قَوْمٌ تُحَادُّونَ (3) اللَّهَ، وَتُعَادُونَ أَنْفُسَكُمْ، لأَنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُحَوِّلَ المُلْكَ مِنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَقَدْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ عُلَمَاؤُكُمْ وَحُكَمَاؤُكُمْ، وَتَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَكُمْ، وَأَنْتُمْ دَائِماً تَدْفَعُونَ القَضَاءَ بِنُحُورِكُمْ ، وَتَتَلَقَّوْنَ عِقَابَهُ بِصُدُورِكُمْ ، هَذِهِ جُرْأَةٌ مِنْكُمْ وَجَهْلٌ فِيكُمْ . وَلَوْ نَظَرْتُمْ لأَبْصَرْتُمْ ، وَلَوِ ابْصَرْتُمْ لَسَلَّمْتُمْ. فَإِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ. وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ مَعَكُمْ، كَانَتْ عَلَيْنَا رِيحُكُمْ (4)، وَالآنَ لَمَّا صَارَ اللَّهُ مَعنَا، صَارَتْ رِيحُنَا عَلَيْكُمْ، فَانْجُوا بِأَنْفُسِكُمْ، وَاغْتَنِمُوا أَرْوَاحَكُمْ، وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِمُرِّ السِّلاَحِ ، وَأَلَمِ الجِرَاحِ ، وَخَزْيِ الافْتِضَاحِ وَالسَّلاَمِ» .

الامتاع والمؤانسة ج 3 ص 102

---

1) سعد بن ابى وقاص : صحابى جليل من المهاجرين الاولين، ارسله عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى بلاد فارس، وهو الذى فتح المدائن وبنى الكوفة. توفى بالمدينة سنة 55 هـ. (676 م.) .

2) رستم : من مشاهير قواد العجم ـ لقى العرب فى شهر محرم سنة 16 هـ. قرب القادسية فقتل وانهزم جيشه .

3) تحادون الله : تعادون وتغاضبون الله .

4) كانت علينا ريحكم : غلبتمونا .

45) فتاة في ساحة الوغى

خَوْلَةُ بِنْتُ الأَزْوَر

حَدَّثَ الوَاقِدِيُّ (1) قَالَ : لَمَّا أُسِرَ ضِرَار بنُ الأَزْوَر (2) فِي وَقْعَةِ أَجْنَادِينَ (3) سَارَ خَالِدُ بنُ الوَلِيـد فِي طَلِيعَةٍ (4) مِنْ جُنْدِهِ لِاسْتِنْقَاذِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّرِيقِ ، إِذْ مَرَّ بِهِ فَارِسٌ مُعْتَقِلٌ رُمْحَهُ لَا يَبِينُ مِنْهُ إِلَّا الحَدَق، وَهُوَ يَقْذِفُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَلْوِي عَلَى مَا وَرَاءَهُ . فَلَمَّا نَظَرَهُ خَالِدٌ، قَالَ: لَيْتَ شِعْرِي (5) مَنْ هَذَا الفَارِس ؟ وَأَيْمُ اللّهِ إِنَّهُ لَفَارِسٌ! ثُمَّ أَتْبَعَهُ خَالِدٌ (6) وَالنَّاسُ مِنْ وَرَائِهِ حَتَّى أَدْرَكَ جُنْدَ الرُّومِ. فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ، وَأَمْعَنَ فِي صُفُوفِهِمْ، وَصَاحَ فِي جَوَانِبِهِمْ، حَتَّى زَعْزَعَ كَتَائِبَهُمْ (7)، وَحَطَّمَ مَوَاكِبَهُمْ، فَلَمْ تَكُنْ غَيْرُ جَوْلَةِ جَائِلٍ، حَتَّى خَرَجَ وَسِنَانُهُ مُلَطَّخٌ بِالدِّمَاءِ، وَقَدْ قَتَلَ رِجَالاً وَجَنْدَلَ أَبْطَالاً .

---

1) الواقدى : ابو عبد الله محمد الواقدى المدنى ـ كان اماما عالما مصنفا ـ ولى القضاء ببغداد وكا نالمامون يكرم جانبه ـ له كتاب الردة ، وكتاب فتوح الشام ـ توفى سنة 207 هـ. (823 م.).

2) ضرار بن الازور الكندى : قتل ابوه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عنه وهو من القادة الذين لا يغنى غناءهم احد .

3) اجنادين : مكان قرب بيت المقدس ـ كانت الواقعة المعروفة بواقعة اليرموك التى انهزم فيها الروم فى شهر جمادى سنة 13 هـ. (634 م.)

4) طليعة ، (ج طلائع) الجيش مقدمته : من يبعث قدامه ليطلع على احوال العدو .

5) ليت شعرى : ليتنى شعرت اى علمت من هذا الفارس .

6) خالد بن الوليد: لقبه النبى (صلعم) «سيف الله» لشجاعتـــه . شهد فتح خيبر ومكة، وحارب مسيلمة الكذاب وله الآثار المشهورة فى قتال الفرس بالعراق والروم بالشام . توفى بحمص فى خلافة عمر سنة 21 هـ. (643 م.) .

7) كتائب ج كتيبة : القطعة من الجيش او الجماعة من الفرسان .

ثمَّ عرَضَ نفْسَهُ لِلْموْتِ ثَانِيَةً ، فَاخْتَرَقَ صُفُوفَ القَوْمِ غيرَ مُكْتَرِثٍ . وَخَامَرَ المسْلِمينَ مِنَ القَلَقِ وَالإِشْفَاقِ (8) عَلَيْهِ شَىءٌ كَبِيرٌ . وَظَنَّهُ أُنَاسٌ خَالِداً ؛ حَتَّى إِذَا قَدِمَ خَالِدٌ قَالَ لَهُ رَافِعُ بنُ عُمَيْرَةَ : «مَنِ الفَارِسِ الذى تَقَدَّم أمَامَكَ ؟ فَلَقَدْ بَذَلَ نَفْسَهُ وَمُهْجَتَهُ» . فَقَالَ خَالِدٌ : «وَاللَّهِ لأَنَا أَشَدُّ إِنْكَاراً وَإِعْجَاباً لما ظَهَرَ مِنْ خِلاَلِهِ وَشَمَائِلِهِ» . وَبَيْنَمَا القَوْمُ فِى حَدِيثِهِمْ ، خَرَجَ الفَارِسُ كأَنَّهُ الشِّهَابُ الثَاقِبُ ، وَالخَيْلُ تَعْدُو فِى أثَرِهِ ، وَكُلَّمَا اقْتَرَبَ وَاحِدٌ مِنهُمْ ، أَلْوَى عَلَيْهِ فَأنهَلَ رُمْحَهُ فِى صَدْرِهِ ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى المسْلِمِينَ فَأَحَاطُوا بِهِ ، وَنَاشَدُوهُ كَشْفَ اسْمِهِ وَرفَع لِثَامِهِ ، وَنَاشَدَهُ ذَلِكَ خَالِدٌ وَهُوَ أَمِيرُ القَوْمِ وَقَائِدُهُمْ . فَلَمَّا أَكْثَرَ خَالِدٌ أَجَابَهُ وَهُوَ مُلَثَّمٌ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الأَمِيرُ إِنِّى لَمْ أُعْرِضْ عَنْكَ إِلاَّ حَيَاءً مِنْكَ ، لأَنَّكَ أَمِيرٌ جَلِيلٌ ، وَأَنَا مِنْ ذَوَاتِ الخُدُور (9) وَبَنَات السُّتُور. وإِنَّمَا حَمَلَنِى عَلَى ذَلِكَ أَنِّى مُحْرَقَةُ الكَبِدِ ، زَائِدَةَ الكَمَدِ » فَقَالَ خَالِدٌ : مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : «أَنَا خَوْلَةُ بِنْتُ الأَزْوَرِ، كُنْتُ مَعَ نِسَاءِ قَوْمِى ، فَأَتَانِى آتٍ بِأَنَّ أخِى أَسِيرٌ ، فَرَكِبْتُ وَفَعَلْتُ مَا رَأيْتَ» ... وَلَمْ تزَلْ عَلَى جِهَادِهَا حَتَّى اسْتَنْقذَ لَهَا أخُوهَا .

من كتاب المرأة العربية

لعبد الله عفيفى

---

8) الاشفاق : الخوف والحذر .

9) خدور : ج. خدر : ستر يمد للجارية فى ناحية البيت ـ والمحل الذى يفرد لها من المسكن ـ وذوات الخدور : هن النساء .

46) مبارزة بين بطلين

لما كَانَ هَارُونُ الرَّشِيدِ (1) مُحَاصِراً لِأَحَدِ حُصُونِ الرُّومِ، خَرَجَ بَطَلٌ نَصْرَانِيٌّ وَنَادَى لِلْبِرَازِ (2) مُدَّعِيًا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مُقَاتَلَةِ عِشْرِينَ فَارِساً. فَأَحْضَرَ الخَلِيفَةُ رَجُلاً يُعْرَفُ بِابْنِ الجُرْزِي ، مَشْهُوراً فِي الثُّغُورِ (3) مَوْصُوفاً بِالنَّجْدَةِ (4)، فَقَالَ لَهُ : أَتَخْرُجُ ؟ قَالَ : نَعَمْ يا أَمِيرَ المؤمِنِينَ ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْهِ: فَقَالَ : أَعْطُوهُ فَرَساً وَرُمْحاً، وَسَيْفاً، وَتُرْساً. فَقَالَ : يا أَمِيرَ المؤمِنِينَ ، أَنَا بِفَرَسِي أَوْثَقُ، وَرُمْحِي فِي يَدِي أَشَدُّ، وَلَكِنْ قَدْ قَبِلْتُ السَّيْفَ وَالتُرْسَ. فَلَبِسَ السِّلاحَ، وَاسْتَدْنَاهُ الرَّشِيدُ فَوَدَّعَهُ وَأَتْبَعَهُ الدُّعَاءَ . وَخَرَجَ مَعَــهُ عِشْرُونَ مِنَ المطَّوِّعَةِ (5). فَلَمَّا انْقَضَّ فِي الوَادِي، قَالَ لَهُمُ العِلْجُ، وَهُوَ يَعُدُّهُمْ وَاحِداً وَاحِداً : إِنَّمَا كَانَ فِي الشَّرْطِ عِشْرُونَ ، وَقَدْ ازْدَدْتُمْ رَجُلاً ، وَلَكِنْ لاَ بَأْسَ . فَنَادَوْهُ : لَيْسَ يَخْرُجُ إِلَيْكَ مِنَّا إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ !

فَلَمَّا انْفَصَلَ مِنْهُمْ ابن الجُرْزِيّ ، تَأَمَّلَهُ العِلْجُ، وَقَدْ أَشْرَفَ أَكْثَرُ الرُّومِ مِنَ الحِصْنِ يَتَأَمَّلُونَ صَاحِبَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ الرُّومِي : أَتَصْدُقُنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَنْتَ ابن الجُرْزِي، بِاللَّهِ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَكُفْؤٌ لَكَ ؟

---

1) هارون الرشيد : هو الخليفة العباسي المشهور ابن المهدى بن ابى جعفر المنصور ولد بالرى سنة 149 هـ. (766 م.) وبويع له بعد اخيه الهادى سنة 170 وتوفى بطوس سنة 193 هـ. (809 م.)، كان مواضبا على الحج متابعا للغزو واعتنى بالمصالح العامة وقد سمى الناس ايامه لنضارتها وحصبها ايام العروس .

2) البراز : من بارزه اى خرج اليه فقاتله ، وكثيرا ما كانت تبدا الحروب بالمبارزة بين بطلين او بين بطل وعدة فرسان .

3) الثغور : ج الثغر — وهنا هو المكان الذى يخاف منه هجوم العدو ، وكثيرا ما كانت الجنود ترابط فيه لحراسته .

4) النجدة : من نجد كان شجاعا ماضيا فى ما يَعْجِزُ غَيْرُه .

5) المطوعة : الذين يتطوعون للجهاد .

قَالَ : وَمِثْلِي كُفْؤٌ لَكَ ! ثُمَّ أَخَذَ فِي شَأْنِهِمَا : فَاطَّعَنَا حَتَّى طَالَ الأَمْرُ بَيْنَهُمَا، وَكَادَ الفَرَسَانِ يَقُومَانِ تَحْتَهُمَا ، وَلَيْسَ مِنْهُمَا وَاحِدٌ خَدَشَ صَاحِبَهُ . ثُمَّ زَجَّا بِرُمْحَيْهِمَا ، هَذَا نَحْوَ أَصْحَابِهِ ، وَهَذَا نَحْوَ حِصْنِهِ، وَانْتَصَبَا بِسَيْفِهِمَا، وَقَدْ اشْتَدَّ الحَرُّ عَلَيْهِمَا وَتَبَلَّدَ جَوَادَاهُمَا . فَجَعَلَ ابنَ الجَزَرِيِّ يَضْرِبُ الرُّومِيَّ الضَّرْبَةَ الَّتِي يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ بَالَغَ فِيهَا ، فَيَتَّقِيهَا الرُّومِيُّ ، وَكَانَتْ دَرَقَتُهُ حَدِيداً، فَيَسْمَعُ لِذَلِكَ صَوْتٌ مُنْكَرٌ . فَيَضْرِبُهُ الرُّومِيُّ ، فَيَنْغِرزُ سَيْفُهُ ، لِأَنَّ تُرْسَ ابنِ الجَزَرِيِّ كَانَ دَرَقَةً تُبَّتِيَّةً (6)، وَكَانَ العِلْجُ يَخَافُ أَنْ يَعُضَّ السَّيْفُ فَيُعْطَبَ. فَلَمَّا يَئِسَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ انْهَزَمَ ابنَ الجَزَرِيِّ . فَدَخَلَتْ الرَّشِيدَ وَالمُسْلِمِينَ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا ، وَغَطْغَطَ المُشْرِكُونَ . وَإِنَّمَا كَانَتْ حِيلَةً مِنِ ابنِ الجَزَرِيِّ : فَاتَّبَعَهُ العِلْجُ وَعَلَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ ابنَ الجَزَرِيِّ مِنْهُ ، رَمَاهُ بِرَهَقٍ (7) ، فَاخْتَطَفَهُ مِنْ سَرْجِهِ ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ. فَمَا وَصَلَ الأَرْضَ جَسَدُهُ حَتَّى فَارَقَهُ رَأْسُهُ .

مروج الذهب للمسعودى

---

6) التبتيّة : نسبة الى جبل الثُّبَت .

7) الرهق : الخفة والعجل .

47) واقعة الزلاقة

لمَّا بَلَغَ الأَمِيرَ تَاشفِينَ (I) أَنَّ عُظَمَاءَ الرُّومِ وَزُعَمَاءَهُمْ تَأَلَّفَهُمْ جَيْشٌ يَحْتَوِى عَلَى آلَافٍ مِنْ أَنْجَادِ رِجَالِهِمْ ، وَمَشَاهِيرِ أَبْطَالِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ قَصَدُوا نَاحِيَةَ بَطَلْيُوس، فَجَاسُوا خِلَالَهَا ، وَدَوَّخُوا (2) أَرْضَهَا، زَحَفَ إِلَيْهِمْ ، وَتَلَاقَى مَعَهُمْ بِمَقْرَبَةِ الزَّلَاقَةِ . فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ ، اضْطَرَبَتِ المَحَلَّتَانِ، وَتَرَكَّبَتْ المَرَاكِبُ، فَاتَّخَذَتْ مَصَافَّهَا وَلَزِمَتِ الرِّجَالُ مَرَاكِزَهَا . فَكَانَ فِى القَلْبِ (3)، مَعَ الأَمِيرِ تَاشفِينَ، المَرَابِطُونَ وَأَصْحَابُ الطَّاعَاتِ ، تَتَقَدَّمُهُمْ البُنُودُ البِيضُ البَاسِقَاتُ المَكْتَّبَةَ بِالآيَاتِ ، وَفِى الجَانِبَيْنِ كُفَاةُ الدَّوْلَةِ ، وَحُمَاةُ الدَّعْوَةِ (4)، مَعَ أَبْطَالِ الأَنْدَلُسِ ، تَتَقَدَّمُهُمْ حُمْرُ الرَّايَاتِ بِالصُّوَرِ الهَائِلَاتِ ، وَفِى الجَنَاحَيْـنِ أَهْـلُ الثُّغُورِ ، وَذَوُو الجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ، وَفِى المُقَدِّمَةِ مَشَاهِيرُ زَنَاتَةَ وَلَفِيفُ الحَشَمِ، أَهْلُ العَزَائِمِ المَاضِيَةِ ، وَالبَصَائِرِ الثَّابِتَةِ ، بِالرَّايَاتِ المُصَنَّعَةِ ، وَالأَعْلَامِ المُنَمَّقَةِ. فَالْتَقَى الجَمْعَانِ، وَاشْتَدَّ الضَّرْبُ وَالطِّعَانُ ، فَوَلَّى الكَفَرَةُ الأَدْبَارَ ، وَأَمْعَنُوا فِى الفِرَارِ ، فَتَبِعَهُمْ المُسْلِمُونَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ . وَصَدَرَ تَاشفِينَ إِلَى قُرْطُبَةَ عَزِيزاً ظَافِراً . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ 528 هـ.

الحلل الموشية ص IOO

I) الامير تاشفين : هو يوسف بن تاشفين وقد تقدمت ترجمته فى قطعة رقم I5 .

2) دوخوا ارضها : قهروها واستولوا على اهلها .

3) القلب : قلب الجيش ـ وسطه ـ وكانت الجيوش تنظم ويجعل لها قلب وميمنة وميسرة ومقدمة وساقة (انظر تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج I ص I89 طبعة مصر I922) .

4) حماة الدعوة : الذين يدافعون عن المرابطين ويؤيدون دعوتهم .

48) معركة بحرية

لَمَّا بَلَغَ الخَبَرُ إِلَى السُّلْطَان أَبِى الحَسَن (1) المَرِينِى بِاسْتِشْهَادِ ابْنِهِ (2)، أَخْرَجَ وُزَرَاءَهُ إِلَى السَّوَاحِلِ لِتَجْهِيزِ الأَسَاطِيلِ . وَفَتَحَ دِيوَانَ العَطَاءِ (3) وَاسْتَعْرَضَ الجُنُودَ، وَأَزَاحَ عِلَلَهُمْ (4) وَاسْتَنْفَرَ أَهْلَ المَغْرِبِ. وَارْتَحَلَ إِلَى سَبْتَةَ لِيُبَاشِرَ أَحْوَالَ الجِهَادِ ، وَتَسَامَعَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِذَلِكَ ، فَاسْتَعَدُّوا لِلدِّفَاعِ، وَأَخْرَجَ الطَّاغِيَةُ (5) أُسْطُولَهُ إِلَى الزُّقَاق (6)، لِيَمْنَعَ السُّلْطَانَ مِنَ الإِجَازَةِ . وَاسْتَحَثَّ السُّلْطَانُ أَسَاطِيلَ المُسْلِمِينَ مِنْ مَرَاسِى العُدْوَةِ (7). وَبَعَثَ إِلَى أَصْهَارِهِ الحَفْصِيِّينَ بِتَجْهِيزِ أُسْطُولِهِمْ إِلَيْهِ . فَعَقَدُوا (8) عَلَيْهِ لِزَيْدِ بنِ فَرْحُون قَائِدِ أُسْطُولِ بِجَايَةَ مِنْ صَنَائِع (9) دَوْلَتِهِمْ ، وَوَافَى سَبْتَةَ فِى سِتَّةَ عَشَرَ مِنْ أَسَاطِيلِ إِفْرِيقِيَّةَ، كَانَ فِيهَا مِنْ طَرَابُلُس، وَقَابِس، وَجَرْبَةَ ، وَتُونُسَ ، وَبُونَة ، وَبِجَايَةَ . وَتَوَافَتْ أَسَاطِيلُ المَغْرِبَيْنِ بِمَرْسَى

---

1) ابو الحسن على بن سعيد المرينى الملقب «السلطان الاكحل» لان امه كانت حبشية بويع سنة 731 هـ. (1334 م.) اشتهـــر بالغزو وباعتنائه ببناء المدارس فى جميع مدن المغرب ، مات بمراكش سنة 752 هـ. (1355 م.) ونقل جثمانه الى شالة ولا زال قبره معروفا هناك.

2) ابنه ابو مالك الذى قتل قرب اشبيلية سنة 1339 م.

3) ديوان العطاء : الديوان المخصص لتوزيع العطايا على الجند ـ وفيه ازمة تسجل فيها اسماء الجنود وقدر ما يعطون فى كل شهر .

4) ازاح عللهم: قضى حاجتهم ليتفرغوا للقتال .

5) الطاغية : صيغة المبالغة للطاغى ـ وكان هذا اللقب يطلق على ملوك النصارى .

6) الزقاق: هنا مضيق جبل طارق .

7) العدوة : هنا الاندلس .

8) عقدوا الالوية لفلان : اى جعلوه قائدا على الجيش المعد للقتال وكانوا يحتفلون بعقد الالوية احتفالا عظيما .

9) صنيعة : ج صنائع ، يقال «هو صنيعى او صنيعتى» اى انا ربيته وخرجته واختصصته بالصنع الجميل .

سبتةَ تناهزُ المائةَ . وَعقدَ (8) السُّلْطَانُ عَلَيْهَا لِمحَمَّدٍ بنِ عَلِي العَزَفِيِّ الذِي كَانَ صَاحِبَ سبْتَةَ يَوْمَ فَتْحِهَا ، وَأَمَرَهُ بِمُنَاجَزَةِ (10) أُسْطُولِ النَّصَارَى بِالزُّقَاقِ، وَقَدْ أَكْمَلَ عَدِيدَهُمْ وَعُدَّتَهُم . فَاسْتَلأَمُوا (11) وَتَظَاهَرُوا فِي السِّلاَحِ، وَتَزَاحَفُوا إِلَى أُسْطُولِ النَّصَارَى وَتَوَاقَفُوا مَلِيّاً ، ثُمَّ قَرَّبُوا الأَسَاطِيلَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَقَرَنُوهَا لِلمِصَاعِ (12)، وَلَمْ يَكُنْ إِلاَّ كَلاَ وَلاَ ، حَتَّى هَبَّ رِيحُ النَّصْرِ، وَأَظْفَرَ اللَّهُ المسلمِينَ بِعَدُوِّهِمْ، وَخَالَطُوهُمْ فِي أَسَاطِيلِهِمْ، وَاسْتَلْحَمُوهُمْ (13) قَهْراً بِالسُّيُوفِ ، وَطَعْناً بِالرِّمَاحِ ، وَأَلْقَوْا أَشْلاَءَهُمْ فِي الْيَمِّ ، وَقَتَلُوا قَائِدَهُمْ المِيلَنْد، وَاسْتَاقُوا أَسَاطِيلَهُمْ مَجْنُوبَةً إِلَى مَرْسَى سَبْتَةَ، فَبرزَ النَّاسُ لِمُشَاهَدَتِهَا وَطِيفَ بِكَثِيرٍ مِنْ رُؤُوسِهِمْ فِي جَوَانِبِ البَلَدِ ، وَنُظِمَتْ أَصْفَادُ الأَسَارَى بِدَارِ الإِنْشَاءِ (14)، وَعَظُمَ الفَتْحُ، وَجَلَسَ السُّلْطَانُ لِلتَّهْنِئَةِ، وَأَنْشَدَتْ الشُّعَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ يَوْماً مِنْ أَغَرِّ الأَيَّامِ. وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ .

ابن خلدون «كتاب العبر»



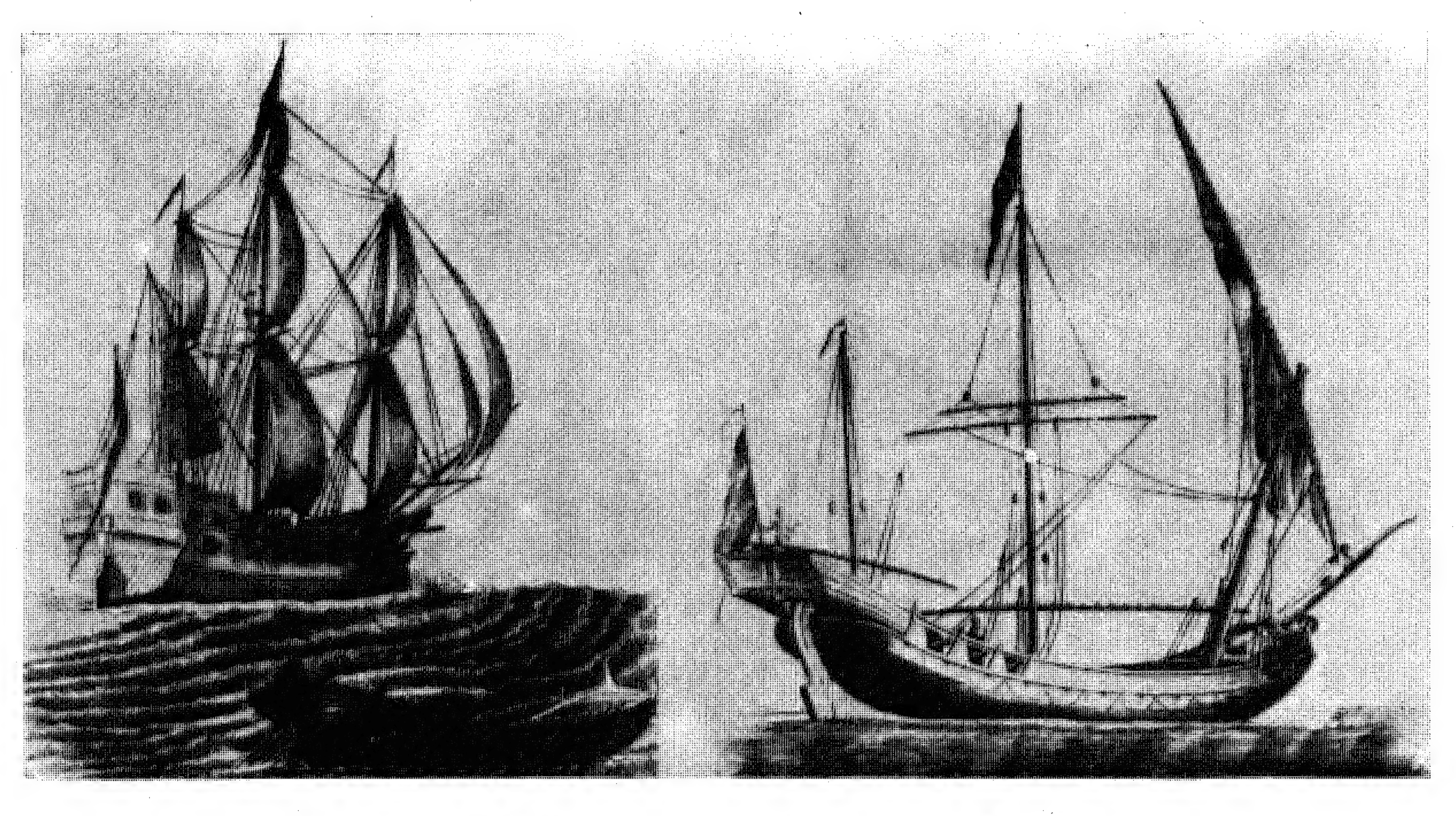
10) مناجزة : من ناجزه ــ بارزه وقاتله .

11) استلأموا : لبسوا اللؤم ج لأمة : الدرع .

12) المصاع : من ماصع قاتل وجالد . وتماصع القوم فى الحرب : تعالجوا وتطاحنوا .

13) استلحموهم : تبعوهم ولم يتركوا لهم مهربا .

14) دار الانشاء : المحل الذى تصنع فيه العدد والسفن .

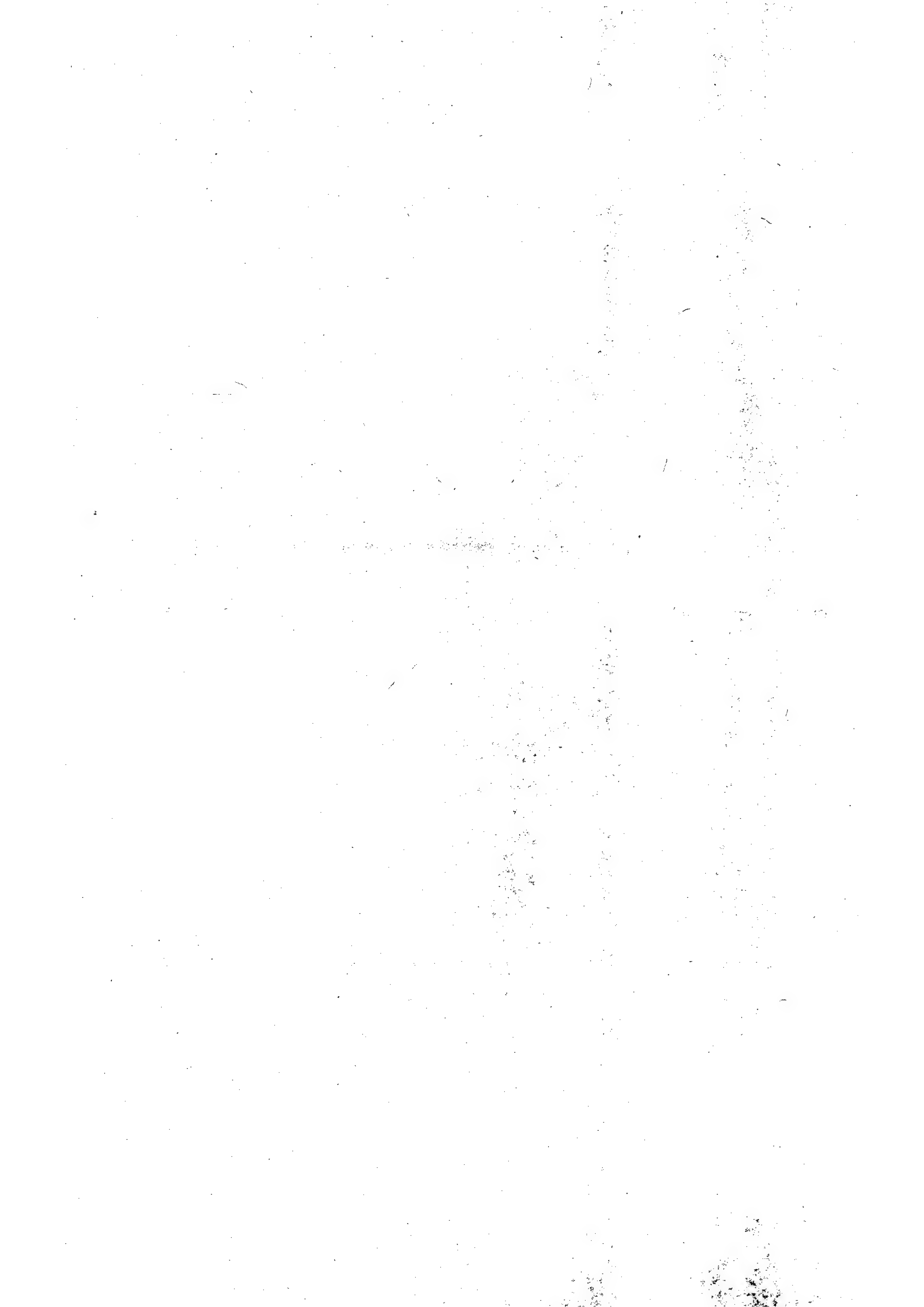


مراكب حربية مغربية (القرن الثامن عشر الميلادى)

الباب الثانى

الفصل الخامس

بعد الحروب



قَالَ : «وَإِنْ جنحُوا لِلسّلْم فَاجْنح لَهَا وَتوكّلْ علَى اللهِ ؛ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ» .

اكْتَفَيْنَا فِي هَذَا الفَصْلِ، بِإِيرَادِ قِطَعٍ تَصِفُ بَعْضَ مَا يَقَعُ إِثْرَ اللِّقَاءِ، مِنْ إِبْرَامِ عُقُودِ الصُّلْحِ وَالأَمَانِ، وَأَخْذِ الغَنَائِمِ ، وَفَكِّ الأَسْرَى . (كَانَتْ تَخَصَّصُ فِي العَهْدِ العَبَّاسِي أَيَّام لِتَبَادُلِ أَسْرَى الحَرْبِ، وَتُنَظَّمُ، مِنْ لَدُنِ رُؤَسَاءِ الدُّوَلِ المُتَحَارِبَةِ ، وُفُودٌ لِلاطِّلَاعِ عَلَى أَحْوَالِ الأُسْرَى فِي بِلَادِ العَدُوِّ وَيَسْعَى كُلُّ وَفْدٍ فِي افْتِدَاءِ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِ) .

تَرَكْنَا الكَلَامَ عَنِ الجِزْيَةِ وَالخَرَاجِ إِلَى فَصْلِ الجِبَايَا فِي بَابِ الحَيَاةِ الاقْتِصَادِيَةِ . أَمَّا الغَنَائِم فَإِنَّهَا كَانَتْ تُقَسَّمُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ، طِبْقاً لِمَا جَاءَ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ «وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُـــمْ مِنْ شَيءٍ..» الآية . إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدَوَّنَ دَوَاوِينَ العَطَايَا وَقَدَّرَ أَرْزَاقَ الجُنْدِ .

اهم المراجع لهذا الفصل

1) كتاب الاموال للامام ابى عبد القاسم بن سلام (الجبايات والغنائم وعقود الصلح) .

2) النظم الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن (النظام المالى) .

3) لطائف المعارف للمسعودى (فصل فى تبادل الاسرى) .

49) الانفال

قَالَ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ : «لمَّا التقى النَّاس بِبَدْرٍ (1)، هَزَمَ اللَّهُ العَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتَلُونَ ، وأكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى العَسْكَرِ يَحْوُونَهُ (2) وَيَجْمَعُونَهُ ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لَا يُصِيبَ العَدُوّ مِنْهُ غِرَّة . حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ ، وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُم إِلَى بَعْضٍ قَالَ الذِينَ جَمَعُوا الغَنَائِم : نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا ، فَلَيْسَ فِيهَا لأَحَدٍ نَصِيبٌ. وَقَالَ الذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ العَدُوّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا ، نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا العَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُ ، وَقَالَ الذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا ، نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ العَدُوّ مِنْهُ غِرَّةً ، فَشغلْنَا بِهِ. فَنَزَلَتْ هَذِه الآية : «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ (3)، قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ (4)» . قَالَ : فَقَسَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَلَى فَوَاق : (5) بَيْنَ المُسْلِمِينَ . قَالَ : وَكَانَ إِذَا كَانَ فِي أَرْضِ العَدُوِّ نَفَلَ (6) الرُّبُع، وَإِذَا أَقْبَلَ رَاجِعاً، وَكَلَّ النَّاس مَعَهُ، نَفَل الثُّلُثِ. وَكَانَ يَكْرَهُ الأَنْفَالَ وَكَانَ يَقُولُ : «لِيَرُدَّ قَوِيَّ المُؤْمِنِينَ عَلَى ضَعِيفِهِمْ» .

كتاب الاموال ص 375

---

1) بدر : هو المكان الذى وقعت فيه اول معركة بين المسلمين وقريش فكان النصر حليف النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه .

2) يحوونه : أى يأسرون الاعداء ويجمعون الاسلاب والغنائم .

3) الانفال : ج نفل بالتحريك ، وهو الزيادة على الواجب ــ هنا هو ما يعطيه الامام لبعض الغزاة بعد القسمة زيادة على سهمه من الغنائم وذلك لمصلحة اقتضاها الحال .

4) ذات البين : النسب والقرابة والصداقة . ويقال : سعى فى اصلاح ذات بينهم اى اصلاح احوالهم وتلافى ما بينهم من الخصومة .

5) قسمها على فواق : اى جعل حظ البعض أكثر من حظ الآخرين .

6) نفله . أعطاه زيادة على حصته ــ ونفله النفل : أعطاه اياه .

فائدة ــ: ان من الفقهاء من يقول ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : «واعلموا انما غنمتم ..» الآية ، ومنهم من يقول انها محكمة تخول للامام ان ينفل من شاء من الجند ما شاء قبل التخميس .

50) حسن الاستعطاف

وَجه رَسُولُ اللَّه، صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَى طَيءٍ (1) فَرِيقاً مِنْ جُنُودِهِ يقَدّمهُمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلام، فَفزعَ عديٌّ بنُ حَاتِمِ الطَّائِى ـ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ ـ إِلَى الشَّام . فَصبحَ عَلِيٌّ القَوْمَ وَاسْتَاقَ خَيْلَهُمْ، وَنعمَهُمْ (2)، وَرجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . فَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْه الأَسْرَى، نَهَضَتْ مِنْ بَيْنِ القَوْمِ سَفَانَة بنْتُ حَاتِمٍ فَقَالَتْ : «يَامُحَمَّدُ هَلَكَ الوَالِدُ، وَغَابَ الرَّافِدُ (3). فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخلي عَنِّي، وَلاَ تُشمِتْ (4) بِيَ أَحْيَاءَ العَرَبِ، فَإِنَّ أَبِي كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ ، يَفك العَانِي (5) وَيَقْتُلُ الجَانِي وَيَحْفَظُ الجَارَ ، وَيَحْمِي الذِّمَارَ ، وَيُفرِّجُ عَنِ المَكْرُوبِ (6) وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَيَفْشِي السَّلاَمَ ؛ وَيَحْملُ الكَلَّ ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ، وَمَا أَتَاهُ أَحَدٌ في حَاجَةٍ فَرَدَّهُ خَائِباً. أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ الطَّائِى . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَاجَارِيَة هَذِهِ صِفَاتُ المؤمِنِينَ حَقّاً . لَوْ كَانَ أَبُوكَ مُسْلِماً لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ . خَلُّوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ . وَقَالَ فِيهَا : ارْحَمُوا عَزِيزاً ذَلَّ، وَغَنِيّاً افْتَقَرَ، وَعَالِماً ضَاعَ بَيْنَ جُهَّالٍ» . وَامْتَنَّ (7) عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ بِقَوْمِهَا، فَأَطْلَقَهُمْ تَكْرِيماً لَهَا . فَلَمَّا أَطْلَقَهَا رَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا عَدَى، وَهُوَ بِدَوْمَةِ الجُنْدلِ، (8) فَقَالَتْ

---

1) طيء : قبيلة حاتم المشهور بكرمه وهي يمنية في شمال جزيرة العرب.

2) النعم : الابل وتطلق على البقر والغنم .

3) الرافد : المعين وهنا من يقوم مقام الاب تعنى اخاها .

4) شمت به : فرح لمصيبة نزلت به .

5) العاني : من عنى يعنو في القوم : صار اسيرا فيهم .

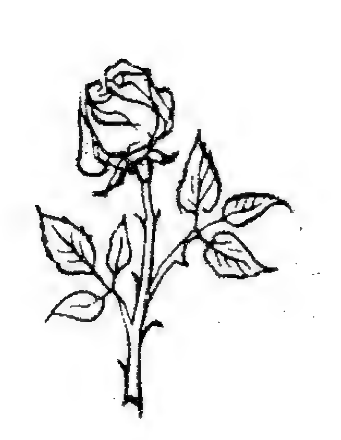
6) المكروب : من كرب الحبل فتله وكربه الهم : اشتد عليه .

7) امتن : انعم واحسن .

8) دومة الجندل : هو المكان الذى وقع فيه التحكيم بين على ومعاوية بعد واقعة صفين .

لَهُ: يَاأَخِي ائْتِ هَذَا الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ تَعلقَك حَبَائِلُهُ . فَإِنِّي رَأَيْتُ هَدياً وَرَاياً سَيَغْلِبُ أَهْلَ الغَلَبَةِ . وَرَأَيْتُ خِصَالاً تُعْجِبُنِي : رَأَيْتُهُ يُحِبُّ الفَقِيرَ، وَيَفُكُّ الأَسِيرَ، وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ ، وَيَعْرِفُ قَدْرَ الكَبِيرِ . وَمَا رَأَيْتُ أَجْوَدَ وَلَا أَكْرَمَ مِنْهُ. فَإِنْ يَكُنْ نَبِيّاً فَلِلسَّابِقِ فَضْلُهُ، وَإِنْ كَانَ مَلِكاً فَلَنْ تَزَالَ فِي عِزِّ اليَمَنِ». فَقَدِمَ عَدى إِلَى رَسُو لِ اللَّهِ، فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَتْ سفَانَة .

المراة العربية ج I ص 162



51) عقد صلح

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ مُوسَى بنِ نُصَيْر(1) لِتُدْمِير بنِ عَبْدُوش (2) إِنَّهُ نَزَلَ عَلَى الصُّلْحِ، وَإِنَّ لَهُ عَهْدَ اللَّهِ وَذِمَّتَهُ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلاَّ يُقَدِّمَ لَهُ وَلاَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلاَ يُؤَخِّرُ، وَلاَ يُنْزَعُ عَنْ مُلْكِهِ، وَانَّهُمْ لاَ يُقْتَلُونَ وَلاَ يُسْبَوْنَ، وَلاَ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلاَدِهِمْ وَلاَ نِسَائِهِمْ، وَلاَ يُكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ وَلاَ تُحْرَقُ كَنَائِسُهُمْ، وَلاَ يُنْزَعُ عَنْ كَنَائِسِهِ مَا يُعْبَدُ، وَذَلِكَ مَا أَدَّى الذِي اشْتَرَطْنَا عَلَيْهِ. وَانه صَالَحَ عَلَى سَبْعِ مَدَائِنَ: أَرْيُولَةَ (3) وَبَلَنْتَلَةَ (4) ولقنت (5) وَمُولَةَ (6) وَبِلاَنَــةَ (7) ولولتة (8) وَلُورَقَةَ (9). وَانَّهُ لاَ يَأْوِي لَنَا آبِقاً وَلاَ عَدُوّاً، وَلاَ يُخِيفُ لَنَا آمِناً، وَلاَ يَكْتُمُ خَبَرَ عَدُوٍّ عَلِمَهُ. وَانَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ دِينَاراً كُلَّ سَنَةٍ،

---

1) عبد العزيز بن موسى بن نصير خلف اباه واليا على الاندلس ـ ابدى في ادارة الحكومة همة فائقة وشجع الزواج بين الفاتحين والاسبان وتزوج بارملة رذريك ولكن لم يستطع ان يوفق بين القبائل المختلفة فقتل في شوارع اشبيلية في اواخر سنة 95 هـ. (713 م.)

2) تدمير Theudimer امير من بقايا ملوك القوط اسمه تدمير ابن عبدوش سميت باسمه ناحية تدمير حول مرسية.

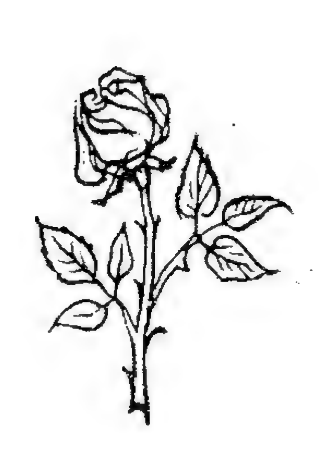
3 - Orihuela
4 - Baltana
5 - Alicante
6 - Mula
7 - Villena
8 - Ota ou Altéa
9 - Lorca

وأَرْبَعَةَ أَمْدَادٍ (١٠) قَمْحٍ وَأَرْبَعَةَ أَمْدَادٍ شَعِيرٍ ، وَأَرْبَعَةَ أَقْسَاط طَلَاءٍ (١١)، وَأَرْبَعَةَ أَقْسَاطِ خَلٍّ، وَقِسْطَيْنِ عَسَلاً، وَقِسْطَيْنِ زَيْتاً، وَعلَى العَبِيدِ نِصْف ذَلِكَ .»

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ عُثْمَانَ بن أَبِى عُبَدَةَ القُرْشِى، وَحَبِيب بن أُبِى عُبَيْدَةَ، وَإِدْرِيس بن مَيْسَرَ التَّمِيمِى، وَأَبُو قَاسِمِ المَوْلِى، وَكُتِبَ فِى رَجَبَ سَنَةَ أَرْبَع وَتِسْعِينَ مِنَ الهِجْرَة» .

الحلل السندسية ج 3 ص 351

وعن الروض المعطار فى خبر الاقطار



١٠) مد : لا شك ان المقصود هو المد النبوى .

١١) الطلاء: القطران وقد يطلق على عصير العنب ونوعه هذا هو المقصود.

52) فك الاسارى المسلمين أيام الحروب الصليبية

قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ أُسَامَةَ بْنِ منقذ (1) : كُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى مَلِكِ الفرَنْجِ فِي الصُّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جما لِ الدِّين بنِ مُحَمَّد بن تَاجِ (2) المُلُوكِ لِيَد (3) كَانَتْ لِلْوَالِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى بغُدوَيْن المَلك، وَالِدُ المَلِكَة (4)، امْرَأَةُ المَلِكِ فَلك بن فَلكٍ. فَكَانَ الأَفْرَنْج يَسُوقُونَ أَسَارَاهُمْ إِلَيَّ لاشْتِرائِهِم ، فَكُنْتُ أَشْتَرِي مِنْهُمْ مَنْ سَهل اللَّهُ تَعَالَى خَلاصَهُ . فَخرجَ شَيْطَانٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ «كِلْيَام جِيبَا» (5) فِي مَرْكَبٍ لَهُ يَغْزُو، فَأَخَذَ مَرْكَباً فِيهِ حُجّاجٌ مِنَ المَغَارِبَةِ ، نَحْوَ أَرْبَعمِائَةِ نَفْسٍ، رِجَالاً وَنِسَاءً، فَكَانَ يَجِيئُنِي أَقْوَامٌ مَعَ مَالِكِهِمْ ، فَأَشْتَرِي مِنْهُمْ مَن قَدَرْتُ عَلَى شِرَائِهِ.. فَاشْتَرَيْتُ لِي مِنْهُمْ نَفَراً، وَاشْتَرَيْتُ لِلأَمِيرِ مُعِينِ الدِّينِ، رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ نفراً بِمائَةٍ وَعِشْرينَ دِيناراً ، وَوَزَنْتُ مَا كَانَ مَعِي، وَضَمِنْتُ عَلَيَّ بِالبَاقِي ، وَجِئْتُ إِلَى دِمشْقَ، فَقُلْتُ لِلأَمِيرِ مُعِينِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ : «قَدْ اشْتَرَيْتُ لَكَ أُسَارَى اختصك بِهِمْ وَمَا كَانَ مَعِي ثَمَنهم، وَالآنَ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى بَيْتِي ، إِنْ أَرَدْتَهمْ وَزَنْتَ ثَمَنَهُمْ، وَإِلاَّ وَزَنْتُهُ أَنَا» فَقَالَ: «بَلْ أَنَا أَزِنُ وَاللَّهِ ثَمَنَهُمْ، وَأَنَا أَرْغَبُ النَّاسَ فِي ثَوَابِهِمْ» . وَعُدْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى عَكا، وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الأَسْرَى عِنْدَ «كِلْيَام جِيبَا» ثَمَانِيَةَ وَثَلاثُونَ، وَفِيهِمْ امْرَأَة لِبَعْضِ الذِينَ خَلَّصَهُمُ اللَّهُ عَلَى يَدِي فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْهُ، وَمَا وَزَنْتُ ثَمَنَهَا. فَرَكِبْتُ إِلَى دَارِهِ

---

1) اسامة بن منقذ : انظر ترجمته فى آخر الكتاب

2) جمال الدين بن محمد بن تاج الملوك : امير دمشق فى ذلك العهد. توفى سنة 1140 م.

3) ليد : يقال كانت لى يد على فلان اى كنت ممن احسن اليه

4) بغدوين: Baudoin هو بدوان الثانى (مات 1131م.) الذى كان اميرا على بيت المقدس ولما مات خلفه صهره فلك Foulques الخامس .

5) كليام جيبا اعطى اسم جيبا لانه كان احتل حصنا سمى هكـذا . Guillaume Djiba

لَعَنهُ اللّهُ، وَقُلْتُ : تَبيعنِي مِنْهُمْ عَشرَة . قَالَ : وَحقِّ دِينِي مَا أَبِيعُ إلاَّ الجَمِيع.
فَانْصَرَفْتُ، وَقَدَّرَ اللّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ هَرَبُوا فِي تِلْكَ اللَّيْلَة جميعهم، وَسُكّان
ضِياع عَكّا كُلُّهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ، إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ الأَسِيرُ أَخْفَوْهُ ، وَأَوْصَلُوهُ إِلَى
بِلَادِ الإِسْلَامِ ، وَتطَلَّبَهُمْ ذَلِكَ المَلْعُون ، فَمَا ظَفَرَ مِنْهُمْ بِأَحَدٍ . وَأَصْبَحَ يُطَالِبُنِي
بِثَمَنِ المَرْأَةِ. فَقُلْتُ: سَلمها إلَيَّ وَخُذْ ثَمَنَهَا. قَالَ: ثَمَنهَا لِي أَمْس قَبْلَ أَنْ تَهرب.
وَأَلْزَمَنِي وَزْنَ ثَمنِهَا. فَوَزَنْتهُ، وَهَانَ ذَلِكَ عَلَيَّ لِمسرّتي بِخلَاص أُولَئِكَ المَسَاكِين.

كتاب الاعتبار لابن منقذ ط 1886 ص 63



53) رسم امان لحج بيت المقدس

كَتَبَ الملِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ بنُ قَلَاوُونَ (1) لِفَرَاكِس صَاحِبِ اليَثْرِبِ:

«..وَلَمَّا كَانَتْ حَضْرَةُ المَلِكِ الجَلِيلِ، المُكَرَّمِ، المبَجَّلِ، العَزِيزِ، المُوَقَّر (استيفانوس فَرَاكِس)، كَبِيرَ الطَّائِفَةِ النَّصْرَانِيةِ، جَمَالَ الأُمَّةِ الصَّلِيبِيَّةِ، عِمَادَ بَنِي المَعْمُودِيَّةِ (2)، صَدِيقَ المُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ صَاحِبَ اليَثْرِبِ، قَدْ شَمِلَهُ إِقْبَالُنَا المَعْهُودُ، وَوَصَلَهُ افضالُنَا الذِي يَحْجُزُ عَنْ مَيَامِنِهِ السُّوءُ، وَيُنْجِزُ الوُعُودَ، اقْتَضَى حَسَنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُيَسِّرَ سَبِيلَهُ، وَنُوَفِّرَ لَهُ مِنَ الإِكْرَامِ جَسِيمه، كَمَا وَفَّرْنَا لِغَيْرِهِ مِنَ المُلُوكِ مسوله (3)، وَأَنْ يمكن مِنَ الحُضُورِ، هُوَ وَزَوْجَته وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ أَتْبَاعِهِمَا إِلَى زِيَارَةِ القُدْسِ الشَّرِيفِ، وَإِزَالَةِ الأَعْرَاضِ عَنْهُمْ، وَإِكْرَامِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ، وَاسْتِصْحَابِ العِنَايَةِ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَعُودُوا إِلَى بِلَادِهِمْ.. فِي كَنَفِ (4) الأَمْنِ وَحَرِيمِ (5) السَّلَامَةِ. وَسَبِيل

---

1) الناصر محمد بن قلاوون : هو اخو السلطان الاشرف خليل بن قلاوون تولى الامر بمصر وعمره تسع سنين (693هـ.)، خلع ثم بويع من جديد وتغلب على اعدائه واستمر نافذ الحكم بمصر وسوريا وفلسطين حتى مات سنة 741 هـ. (1341 م.) وهو أطول ملوك الترك مدة .

2) بنو العمودية : هم المسيحيون ، وعمد الولد وعمده غسله في الكنيسة بماء المعمودية .

3) مسوله : اسم مفعول لفعل سال بمعنى سأل .

4) كنف : الظل يقال عاش في كنف فلان أي تحت رعايته .

5) حريم : ما حرم فلم يمس، وحريم الرجل : ما يدافع عنه، ومنه سميت نساء الرجل بالحريم .

كُل وَاقِف عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَه، وَيَتْبَعَ إِبْرَامَهُ (6)، وَلَا يَمْنَعَ عَنْهُم الخَيْرَ فِى سَيْرٍ وَلا إِقَامَةٍ، وَيَدْفَعَ عَنْهُمُ الأَذَى حَيْثُ وَرَدُوا أَوْ صَدرُوا، فَلَا يحْذرُوا إِلمَامَهُ، وَاللهُ تَعَالَى يُوَفِّرُ لِكُلِّ مُسْتَعِينٍ مِنْ أَبْوَابِنَا اقْسَاطَ الأَمْــنِ وَاقْسَامِــهِ ، وَيظفر عَزْمَنَا المحَمَّدِى بِالنَّصْرِ السَّرْمَدِى (7) حَتَّى يُطَوِّقَ الطَّائعُ وَالعَاصِى حُسَامَهُ.. وَالعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ، وَالخَيْرُ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى».

صبح الاعشى ج 13 ص 327



6) ابرام : ابرم الحبل : فتله ــ والامر ، احكمه .
7) السرمدى : الابدى .

54) غنائم باردة في سردانية

إنَّ أَهْلَ سَرْدانية (1)، كَماحَدَّثنا سَعِيدُ بنُ عفير، لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِمَ المُسْلِمُونَ،عَمَدُوا إلَى مِينائِهِمْ فَسَدُّوهُ، وَأَخْرَجُوا مِنْهُ المَاءَ، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ آنِيَتَهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ المَاءَ بِحَالِهِ وَعَمَدُوا إِلَى كَنِيسَةٍ لَهُمْ ، فَجَعَلُوا لَهَا سَقْفاً مِنْ دُونِ سَقْفِهَا، وَجَعَلُوا مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ بَيْنَ السَّقْفَيْنِ، فَنَزَلَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَغْتَسِلُ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ الذِي سَكَرُوهُ ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِ المَاءَ ، فَوَقَعَتْ رِجْلُهُ عَلَى شَيْءٍ فَأَخْرَجَهُ، فَإِذَا صَفحَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، ثُمَّ غَاصَ أَيْضاً فَأَخْرَجَ شَيْئاً آخَرَ . فَلَمَّا عَلِمَ المُسْلِمُونَ بِذَلِكَ حَبَسُوا عَنْهُ المَاءَ، وَأَخَذُوا جَمِيعَ تِلْكَ الآنِيةِ . وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَمَعَهُ قَوْسُ بُنْدُقٍ (2) إِلَى تِلْكَ الكَنِيسَةِ التِي رَفَعُوا بَيْنَ سَقْفِيهَا مَالَهُمْ ، فَنَظَرَ إِلَى حَمامٍ فَرَمَاهُ بِبُنْدُقِهِ، فَأَخْطَأَهُ وَأَصَابَ شَبْحَةَ (3) خَشَبٍ فَكَسَّرَهَا، فَانْهَالَ عَلَيْهِ المَالُ، فَغَلَّ (4) المُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ غُلُولاً كَثِيراً. فَإِنَّ الرَّجُلَ كَانَ لَيَأْخُذُ الهِرَّ فَيَذْبَحُهَا، وَيَرْمِي بِمَا فِي جَوْفِهَا ثُمَّ يَحْشُوهُ مِمَّا غَلَّ، ثُمَّ يُخِيطُ عَلَيْهِ وَيَرْمِي بِهِ إِلَى الطَّرِيقِ، لِيَتَوَهَّمَ مَنْ رَآهَا أَنَّهَا مَيْتَةٌ، فَإِذَا خَرَجَ أَخَذَهَا. وَأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَنْزِعُ نَصْلَ

---

1) سردانية ـ قصدها المسلمون منذ عهد موسى بن نصير ، والظاهر ان الحادثة وقعت في ذلك العهد، وقد احتلوها زمان بني الاغلب الذين كانت عاصمتهم بالقيروان .

2) قوس بندق : قوس مركب على انبوب يرمى به الحجر والرصاص وغير ذلك ـ وهذه القطعة تدل على ان المسلمين عرفوا هذا النوع من السلاح في اوائل القرن الثامن المسيحي .

3) شبحة : قطعة من لوح .

4) غل الشيء : اخذه في خفية ودسه في متاعه. وقال تعالى في سورة آل عمران : «وما كان لنبي أن يَغُلَّ ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة...»

سَيْفَهُ فَيَطْرَحَهُ، وَيَمْلأُ الجَفْنَ (5) غُلُولاً، وَيَضَعُ قَائِمَ السَّيْفِ عَلَى الجَفْنِ، فَلَمَّا رَكِبُوا السُّفُنَ، وَتَوَجَّهُوا سَمِعُوا مُنَادِياً يُنَادِي : اللَّهُمَّ غَرِّقْ بِهِمْ! فَتَقَلَّدُوا المَصَاحِفَ ، فَغَرِقُوا جَمِيعاً إِلاَّ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبلي وَحَنَشُ بن عَبْدِ اللَّهِ الصنعانى فَإِنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا نَدِيَا(6) مِنَ الغلولِ بِشَيءٍ .

فتوح افريقية والاندلس ص 96



5) جفن السيف : غمده،وقائمه ـ قبضته .

6) ندى : يقال ما نديت بشيء من فلان اى ما نلت منه ندى اى خيرا .

55) رجل مسالم

كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمد بنُ أَبِى فتن صَالِحٌ، مَوْلَى بَنِى هَاشِمٍ، شَاعِراً. وَكَانَ أَسْوَد مُشَوَّه الخَلْقِ فَقِيراً . فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : يَاهَذا إِنَّ الأَدَبَ أَرَاهُ قَدْ سَقَطَ نَجْمُهُ وَطَاشَ سَهْمُهُ، فَاعْمِدْ إِلَى سَيْفِكَ وَرُمْحِكَ وَقَوْسِكَ، وَادْخُلْ مَعَ النَّاسِ فِى غَزَوَاتِهِمْ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفلكَ (1) مِنَ الغَنِيمَةِ شَيْئاً فَأَنْشَدَ:

(البسيط)

مالِى وَمَالَك قَدْ كَلَّفْتنِى شَطَطاً	حَمْلَ السِّلَاحِ وَقَول الدَّارِعَيْنِ قِفِ
تَمْشِى المَنَايَا إِلَى غَيْرِى فَأَكْرَهها	فَكَيْفَ أَمْشِى الَيْهَا بَارِزَ الكَتِفِ
أمِنْ رِجَالِ المَنَايَا خلتنِى رَجُلاً	أمسى وَأَصْبَحُ مُشْتَاقاً إِلَى التَّلفِ
ظَنَنْتَ أَنَّ نزَالَ القِرْنِ مِنْ خُلُقِى	وَانَّ قَلْبِى فِى جَنْبِى أَبِى دُلَفِ (2)

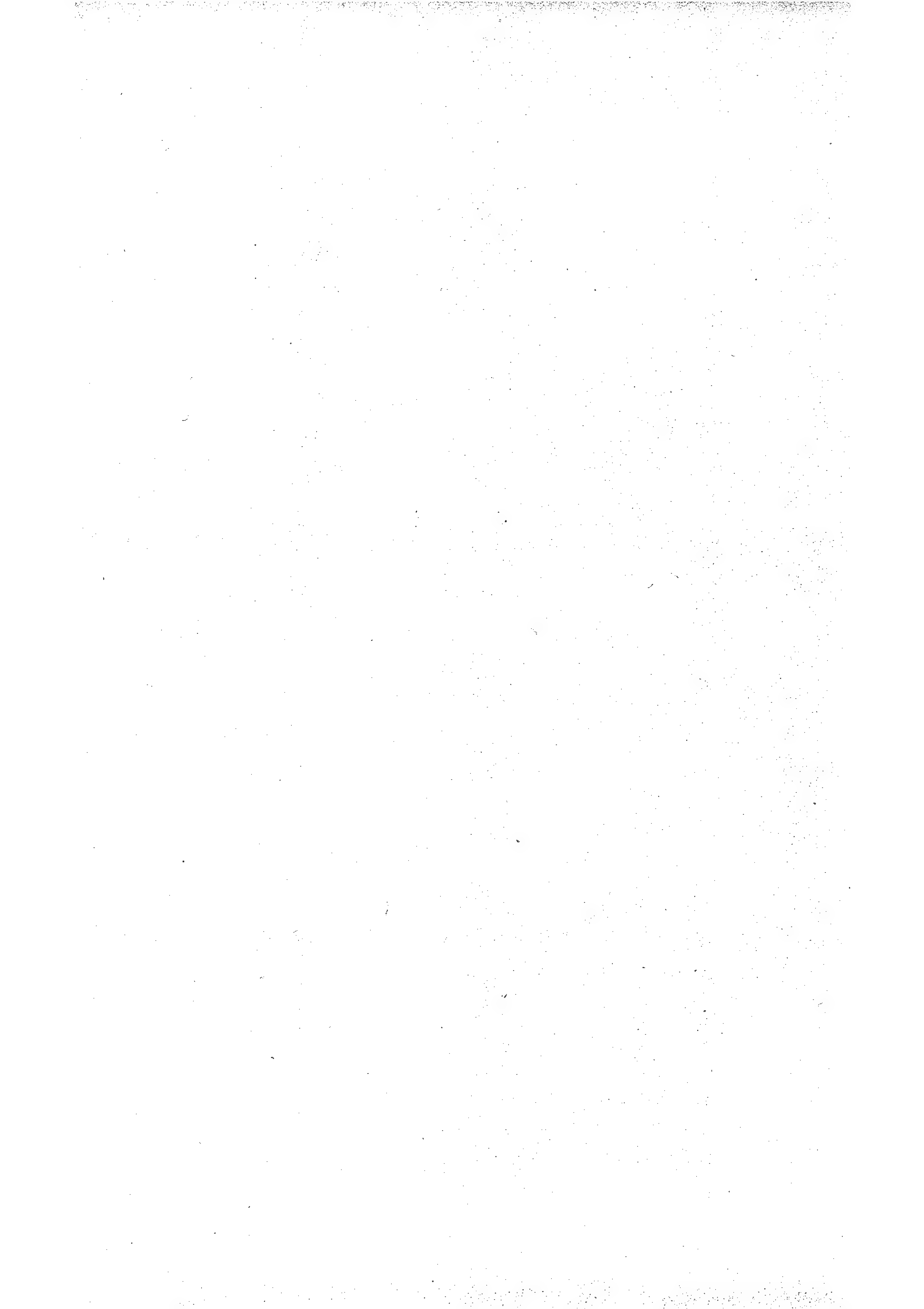
فَبَلَغَ خَبَرهُ أَبَا دُلَف فَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ

وفيات الاعيان ج 3 ص 228

---

1) ينفلك : يعطيك النفل ـ الهبة والغنيمة .

2) ابو دلف : احد قواد المأمون، ثم المعتصم، وكان جوادا ممدحا شجاعا ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة .



الباب الثالث

الفصل الأول

العمارة - البلدان والمدن



قال النّبي صلّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ : « إذَا مررْتَ ببلَدٍ ليس فيه سُلطَانٌ فَلا تدخِلْهُ . إنّما السُّلطَانُ ظِلُّ اللهِ في الأرْضِ » .

قَالَ هَارُون الرَّشِيدُ يَوْماً وَقَدْ رأى غَمَامَةً : «اذْهَبِي حَيْثُ شِئْتِ فَلا بُدَّ أنْ يأتِينِي خَرَاجُكِ». وَحُقَّ لَهُ أنْ يقُولَ ذَلكَ لِأنَّ المملَكَةَ الإسْلامِيَةَ كَانَتْ فِى عَهْدِهِ فَسِيحَةَ الأرْجَاءِ مُتَرَامِيَةَ الأطْرَافِ، تَشْمَلُ أقْطَاراً مُتَفَاوِتَةً فِى الخِصْبِ، وَأقَالِيمَ مُتَبَايِنَةً فِى الحَضَارَةِ .

لَقَدْ فَتَحَ المسْلِمُونَ مُنْذُ القَرْنِ الأَوَلِ الهِجْرِى كَثِيراً مِنَ الأصْقَاعِ المعْرُوفَةِ إذْ ذَاكَ، وَرَكِبَ أتْبَاعهُمْ الصَّعْبَ والذَّلُولَ حَتَّى نَشَرُوا الدِّينَ المحَمَّدِى فِى آسْيَا وَإفْرِيقْيَا وَجَنُوب أُورُوبَا، فَاعْتَنَى قَادَتهُمْ بِتَوْسِيعِ المدُنِ القَدِيمَـــةِ وَتزْيِينِهَا، وَمَصَّرُوا أمْصَاراً حَدِيثَةً وَجَمَّلُوهَا، فَاخْتَارُوا لَهَا المَوَاقِعَ اللاَّئِقَةَ، وَرَاعُوا عِنْدَ تَأسِيسِهَا المصَالِحَ العَامَّةَ، وَالمرَافِقَ الحَيَوِيَّةَ. وَكَانُوا يهْتَمُّونَ بَتشْيِيدِ المسَاجِدِ وَالحَمَّامَاتِ، وَبِنَاءِ المدَارِسِ وَالمسْتَشْفَيَاتِ، وَإقَامَةِ الحُصُونِ وَالرِّبَاطَاتِ ، وَتَنْظِيم مَجَارِى المَاءِ وَالقَنَوَاتِ ، وَتعْبِيـدِ المَعَابِرِ وَالجُسُورِ وَالطُّرُقَاتِ، وَالإكْثَارِ مِنَ البَسَاتِينِ وَالمنْتَزَهَاتِ .

وَكَانَ الخُلَفَاءُ وَالمُلُوكُ وَالأكَابِر يَتَنَافَسُونَ فِى اخْتِيَارِ المصَايِفِ وَالمرَابِعِ، وَفِى بِنَاءِ القِبَابِ وَالقُصُورِ وَالإيوَانَات، وَتفْرِيشِهَا بِأجْمَلِ الأثَاثِ وَالرِّيَاشِ، وَفِى اتِّخَاذِ المسَارِحِ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ لِلتَّفَرُّجِ عَلَى ذَوَاتِ المخَالِبِ وَالأرْيَاشِ .

إنَّ حُبَّ الظُّهُورِ قَدْ أدّى فِى بَعْضِ الأحْيَانِ بِصِغَارِ المُلُوكِ إلَى الإسْرَافِ وَالتَبْذِيرِ، وَقَدْ حَمَلَ الطُّغْيَانُ بَعْض الرُّؤَسَاءِ عَلَى الهَدْمِ وَالتَّخْرِيبِ، وَلَكِنَّ الآثَار التِى لاَ زَالَتْ مَاثِلَةً بِالأنْدَلُسِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ مَثَلاً، كَافِيةً لِإدْرَاكِ اعْتِنَاءِ المسْلِمينَ بِالفَنِّ المعْمَارى .

وَإِنْ كَانَ يَفُوتُ الشَّابُ المَغْرِبِيُّ أَنْ يَلِمَّ بِكُلِّ مَا كَتَبَهُ الجُغْرَافِيُّونَ المُسْلِمُونَ فِي وَصْفِ المَنَازِلِ وَالأَقْطَارِ، وَمَا قَالَهُ الشُّعَرَاءُ فِي التَّغَنِّي بِالأَوْطَانِ، فَمَا عَلَيْهِ إِلاَّ أَنْ يَتَفَسَّحَ فِي عَوَاصِمِ بِلاَدِهِ، لِيَرَى مَا قَامَ بِهِ مُلُوكُ المَغْرِبِ مِنْ أَعْمَالٍ مِعْمَارِيَةٍ سِلْمِيَةٍ تَشْهَدُ لَهُمْ بِسَعَةِ النَّظَرِ ، وَلِلصُّنَّاعِ وَالفَنَّانِينَ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ .

هٰذَا وَقَدْ خَصَّصْنَا فَصْلاً لِلْبُلْدَانِ وَالمُدُنِ، وَآخَرَ لِلْمُتَنَزَهَاتِ وَالقُصُورِ، وَثَالِثاً لِلْمَصَالِحِ العَامَّةِ مُبَيِّنِينَ أَنَّ المُسْلِمِينَ قَدْ حَقَّقُوا الحَدِيثَ الشَّرِيفَ : «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً، وَاعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَداً» وَأَنَّ رُؤَسَاءَهُمْ عَمِلُوا لأَنْفُسِهِمْ وَلِرَعِيَّتِهِمْ وَلِدِينِهِمْ .

بعض المراجع المهمة فى هذا الباب

1) حضارة العرب : للدكتور غستاف لوبون ، تعريب عادل زعيتر ، (الباب 5 – فصل 7 و8) .
2) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى : لآدم ماز ، تعريب محمد عبد الهادى أبو ريدة (ج 2 فصل 22) .
3) نفح الطيب : للمقرى (ج 1 الباب الرابع) .
4) المعيار فى ذكر المنازل والديار : لابن الخطيب .
5) فنون الاسلام : للدكتور زكى محمد حسن .
6) اسبانيا فى القرن العاشر المسيحى : للاستاذ ليفى بروفنصال ، (الفصل الخاص بقرطبة) بالفرنسية .

ولمن اراد التوسع :

1) معجم البلدان : لياقوت الحموى .
2) الخطط المقريزية .
3) كتب «المسالك والممالك» الخ .

وقد الفت كتب كثيرة فى الفنون الاسلامية باللغات الاجنبية .

56) مصر وخيرتها

قَالَ السّيُوطِى : مِمّا وُصِفَتْ بِهِ مِصْرُ أَنَّ صَعِيدَهَا (1) حِجَازِى يُنْبِتُ النَّخْلَ وَالدَّومَ، وَهُوَ شَجَرُ المُقْلِ (2)، وَالقَرْضِ (3)، وَالاهْلِيج (4)، وَالفُلْفُل، وَأسفَلُ أرْضِهَا شَامِى، يُمْطِرُ مَطرَ الشَّامِ وَيَقعُ فِيهِ الثّلُوجُ، وَيُنْبِتُ التّينَ، وَالزّيْتُونَ، وَالعِنَبَ، وَالجوزَ، وَاللّوْزَ، وَالفِسْتِق (5) وَسَائِرِ الفَوَاكِهِ وَالبُقُولِ وَالرّيَاحِين . وَهِيَ مَا بَيْنَ أَرْبَعِ صِفَاتٍ : فِضّةٌ بَيْضَاءَ ، أَوْ مسكة سَوْدَاءَ، أَوْ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءَ، أَوْ ذَهبةٌ صَفْرَاءَ. وَذَلِكَ أَنَّ نِيلَهَا يطبقها فَتَصِيرُ كَأَنّهَا فِضَةٌ بَيْضَاءَ، ثُمّ يَنْضُبُ عَنْهَا فَتَصِيرُ مسكة سَوْدَاءَ، ثُمّ تُزْرَعُ فَتَصِيرُ زَبَرْجَدَةً خَضْرَاءَ، ثُمّ تَسْتَحْصِدُ فَتَصِيرُ ذهبة صَفْرَاءَ .

وحكى أنّ أَمير مِصْرَ، مُوسَى بن عِيسَى (6)، كَانَ وَاقِفاً بِالمِيدَانِ، عِنْدَ بَرْكَة الحَبَشِ، فَالْتَفَتَ يَمِيناً وَشِمَالاً وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهِ : أَتَرَوْنَ مَا أرَى ؟ قَالُوا: لاَ ! وَمَايَرَى الأَمِيرُ ؟ قَالَ : أَرَى عَجَباً مَا فِي شَيْءٍ مِنَ الدّنْيَا مِثْلُهُ ! فَقَالُوا : يَقُولُ الأَمِيرُ . فَقَالَ: أَرَى مِيدَان أَزْهَارٍ، وَحِيطَانَ

---

1) صعيد : ارض مصر المرتفعة ويقال لها بالفرنسية : مصر العالية .

2) المقل : الفقير الذى قل ماله .

3) القرض : ورق السلم وهو شجر صلب تصنع منه الرماح ويدبغ بورقه .

4) الاهليج : Myrobolan ، اسم اطلق على اثمار عدة اشجار اصلها من الهند وهى مسهلة .

5) الفستق : Pistache ، اثمار شجيرة وهى فى حجم الزيتون يستخرج منها دهن يستعمل فى الحلويات .

6) موسى بن عيسى : هو موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس عم النبى صلى الله عليه وسلم، كان امير مصر فى عهد الرشيد .

نَخْلٍ، وَبُسْتَانَ شَجَرٍ، وَمَنَازِلَ سكنى، وَجبانة أَمْوَاتٍ، وَنَهراً عجَاجاً (7)، وَأَرَاضِي زَرْع، وَمَرَاعِي مَاشِيَة، وَمَرَابِطَ خَيْلٍ، وَسَاحِلَ بَحْرٍ، وَقَانِصَ وَحْشٍ، وَصَائِدَ سَمكٍ ، وَمَلاَّحَ سَفِينَةٍ، وَحَادِي إِبِلٍ ، وَمغاير وَرَمْلاً؛ وَسَهلاً وَجَبلاً. فَهَذِهِ سَبْعَةَ عَشَرَ فِي أَقَلَّ مِنْ مَيْلٍ فِي مَيْلٍ! وَلِهَذَا قَالَ أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ (8) بنُ عَبْد العَزِيزِ الأَنْدَلُسِي يَصِفُ الرَّصْد الذى يُظَاهِرُ مِصْرَ :

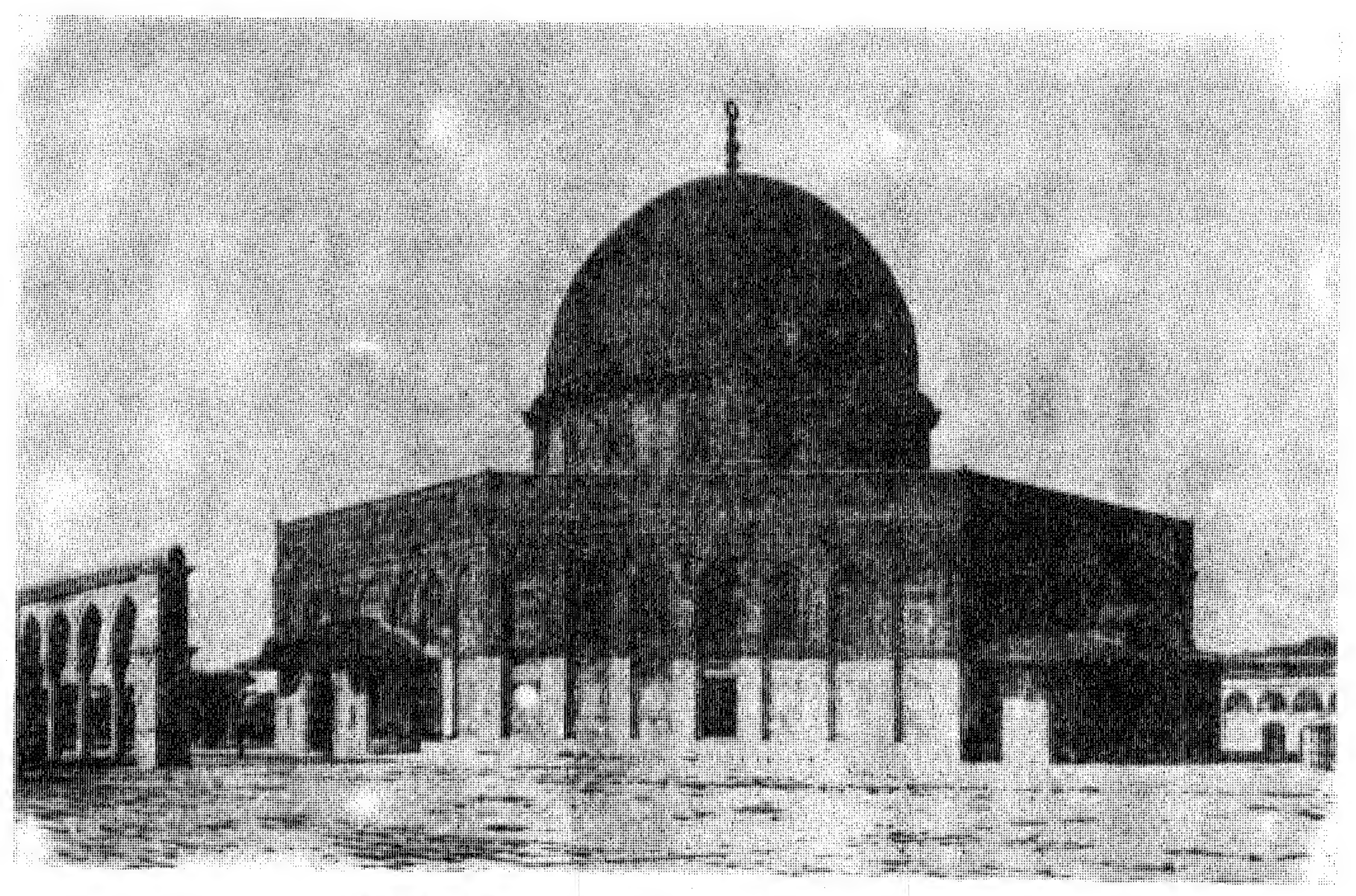
يَانزهةَ الرَّصَدِ الذِى قَدْ نَزَهت	عَنْ كُلِّ شَيءٍ خَلاَ فِي جَانِبِ الوَادِى
فَذَا غَدِيرٌ وَذَا رَوْضٌ وَذَا جَبَلٌ	فَالضَّب(9) وَالنُّونُ وَالمَلاَّحُ وَالحَادِى

حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ص 196 ج 2

7) نهر عجاج : متدفق المياه يسمع لجريانه صوت .

8) ابو الصلت : ولد بدانية سنة 460 هـ. (1068 م.) كان يقال له الاديب الحكيم ذهب الى الاسكندرية ثم انتقل فى آخر حياته الى المهدية وبها توفى سنة 529 هـ. (1135 م.)

9) الضب : حيوان من الزحافات يعيش فى الاراضى الحارة ـ وتقول العرب : اعقد من ذنب الضب ـ والنون : الحوت .



شيدت قبة الصخرة فى عهد عبد الملك بن مروان عام 691 م.
وهى أقدم بناء اسلامى بقى حتى الآن



مدرسة وقبة وبيمارستان قلاوون بالنحاسين (القاهرة)

57) مسجد دمشق وسوقها في القرن الثامن للهجرة

قَالَ ابن فَضْل اللَّهِ العُمَرِى (I) : إِنَّ مَسْجِدَ دِمَشْقَ مَعْمُورٌ بِالنَّاسِ كُلَّ النَّهَارِ وَطَرَفَى اللَّيْلِ، لأَنَّهُ مَمَرُّ المَدَارِسِ وَالبُيُوتِ وَالأَسْوَاقِ، وَفِيهِ مَا لَيْسَ فِى غَيْرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الأَئِمَّةِ وَالقُرَّاءِ وَمَشَايِخِ العِلْمِ وَالإِقْرَاءِ (2) وَوُجُوهِ أَهْلِ التَّصْدِيرِ وَالإِفْتَاءِ ، وَوَظَائِفِ الحَدِيثِ وَقُرَّاءِ الاسبَاعِ وَالمَجَاوِرِينَ (3) مِنْ ذَوِى الصَّلَاحِ. فَلَا تَزَالُ أَوْقَاته مَعْمُورَة بِالخَيْرِ، آهِلَةً بِالعِبَادَةِ، قَلَّ أَنْ يَخْلُو طَرْفَةَ عَيْنٍ، فِى لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، مِنْ مُصَلٍّ أَوْ جَالِسٍ فِى نَاحِيَةٍ مِنْهُ لاعْتِكَافٍ، أَوْ مُرَتِّلٍ لِلقُرْآنِ ، أَوْ رَافع عقيرته بآذَانٍ، أَوْ مُكَرِّرٍ فِى كِتَابِ عِلْمٍ، أَوْ سَائِلٍ عَنْ دِينٍ، أَوْ بَاحِثٍ فِى مُعْتَقَدٍ، أَوْ مُقرر لِمَذْهَبٍ، أَوْ طَالِبٍ لِحَلِّ مُشْكِلٍ مِنْ سَائِلٍ وَمَسْؤُولٍ. هَذَا إِلَى مَنْ يَأْتِى هَذَا المَسْجِدَ مُسْتَأْنِساً لِحَدِيثٍ، أَوْ مُرْتَقِباً لِقَاءَ أَخٍ، أَوْ مُتَفَرِّجاً فِى فضَاء صِحْنِه، وَحُسْنِ مَرْأَى القَمَرِ وَالنُّجُوم لَيْلاً فِى سَمَائِهِ. هَذَا إِلَى فسحَةِ الفَضَاءِ، وَطِيْبِ الهَوَاءِ، وَبَرْدِ رواقاته أَوْقَاتُ الهَجِيرِ، وَحُسْنِ مَرْأَى مَيَازِيبِهِ احْيَانَ المَطَرِ .« وَفِى كُلِّ نَاحِيةٍ مِنْ وَجْهِهَا قَمَرٌ » .

I) ابن فضل الله العمرى : ينتهى نسبه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولد بدمشق سنة 700 هـ. (I30I م.) تولى القضاء والكتابة الف كتاب «مسالك الابصار فى ممالك الامصار» توفى بدمشق سنة 748 هـ. (I348 م.).

2) مشايخ الاقراء : العلماء الذين يحسنون النطق بحروف القرآن ، وقراء الاسباع يحسنون الكيفيات السبع التى يقرأ بها القرآن ولكل من هذه القراءات شيخ قارىء يرجع اليه .

3) المجاورون : هم الذين يعتكفون على العبادة فى المساجد ويقيمون فيها مدة طويلة .

وَيقولُ ابنُ بُطُوطَة : «وَحَوْلَ هَذا المسْجِد شَوَارِعَ مُسْتَدِيرَة، فِيهَا حَوانيت البَزّازِينَ وَغَيْرِهَا، وَشَوَارِعَ مُسْتَطِيلَة، فِيهَا حَوَانِيتَ الجَوْهَرِيّينَ وَالكُتُبِيّينَ وَصُنّاعَ أَوَانِى الزُّجَاجِ العَجِيبَةِ. وَفى الرَّحْبَةِ المتّصِلَةِ بِالبَاب، دَكَاكِينَ لِكِبَارِ الشُّهُودِ: مِنْهَا دُكَّانٌ لِلشَّافِعِيَّةِ (4)، وَدَكَاكِينَ لِسَائِرِ المذاهِب، يَكُونُ فِى الدُّكَانِ مِنْهَا الخَمْسَة وَالسِّتَةَ مِنَ العُدُولِ وَالعَاقِدِ لِلأَنْكِحَة مِنْ قِبَلِ القَاضِى، وَسَائِرِ الشُهُودِ مَتَفَرِّقُونَ فِى المدِينَةِ . وَبِقُرْبِ مِنْ هَذِهِ الدكَاكِين سُوقُ الوَرّاقِينَ الذِينَ يَبِيعُونَ الكَاغِدَ وَالأَقْلَامَ وَالمدَادَ» .

عن مجلة المستمع العربى سنة 10 عدد 24

---

4) الشافعية: هم الذين على مذهب الامام ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى (توفى سنة 204هـ. 820م) والائمة اصحاب المذاهب الاخرى هم الامام : ابو حنيفة (مات سنة 150 هـ. 767 م.) . والامام ابو عبد الله مالك بن انس (179 هـ، 795 م.) ، والامام احمد بن حنبل (241 هـ. 855 م.) .

58) بخارى

إِنّها مدينةٌ قديمةٌ نزهةٌ ، كثيرة البساتين، واسعةَ الفواكهِ جيّدتها. تهدى بفواكهها تحمل إلى مرو وبينهما اثنتا عشرةَ مرحلــة ، وإلى خــوارزم وبينهما أكثرَ من خمس عشرةَ يوماً .. وقالَ صاحبُ كتاب الصّور (1) : وَأَمّا نزهةُ بِلادِ مَا وَرَاءَ النّهر، فإنّي لمْ أرَ وَلا بَلغني في الإسْلامِ، بَلداً أحسَنَ خارجاً مِنْ بُخارَى ، فإِنّكَ إِذا عَلوْتَ قهندزَها (2) لمْ يَقعْ بَصَرك، مِنْ جَميع النّوَاحِي إلاّ عَلَى خضرةٍ مُتّصِلَةٍ خُضْرتها بِخُضْرة السّمَاءِ : فكأنَّ السّمَاءَ بِها مكبَّةٌ خضْراءَ مَكبُوبَةٌ عَلى بِساطٍ أخضَرَ تلُـوّحُ القصُورَ فِيمَـا بَيْنها، كَالنّوَاوِيرِ فيها. وَأرَاضِي ضياعهم مَنْعُوتَةٌ بالاستِوَاءِ كالمرْآةِ . وَلَيْسَ بِما وَرَاءَ النّهْرِ وَخُرَاسَانَ ، بَلْدَة أهلها أحسَنَ قِياماً بِالعِمَارَةِ عَلى ضِيَاعِهِمْ مِنْ أهْلِ بُخارَى ، وَلاَ أكثرَ عَدَداً عَلَى قَدْرِها فِي المسَاحَةِ . وَهِيَ مَدِينَةٌ بِنَاؤُهَا خَشَبٌ مُشبك ، وَيُحِيطُ بِهَذا البِنَاءِ مِنَ القصُورِ وَالبَساتين وَالمحالِ، وَالسِّكَكِ المفْتَرَشَةِ ، وَالقُرَى المتّصِلَةِ ، سور يَكونُ اثْنَى عَشَرَ فرسخاً فِي مِثلهَا يجمَعُ هَذهِ القصُورُ وَالأبْنيةُ وَالقرَى وَالقصبة ، فلاَ ترَى فِي خِلاَلِ ذَلِكَ، قِفاراً وَلا خراباً .. وَلَيْسَ بِخُرَاسَانَ ، وَمَا وَرَاءَ النّهْرِ ، مَدِينَة أشَدّ اشتِبَاكاً ، وَلا أكثرَ أهْلاً عَلَى قَدْرِهَا، وَلهُمْ فِي الرّبْضِ نَهْرُ الصّغْدِ يَشُقّ الرّبْض.. فَيفْضِي إِلَى طَوَاحِينَ وَضِيَاع وَمزَارِعَ .

معجم البلدان ج 2 ص 82

---

1) صاحب كتاب الصور : المعروف ان الكثيرين من الجغرافيين المسلمين كانوا يحلون كتبهم بالصور توضيحا لما يصفون، ولم يكونوا هم اول من ابتدع هذه الطريقة ـ ولا ندرى الى من يشير الكاتب هنا .

2) قهندز : برج او قصبة .

59) دعاة للوطن : الحيرة

كَانَ بَعْضُ وَلاَةِ الكُوفَةِ يَذمُّ الحِيرَةَ فِى أيَّامِ بَنِى أُمَيَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ أَهْلِهَا ـ وَكَانَ عَاقِلاً ظَرِيفاً : أَتُعِيبُ بَلْدَةً بِهَا يُضْرَبُ المَثَلُ فِى الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ ؟ قَالَ : وَبِمَا ذَا تُمْدَحُ ؟ قَالَ : بِصِحَّةِ هَوَائِهَا، وَطِيبِ مَائِهَا ، وَنُزْهَةِ ظَاهِرِهَا ، تَصْلُحُ لِلخف وَالظِّلْفِ (1)؛ سَهْلٌ ، وَجَبَلٌ ، وَبَادِيةٌ ، وَبُسْتَانٌ ، وَبِرٌّ ، وَبَحْرٌ ؛ مَحَلّ المُلُوكِ وَمَزَارُهم وَمَسْكَنُهُمْ وَمَثْوَاهُمْ . وَقَدْ قَدِمْتها ـ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ـ مخفا (2) فَرَجَعْت مُثْقَلاً، وَوَرَدتهَا مُقِلا (3) فَأَصَارَتك مُكْثِراً . قَالَ : فَكَيْفَ نعرف مَا وَصَفتها بِهِ مِنَ الفَضْلِ؟ قَالَ : بِأَنْ تَصِيرَ إِلَى ، ثُمَّ ادْعَ مَا شِئْتَ مِنْ لَذَّاتِ العَيْشِ ، فَوَاللَّهِ لا أَجُوزُ بِكَ الحِيرَةَ فِيهِ .

قَالَ : فَاصْنَع لَنَا صَنِيعاً (4)، وَاخْرُجْ مِنْ قَوْلِكَ . قَالَ : أَفْعَلُ ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعاماً وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ خُبْزِهَا وَسَمَكِهَا وَمَا صِيدَ مِنْ وُحْشِهَا : مِنْ ظِبَاءٍ وَنعامٍ وَأَرَانِبَ وَحُبَارَى؛ وَسَقَاهُمْ مَاءَهَا فِى قِلَالِهَا؛ وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى رقمها؛ وَلَمْ يَسْتَخْدِمْ لَهُمْ حَرّاً وَلَا عَبْداً إِلاَّ مِنْ مُولِدِيهَا (5) وَمُولَدَاتِهَا مِن خدم وَوَصَائِف وَوُصَفَاء كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ ، لُغَتُهُمْ لغة أَهْلِهَا . ثُمَّ غَنَّاهُمْ حُنَينَ (6) وَأَصْحَابه

---

1) المخف والظلف : اى للحيوانات ذات الخف كالبقر والظلف كالجمال
2) مخفا : خفيف الحمل .
3) مقل : فقير
4) صنيع : هنا مأدبة
5) مولد : هو الذى ابوه عربى وامه عجمية .
6) حنين الحيرى : كان شاعرا مغنيا عاش فى عهد هشام بن عبد الملك.

فِي شِعْرِ عُدَى (7) بنْ زَيْد شَاعِرهُم ، وَأَعْشَى هَمْدَان (8) لَمْ يَتَجَاوَزهما . وَحَيَّاهُمْ بِرَيَّاحِينِهَا ، وَنقَلهُم عَلَى شَرَابِهَا، وَقَدْ شَرِبُوا، بِفَوَاكِهِهَا . ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَنِي اسْتَعَنْتُ عَلَى شَيءٍ مِمَّا رَأَيْتُ وَأَكَلْتَ وَشَرِبْتَ وَافْتَرَشْتَ وَشَمِمْتَ وَسَمِعْتَ بِغَيْرِ مَا فِي الحِيرَةِ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَقَدْ أَحْسَنْت صِفَةَ بَلَدِكَ فَأَحْسَنْت نصرَتَه وَالخُرُوجَ مِمَّا تَضمنته، فَبَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي بَلَدِكُمْ . !

الاغاني ج 2 ص 351 .

---

7) عدى بن زيد: (582 م.) شاعر من شعراء الجاهلية تربى ببلاد فارس وكان اول من كتب بالعربية في ديوان كسرى . حظى عند النعمان ابن المنذر وتزوج بابنته هند ولكن لم يلبث ان غضب عليه المنذر فقتله .

8) اعشى همذان : شاعر كوفي فصيح، صحب ابن الاشعث عدو الحجاج ابن يوسف، فقبض عليه هذا وقتله سنة 82 هـ. 702 م.

60) البصرة

قَالَ المَدَائِنِي (1) : وَفَدَ خَالِدُ بن صَفْوَانَ (2) عَلَى عَبْدِ المَلِكِ بن مَرْوَانَ (3)، فَوَافَقَ عِنْدَهُ وُفُودُ جَمِيعِ الأَمْصَارِ، وَقَدْ اتَّخَذَ مسْلَمَة (4) ، مَصَانِعَ (5) ، فَسَأَلَ عَبْد المَلِكِ أَنْ يَأْذَنَ لِلوُفُودِ فِي الخُرُوجِ مَعهُ إِلَى تِلْكَ المَصَانِع فَأَذِنَ لَهمْ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا مَسْلَمَة أُعْجِبَ بِهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَى وَفْدِ مَكَّةَ فَقَالَ: يَاأَهْلَ مَكَّةَ هَلْ فِيكُمْ مثل هَذِهِ المَصَانِع؟ فَقَالُوا: لَا إِلَّا أَنَّ فِينَا بَيْت اللهِ المسْتَقبل. ثُمَّ أَقْبلَ عَلَى وَفْدِ المدِينَةِ فَقَالَ: يَاأَهْلَ المدِينَةِ هَلْ فِيكُمْ مثل هَذِهِ ؟ فَقَالُوا : لَا إِلَّا أَنَّ فِينَا قَبْرَ نَبِيِّ اللهِ المُرْسلِ . ثُمَّ أَقْبلَ عَلَى وَفْدِ الكُوفَةِ فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ سُؤَالَهُ، فَقَالُوا: لَا إِلَّا أَنَّ فِينَا تِلَاوَة كِتَاب اللهِ المنَزَّلِ(*) ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى وَفْدِ أَهْلِ البَصْرَةِ فَأَعَادَ سُؤَالَهُ ، فَتَكَلَّمَ خَالِدُ بن صَفْوَانَ قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَقَرُّوا عَلَى بِلَادِهِمْ وَلَوْ أَنَّ عِنْدَكَ مَنْ لَهُ بِبِلَادِهِم خِبْرَةٌ لَأَجَابَ عَنْهُمْ. قَالَ: أَفَعِنْدَكَ فِي بِلَادِكَ غَيْرَ مَا قَالُوهُ فِي بِلَادِهِمْ ؟

---

*) ذكر اهل الكوفة تلاوة القرآن لان اكثر اهل الكوفة كانوا شيعة معتكفين على تلاوة القرآن وطلب العلم .

1) المدائني : هو ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن ابي يوسف المدائني ـ كان اماما حافظا ثقة، وكثيرا ما يروي عنه اصحاب التواريخ توفي سنة 231 هـ. (846 م.) .

2) خالد بن صفوان : احد عقلاء العرب . وفد مرارا على عبد الملك بن مروان واتخذه السفاح نديما يرجع الى مشاورته في معضلات الامور. توفي سنة 140 هـ. (757 م.).

3) عبد الملك بن مروان : تقدمت ترجمته (قطعة 23)

4) مسلمة بن عبد الملك : اخو الخليفة الاموي ـ كثيرا ما تولى قيادة الجيش وامارة الحج مات 119 هـ. (638 م.)

5) مصانع : هنا بنايات وبساتين .

قَالَ :نعَمْ أَصْلَحَ اللّهُ الأَمِيرِ ! أَصِفُ لَكَ بِلاَدَنَا. فَقَالَ: هَاتِ. قَالَ: يَغْدُو قَانِصنَا وَنَحْنُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَاجاً، وَساجاً، وَخزّاً، وَدِيبَاجاً، وبردونا همْلاَجاً (9) وَخرِيدَةً(10) مِغْنَاجاً(11) بُيُوتُنَا الذَّهَبُ، وَنَهْرُنَا العَجَبُ، أَوَّلُهُ الرُّطَبُ، وَأَوْسَطُهُ العِنَبُ ، وَآخِرُهُ القَصَبُ ، فَأمَّا الرُّطَبُ عِنْدَنَا فَمِنَ النَّخْلِ فِي مباركه كَالزَّيْتُونِ عِنْدَكُمْ فِي مَنَابِتِهِ ، هَذَا عَلَى أَفْنَانِهِ كَذَلِكَ عَلَى أَغْصَانِهِ ، هَذَا فِي زَمَانِهِ كَذَلِكَ فِي إِبَّانِهِ،مِنَ الرَّاسِخَاتِ فِي الوَحَلِ ، المُطْعِمَاتِ فِي المحل (12) يخْرُجْنَ اسفاطاً عِظَاماً واوسَاطاً (13) ضِخَاماً . وَأمَّا نَهْرُ العَجَبِ فَإِنَّ المَاءَ يَقْبلُ عنقا فَيَفِيضُ مُنْدَفِقاً ، فَيَغْسِلُ غَثَّهَا (15) وَيبدِى مَبَثَّهَا (16)، يَأتِينَا فِي أَوَانِ عَطَشِنَا، وَيَذْهَبُ فِي زَمَانِ رَيِّنَا ، فَنَأخُذُ مِنْهُ حَاجَتَنَا وَنَحْنُ نِيَّامٌ عَلَى فِرَاشِنَا، فَيقْبل المَاءُ وَلَهُ عُبَابٌ وَازْدِيادٌ، وَلاَ يَحْجُبُنَا عَنْهُ حِجَابٌ، وَلا تُغْلَقُ دُونَهُ الأَبْوَابُ. وَأَمَّا بُيُوتُنَا الذَّهَبُ فَإِنَّا لَنَاعَلَيْهِمْ (17) خِرَاجاً السِّنِينَ وَالشُّهُورَ نَأْخُذُهُ فِي أَوْقَاتِهِ وَيُسَلِّمُهُ اللّهُ تَعَالَى مِنْ آفَاتِهِ وَنُنْفِقُهُ فِي مَرْضَاتِهِ .

معجم البلدان ج 2 ص 204

---

6) الشبوط : ج. شبابيط : حوتة عريضة رقيقة الذنب صغيرة الرأس.
7) الشيم : نوع من السمك واحدتها شيمة .
8) الظليم : ج. ظلمان : ذكر النعام .
9) هملاجا : ذا خطوات متزنة سريعة .
10) خريدة : عذراء .
11) مغناجا : صاحبة دلال .
12) المحل : القحط . محل المكان: اجدب، وامحل القوم: اصابهم الجدب .
13) اسفاط واوساط : هنا عراجين التمر (الرطب) .
14) عنقا : متدفقا سريعاً يقال عنق : فاض .
15) الغث في الاصل : هو الشيء الضعيف وهنا بمعنى الوسخ .
16) المبث : هو الشيء الخفى ـ «والهاء» فى غثها ومبثها تعود على البصرة.
17) عليهم : اى العجم .

61) بغداد

لما عَزَمَ أَبُو جَعْفَر المَنْصُور (1) عَلَى بِنَاءِ مَدِينَةٍ لَهُ، وَلِعِيالِهِ وَأَهْلِهِ وَجُنْدِهِ، أَرْسَلَ جَمَاعَةً مِنَ الحُكَمَاءِ، ذَوِى اللُّبِّ وَالعَقْلِ، لارْتِيادِ (2) مَوْضِع، فَاخْتَارُوا لَهُ ذَلِكَ، وَقَصَدَ المَكَانَ بِنَفْسِهِ وَاخْتَبَرَهُ لَيْلاً وَنَهَاراً، فَاسْتَطَابَهُ. وَنَبَّهَهُ بَعْضُ عُقَلاَءِ النَّصَارَى إِلَى فَضِيلَةِ مَكَانَتِهَا، فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ تَكُونُ عَلَى الصَرَّة بَيْنَ دَجْلَةَ وَالفُرَات. فَإِذَا حَارَبَكَ أَحد كَانَتْ دَجْلَةَ وَالفُرَات خَنَادِيقَ لِمَدِينَتِكَ، ثُمَّ إِن المِيرَة (3) تَأْتِيكَ فِى دجْلَةَ مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ تَارَةً، وَمِنَ البَحْرِ وَالهِنْدِ وَالصِّينِ وَالبَصْرَةِ تَارَةً، وَفِى الفُرَاتِ مِنَ الرَّقَةِ والشَّامِ .. وَتجيئُكَ المِيرَة أَيْضاً مِنْ خُرَاسَان وَبِلاَدِ العَجَمِ فِى شَط تامرا . وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ بَيْنَ أَنْهَارٍ، لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ عَدُوُّكَ إِلاَّ عَلَى جِسْرٍ أَوْ قَنْطَرَةٍ . فَإِذَا قَطَعت الجِسر أَوْ أَخْرَبْت القَنْطَرَةَ لَمْ يَصِل إِلَيْكَ عَدُوكَ . وَأَنْتَ مُتَوسط لِلْبَصْرَةِ وَالكُوفَةِ وَوَاسِط وَالمُوصَل وَالسَّوَادِ (4). وَأَنْتَ قَرِيبٌ مِنَ البرّ وَالبَحْرِ وَالجَبَلِ» . فَازْدَادَ المَنْصُورُ جِدّاً وَحِرْصاً عَلَى بِنَائِهَا . وَكَاتِب الاطرَاف بِإِنْفَاذِ الصنَّاع وَالفَعَلَة (5). وَأَمَرَ بِاخْتِيَارِ قَوْمٍ مِنْ ذَوِى العَدَالَةِ وَالعَقْلِ وَالأَمَانَةِ،

---

1) ابو جعفر المنصور : تقدمت ترجمته (قطعة رقم 22) .

2) ارتياد : من راد يرود الشيء : طلبه، وراد الارض : تفقد ما فيها من المراعى والماء ليرى هل تصلح للنزول فيها .

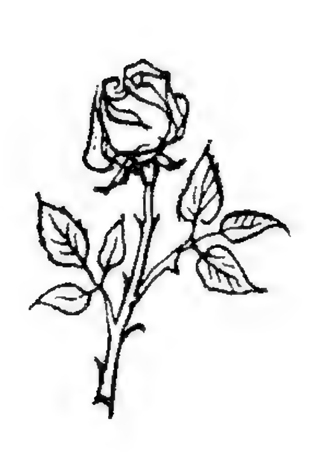
3) الميرة : من مار – يمير ميرا – الرجل عياله ، اتاهم بالطعام والمؤونة، فالميرة هو الطعام الذى يدخره الانسان .

4) السواد : هو ما حول البلدة من القرى او الريف وسمى ما حول بغداد كذلك لسواد الارض وخصبها .

5) الفعلة ج. فاعل : بمعنى العملة .

وَالمَعْرِفَةِ بِالْهَنْدَسَةِ، لِيَتَوَلوا قِسْمَةَ المدِينَةِ وَعَمَلِهَا . وَوَضَعَ بِيدِهِ أَوَّلَ لَبْنَةٍ، وَقَالَ : «بِاسْمِ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ ، الأَرْضُ لِلَّهِ، يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» . ثُمَّ قَالَ : «ابنوا» وَجَعَلَهَا مدورة، وَجَعَلَ قَصْرَهُ فِي وَسَطِهَا، لِئَلاَّ يَكُونَ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنَ الآخَرِ . وَشَرَعَ فِيهَا سَنَةَ 145 هـ. وَتَمَّمَهَا فِي سَنَةَ 146 هـ. (*)

الفخرى



*) انظر وصفا تاما لبغداد للمؤرخ اليعقوبى ص 119 من كتاب الاستاذ بلاشير «منتخبات من آثار الجغرافيين فى القرون الوسطى»

62) تلمسان

قَالَ ابنُ خَفَّاجَةَ (1) مُخَاطِباً أَهْلَ تلْمَسَانَ : (بسيط)

مَا جَنَّةُ الخُلْدِ إِلاَّ فِي مَنَازِلِكُمْ وَهَذِهِ كُنْتُ لَوْ خُيِّرْتُ أَخْتَارُ
لاَ تَتَّقُوا بَعْدَهَا أَنْ تَدْخلُوا سَقَراً فَلَيْسَ تَدْخُلُ بَعْد الجنةِ النَّارُ

وَمِمَّا يُنْسَبُ لِلِسَانِ الدِّينِ بنِ الخَطِيبِ (2) فِي وَصْفِهَا مَا صُورَتُهُ:
«تلْمسَان مَدِينَةٌ جَمَعَتْ بَيْنَ الصَّحْرَاءِ وَالرِّيفِ، وَوُضِعَتْ فِي مَوْضِعٍ شَرِيفٍ، كَأَنَّهَا مَلِكٌ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُهُ، وَحَوَالَيْهِ مِنَ الدَّوحَاتِ (3) حَشَمُهُ وَاعلاَجُهُ، عبادُهَا (4) يَدهَا ، وَكَهْفُهَا (5) كَفُّهَا، وَزَيتهَا زِيَّانهَا (6)، وَعينهَا أَعْيَانهَا.

---

1) ابن خفاجة 450 – 533 هـ. 1098 – 1138 م. شاعر اندلسي كان مقيما بشرق الاندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوك الطوائف، له ديوان شعر احسن فيه كل الاحسان – والمعروف ان هذه الابيات قيلت في اهل الاندلس .

2) لسان الدين بن الخطيب القرطبي : ولد بلوشة قرب غرناطة – استوزره بنو الاحمر توفي مقتولا بفاس سنة 776 هـ. (1375 م.)، وله تآليف وانشادات ومراسلات ذكر منها المقري قسما كبيرا في كتاب «نفح الطيب» و«ازهار الرياض» .

3) الدوحات ج دوحة : شجرة عظيمة باسقة .

4) عباد : جبل صغير قرب تلمسان، يقال انه كان يتعبد فيه اولياء كثيرون. وبه قبة قبر ومسجد سيدي ابي مدين .

5) كهف : ربما يقصد به الموضع الذي يسمى اليوم «بالاوريط» وهو شبه مغارة في كنف جبل فيه عيون ماء باردة عذبة يقصدها اهل تلمسان في الصيف للتنزه .

6) زيان : ربما يقصد بهذا الاسم الزيانيين اي ملوك بني عبد الوادي الذين حكموا مملكة تلمسان اكثر من قرنين (1239 – 1554) .

هَوَاهَا المقْصُورُ (7) بِهَا فَرِيدٌ، وَهَوَاؤُهَا المَمْدُودُ صَحِيحٌ عَتِيدٌ ، وَمَاؤُهَا بُرُودٌ صَرِيدٌ، حَجَبَتْهَا أَيْدِي القُدْرَةِ عَنِ الجنُوبِ، فَلاَ نُحُولَ فِيهَا وَلاَ شُحُوبَ. خِزَانَة زَرْعٍ، وَمَسْرَحَ ضَرْعٍ (8) فَوَاكِهُهَا عَدِيدَة الأَنْوَاعِ، وَمَتَاجِرُهَا فَرِيدَة الإِنْتِفَاعِ، وَبَرَانِسهَا رِقَاق رِقَاعٍ، إِلاَّ أَنَّهَا بِسَبَبِ حُبِّ المُلُوكِ، مطمعَة لِلْمُلُوكِ، وَمِنْ أَجْلِ جَمْعِهَا الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الفَرَا (9) مغْلُوبَة لِلأُمَرَاءِ، أَهلهَا لَيْسَتْ عِنْدَهُمْ الرَّاحَة إِلاَّ فِيمَا قبضَتْ عَلَيهِ الرَّاحَة (10)، وَلاَ فِلاَحَةَ (11) إِلاَّ لِمَنْ أَقَامَ رَسْمَ الفِلاَحَةِ؛ لَيْسَ بِهَا لَسعُ العَقَارِبِ، إِلاَّ فِيمَا بَيْنَ الأَقَارِبِ؛ وَلاَ شَطَارَةَ (12)، إِلاَّ فِيمَنْ ارْتَكَبَ الحَضَارَةَ» .

نفح الطيب ج 4 ص 268

---

7) هوى المقصور : الذى يكتب بالف مقصورة ومعناه : العشق يكون فى الخير والشر، هواء المدود : الذى يكتب بالف ممدودة : الجو الريح .

8) مسرح ضرع : اى مرعى الحيوانات ذوات الضروع (الضرع للبقر كالثدى للمرأة) .

9) الفرا : حمار الوحش ـ ويقال : كل الصيد فى جوف الفرا (اى فهو اذا صيد يغنى عن غيره) والمعنى هنا ان تلمسان احتوت على جميع الخيرات ولذا ترى الامراء يتقاتلون للاستيلاء عليها .

10) الراحة : كف اليد ـ ومعنى الجملة ان اهل تلمسان لا يثقون الا بما فى ايديهم اما الباقى من الاملاك فهو معرض للضياع لكثرة المغيرين على بلدهم والمحاصرين لها .

11) الفلاحة الاولى : النجاح والثانية : حراثة الارض .

12) الشطارة : الدهاء والخيانة ـ ومنها الشاطر ج شطار .

63) فاس في عهد الموحدين

قَدْ جَمعَتْ فَاس بَيْنَ عُذُوبَةِ الماءِ، وَاعْتِدَالِ الهَوَاءِ، وَطَيْبِ التُّرْبَةِ، وَحُسْنِ الثمَرَةِ. فَلهَا مِنَ الحَرْثِ العَظِيمِ سَقْياً وَبَعْلاً (1) عَلَى كُلِّ جهَةٍ مِنْهَا. وَعَلَيْهَا المحطب فِى جَبَلِ بَنِى بَهْدَل الذِى فِى قِبلَتِهَا، يَصْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ عَلى أَبْوَابِهَا مِنْ احْمَال حَطَبَ البَلُوطِ وَالفَحْمِ مَا لاَ يُوصَفُ كَثْرَةً، وَنهرهَا يَشُقُّهَا نِصْفَيْنِ وَيَتَشَعَّبُ فِي دَاخِلِهَا أَنْهَاراً وَجَدَاوِلَ وَخِلْجاناً ، فَتخلَّل الأَنْهار دِيَّارَهَا ، وَبَسَاتِينَهَا، وَجَنَّاتَهَا، وَشَوَارِعَهَا، وَأَسْوَاقَهَا، وَحَمَّامَاتِهَا، وَتطحْنُ به أرحَاؤُهَا ، وَيَخْرُجُ مِنْها وقَدْ حملَ أَثْقالَهَا ، وَاقذَارَهَا وَارمدَتَهَا .

قَالَ ابنُ أَبِى زَرْعٍ : بَلَغتْ فَاس ، فِى أَيَّامِ المَرَابِطِينَ وَأَيَّامَ المَوَحِدِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، مِنَ العِمَارَةِ وَالغِبْطَةِ وَالرَّفَاهِيةِ وَالدَّعَةِ ، مَا لَمْ تَبْلُغهُ مَدِينَةٌ مِنْ مُدُنِ المغرِب. انْتَهَى عَدَد مَسَاجِدِهَا فِى أَيَّامِ المَنْصُورِ (2) وابنِه النَّاصِر 782 مَسْجداً . وَاحصَاءَ مَا بِهَا مِنَ السقَّايَاتِ وَدِيَّارَ الوُضُوءِ 122 مَوْضِعاً ، وَمِنَ الحَمَّامَاتِ المبرزَةِ لِلنَّاسِ 73 حَمَّاماً ، وَمِنَ الارْحَاءِ التِى دَارَ عَلَيْهَا السُّورُ 472 حَجَراً دُونَ مَا بِخَارِجِهَا . وَأُحْصِيَتْ الدِّيَّارَ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ فَكَانَتْ 89.236 دَاراً ، و19.041 مِصْرِيةً (3). وَمِنَ الفَنَادِقِ المُعَدَّةِ لِلتجارِ وَالمسَافِرِينَ وَالغُرَبَاءِ

---

1) البعل من الارض : ما يسقيه المطر ولا يسقى بماء الينابيع .

2) المنصور : هو ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن: هو الذى أسس مدينة الرباط ، مات سنة 595 هـ.

3) مصرية : (اللفظة مغربية) محل يتخذ فى الدار على حدة ويخصص عادة للابناء الكبار وللضيوف .

467 فُنْدُقاً . وَمِنَ الحَوانِيتِ 9.082 حَانُوتاً ، وَقساريتَانِ ، إِحْدَاهُمَا بِعَدْوَةِ القَرَوِيِّينَ، وَالثَّانِيةُ بِعَدْوَةِ الأَنْدَلُسِ عَلَى وَادِي مَصْمُودَةَ .. وَأَحْصَى مَا بِهَا مِنَ التَّرَابِيعِ وَالأَطْرِزَةِ المُعَدَّةِ لِصِنَاعَةِ الحِيَاكَةِ ، فَكَانَتْ 3.064 مَوْضِعاً ، وَكَانَ بِهَا مِنَ الدِّيَارِ المُعَدَّةِ لِعَمَلِ الصَّابُونِ 47 دَاراً ، وَلِلدِّبَاغَةِ 86 دَاراً ، وللصِّبَاغَةِ 116 دَاراً ، و122 دَاراً لِسَكِّ النُّحَاسِ ، و130 كُوشَةً لِعَمَلِ الجِيرِ، و1.170 فرناً ، و11 مَوْضِعاً لِعَمَلِ الزُّجَاجِ ، وَبِخَارِجِهَا مِنَ الدِّيَارِ المُعَدَّةِ لِعَمَلِ الفَخَّارِ 118 دَاراً ، وَكَانَ بِهَا 400 لِعَمَلِ الكَاغِدِ .

عن الانيس المطرب بروض القرطاس



64) قرطبة

قَالَ السُّلْطَانُ يَعْقُوبُ المنْصُور بنُ يُوسُفَ بن عَبْد المُومن بن عَلى، لِأَحَدِ رُؤَسَاءِ أَجْنَادِ قُرْطُبَةَ : مَا تَقُولُ فِى قُرْطُبَةَ ؟ فَخَاطَبَهُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ كَلَام عَامَّةِ الأَنْدَلُسِ بِقَوْلِهِ : جَوْفهَا (شَمَالهَا) شمَّام، (يَعْنِى بِهَا جِبَالُ الوَرْد). وَغَرْبِيهَا قمَامُ (يَعْنِى مَا يوكَلُ) ، وقِبْلَتُهَا مدام (يَقْصِدُ بِهَا النَّهْرَ) وَالجَنَّةَ هِى والسلام .

قَالَ فِيهَا بَعْضَ عُلَمَاء الأَنْدَلُس :

بِأَرْبَــع فَاقَتِ الأَمْصَار قُرْطَبَةَ   مِنْهُنَّ قَنطَرَة الوَادِى وَجَامِعهَــا
هَاتَانِ اثْنَتَانِ وَالزَّهرَاء ثَالِثَــة   وَالعِلْمُ أَعْظَـم شَىءٍ وَهُو رَابِعُهَا

وَقَالَ الحَجَرى فِى المسْهَب : كَانَتْ قُرْطُبَة فِى الدولَةِ المرْوَانِيةِ (1) قبة الإِسْلَامِ، وَمَجْمَعَ أَعْلَامِ الأَنَامِ . بِهَا اسْتَقَرَّ سَرِيرُ الخِلَافَةِ المرْوَانيةِ ، وَفِيهَا تَمَحَّضَتْ (2) خُلَاصَةُ القَبَائِلِ المعدية (3) وَاليَمَانية ، وَإِلَيْهَا كَانَتْ الرحْلَة فِى الروَايَةِ (4) ، إِذْ كَانَتْ مَرْكَز الكُرَمَاءِ ، وَمَعْدِنِ العُلَمَاءِ . نَهرهَا أَحْسَنَ

---

1) الدولة المروانية : يعنى بهـا الدولة الامويـة بالاندلس نسبة الى مروان بن الحكم .

2) تمحضت : المحض من اللبن وغيره : الخالص الذى لم يخالطه شىء ويقال : عربى محض : اى خالص النسب .

3) القبائل المعدية : قبائل شمال جزيرة العرب وهم ابناء مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

4) فى الرواية : اى لرواية الحديث .

الأَنْهَار ، مُكْتَنف بِدِيبَاجِ المُرُوجِ ، مُطرَزٌ بِالأَزْهَارِ ، تَصْدَحُ فِي جَنَبَاتِهِ الأَطْيَارُ، وَتنعر النَّوَاعِر ، وَيَبْتَسِمُ النوارُ ، وقرطَاهَا (5) الزَّاهِرَةِ وَالزَّهْرَاء ، وَافقَاهمَا النَّعمَاء وَالسراء ، وَإِنْ كَانَ قَدْ اخنى عَلَيهَا الزَّمَان وَغَيَّرَ أَوْجهَهَا الحِسَان فَتِلْكَ عَادَتهُ ! إِذْ لَمْ يَزَلْ يُنَادِي بِصُرُوفِهِ : لَا أَمَانَ ! لَا أَمَانَ !

عن الحلل السندسية للامير شكيب أرسلان ج I ص 194



5) القرط : ما تعلقه المرأة فى شحمة اذنها من درة ونحوها للتزيين

65) ألذ العز ما كان في الوطن

قَالَ أَبُو عِمْرَان (1) مُوسَى بن سَعِيدٍ فِي جَوَابِهِ لِأَبِي يَحْيَى، صَاحِب سبتَةَ، لَمَّا اسْتَوْزَرَهُ مُسْتَنْصِرُ (2) بَنِي عَبْد المُومِنِ ، وَكَتَبَ إِلَى المذْكُور يرَّغبهُ فِي النَّقْلَةِ عَنِ الأَنْدَلُسِ إِلَى مُرَاكُش : «وَأَمَّا مَا ذكر سَيدِي مِنَ التَّخْيِيرِ بَيْنَ تَرْكِ الأَنْدَلُسِ وَبَيْنَ الوُصُولِ إِلَى حَضْرَةِ مُرَاكُش ، فَكَفَى الفَهْمُ العَالِي مِنَ الإِشَارَةِ قَوْل القَائِل :

وَالعِزُّ مَحْمُودٌ ، وَمُلْتَمَسٌ   وَأَلَذهُ مَا كَانَ فِي الوَطَنِ

فَإِذَا نِلْتُ بِكَ السَّمَاءَ فِي تِلْكَ الحَضْرَةِ ، فَعَلَى مَنْ أَسُودُ فِيهَا ؟ وَمَنْ ذَا أُضَاهِي (3) بِهَا ؟ وَكَيْفَ أُفَارِقُ الأَنْدَلُسَ ، وَقَدْ عَلِمَ سَيدِي أَنَّهَا جَنَّة الدُّنْيَا بِمَا حَبَاهَا (4) اللَّهُ مِنَ اعْتِدَالِ الهَوَاءِ ، وَعُذُوبَةِ المَاءِ، وَكَثَافَةِ الافْيَاءِ (5) وَانَّ الإِنْسَانَ لاَ يَبْرَحُ فِيهَا بَيْنَ قُرَّة عَيْنٍ وَقَرَارِ نَفْسٍ :

هِيَ الأَرْضُ لاَ وِرْدَ لَدَيْهَا مُكَدَّرٌ   وَلاَ ظِلَّ مَقْصُورٌ وَلاَ رَوْض مجدَب

أُفُقٌ صَقِيلٌ ، وَبِسَاطٌ مُدَبَّجٌ ، وَمَاءٌ سَائِحٌ ، وَطَائِرٌ مُتَرَنِّم بَلِيل .

---

1) ابو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر كان احد الافاضل الصلحاء والاجواد السمحاء يؤم الناس فى صلاة الفريضة .

2) مستنصر بنى عبد المومن هو الخليفة الخامس من الدولة الموحدية: بويع له وعمره ست عشرة سنة ومات بعد عشر سنين (620 هـ. 1223 م.) بمراكش . وفى مدته تهدنت البلاد الاندلسية والافريقية من غير منازع ولا معاند .

3) ضاهي ـ يضاهى : شابه وهنا نافس .

4) حباه بالشيء يحبوه : اعطاه اياه وآثره به .

5) الافياء ج فيء : الظل

وَكَيْفَ يَعدلُ الأَديبُ عَنْ أَرْضٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ؟ فَيَاسَمَوْءَل (6) الوَفَاء وَيَاحَاتِم (7) السَّمَاح ، وَيَاجَذِيمَة (8) الصَّفَاء، كملَ لِمَنْ املك النِّعْمَةَ بِتَرْكِ فِى مَوْطِنِهِ ، غَيْرَ مُكَدِّرٍ لِخَاطِرِهِ ، بِالتَّحَرُّكِ مِنْ مَعدِنِهِ مُتَلَفِّتاً إِلَى قَوْلِ القَائِلِ:

وَسَوَّلَتْ لِى نَفْسِى أَنْ أُفَارِقَهَا ... وَالمَاءُ فِى المُزْنِ أَصْفَى مِنْهُ فِى الغُدُرِ

فَإِنْ أَغْنَاهُ اهتِمَام مؤمله عَنْ ارْتِيادِ المرَاد ، وَبَلَغَهُ دُونَ أَنْ يَشد قَتَباً (9)، وَلَا أَنْ يَنْضِى عِيساً (10) غَايَةَ المرَادِ أَنْشَدَ نَاجِح المرْغُوب بَالِغَ المطْلُوبِ :

وَلَيْسَ الذِى يَسْتَتْبِعُ الوَبْلَ رَائِداً ... كَمَنْ جَاءَهُ فِى دَارِهِ رَائد الوَبل(11)

عن الحلل السندسية ج 1 ص 220

---

6) السموءل بن عادياء : هو الشاعر اليهودى الذى يضرب به المثل فى الوفاء ، عاش قبيل الاسلام وكان حصنه المعروف بالابلق قرب يثرب (المدينة) .

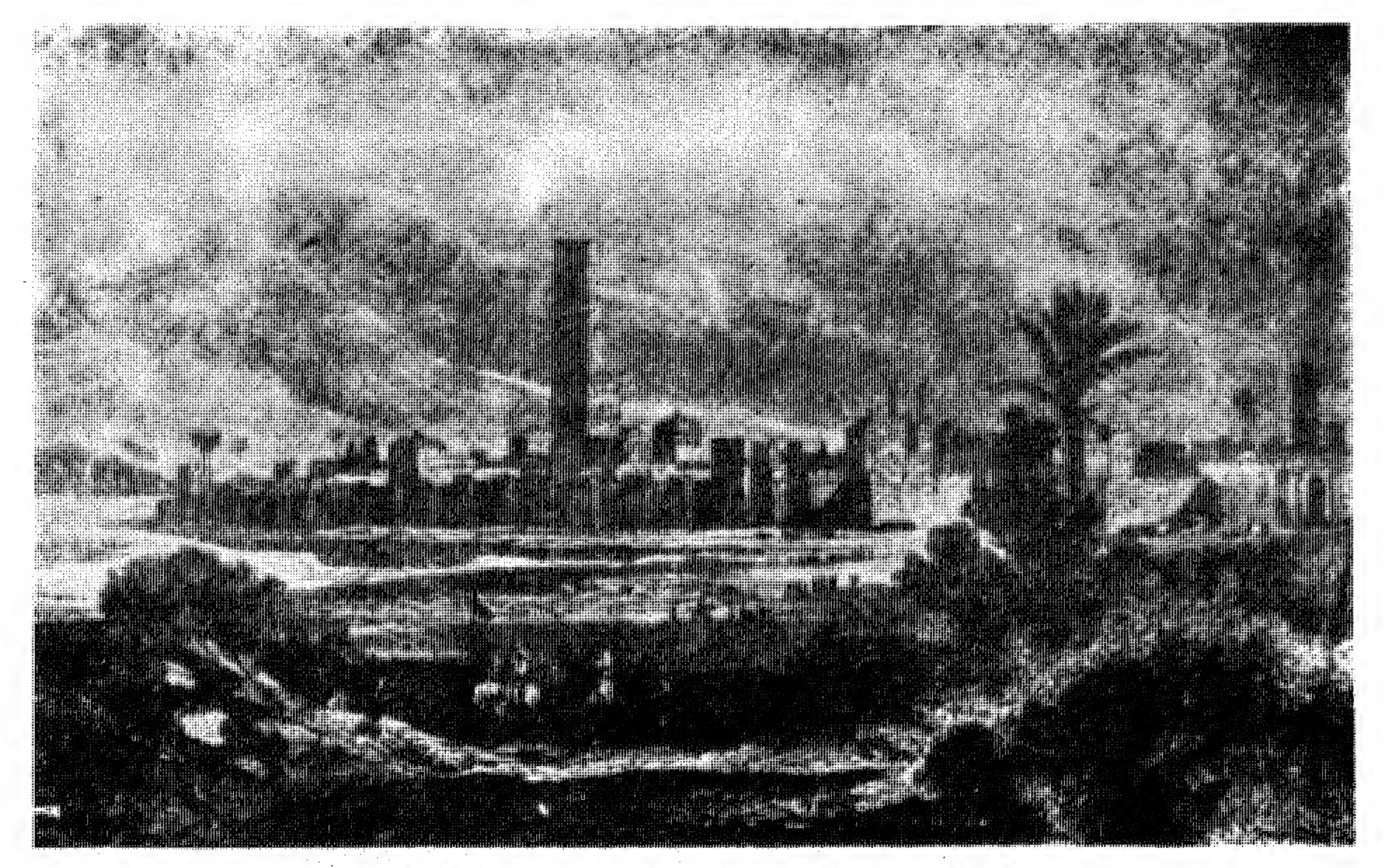
7) حاتم : انظر قطعة رقم 50 .

8) جديمة الابرش او جديمة الوضاح : من الملوك المنادرة بالعراق (قبل الاسلام) يضرب به المثل بطول المنادمة لانه كان له نادمان عاشراه اربعين عاما .

9) قتب وقتب ج اقتاب : هو البردعة او الرحل الذى يشد على البعير .

10) العيس : الجمل ـ وانضاه : اهزله بكثرة الاسفار .

11) رائد : هو الذى يتقدم القافلة للبحث عن ارض تصلح للنزول لما بها من كلأ وماء .



منظر لمدينة مراكش فى اواخر القرن السابع عشر

الباب الثالث

الفصل الثاني

المنتزهات والقصور



قَالَ تعالَى : « إِنَّا جعلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُـمْ أَيُّهُـمْ أَحْسَنُ عَملاً » .

66) قصر البديع بمراكش

لَمَّا عَزَمَ الخَلِيفَةُ أَحْمَدُ المَنْصُورُ عَلَى الشُّرُوعِ فِي بِنَاءِ قَصْرِ البَدِيعِ ، أَحْضَرَ أَهْلَ العِلْمِ ، وَمَنْ يَتَّسِمُ بِالصلاَحِ. فَتَحَيَّنُوا أَوَانَ الابْتِدَاءِ ، فَكَانَ ذَلِكَ فِي شَوَّال خَامِسِ الأَشْهُرِ مِنْ خِلاَفَتِهِ عَامَ 986 هـ. وَاتَّصَلَ البِنَاءُ فِيهِ إِلَى عَام 1002 ، وَلَمْ يَتَخَلَّلْ ذَلِكَ فَتْرَةٌ . فَحَشَدَ لَهُ الصُّنَّاعَ حَتَّى مِنْ بِلاَدِ الفَرَنْجَةِ . وَكَانَ يَجْتَمِعُ بِبَابِهِ سُوقٌ عَظِيمٌ يَقْصِدُهُ التُجَّارُ بِبَضَائِعِهِمْ ، وَنَفَائِس أَعْلاَقِهِمْ. وَجَلَبَ لَهُ الرُّخَامَ مِنْ بِلاَدِ الرُّومِ ، فَكَانَ يَشْتَرِيهِ مِنْهُم بِالسُّكَرِ وَزْناً بِوَزْنٍ . وَكَانَ المَنْصُورُ قَدْ اتَّخَذَ مَعَاصِرَ لِلسُّكَرِ بِبِلاَدِ حَاحَةَ وَشِيشَاوَةَ وَغَيْرِهِمَا . وَأَمَّا جِبْصُه وَجِيرُهُ وَبَاقِي أَنْقَاضِهِ ، فَإِنَّهَا جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَحُمِلَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، حَتَّى أَنَّهُ وُجِدَتْ بِطَاقَةٌ فِيهَا : «أَنَّ فُلاَناً دَفَعَ صَاعاً مِنْ جِيرٍ حَمَلَهُ مِن تَنبُكْتُو وُظِّفَ عَلَيْهِ فِي عِمَارِ النَّاسِ» . وَكَانَ المَنْصُورُ مَعَ ذَلِكَ يُحْسِنُ إِلَى الأُجَرَاءِ غَايَةَ الإِحْسَانِ ، وَيُجْزِلُ صِلَةَ المَعَلِمِينَ بِالبِنَاءِ ، وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِم فِي العَطَاءِ ، وَيَقُومُ بِمُؤُونِ أَوْلاَدِهِمْ كَيْ لاَ تَتَشَوَّقَ نُفُوسُهُمْ وَتَتَشَعَّبَ أَفْكَارُهُمْ.

وَهَذَا القَصْرُ دَارٌ مُرَبَّعَةُ الشَّكْلِ ، وَفِي كُلِّ جِهَةٍ مِنْهَا قُبَّةٌ رَائِقَة الهَيْئَةِ. وَهَذِهِ القِبَابُ قَدْ كُتِبَتْ بِالخَطَّيْنِ المُوَرَّقِ والمُجَوْهَرِ (1) عَلَى أَطْنَاف (2) نَوَافِذِهَا،

---

1) الخط المورق والخط المجوهر : ربما يقصد بهما الخطين الكوفي والنسخي .

2) اطناف ج طنف: ما اشرف من البناء خارجا عن الجدار ومثلها الافاريز

وَأَفَارِيز جُدرَانِهَا ، بَلِيغُ الشِّعْرِ وَرَائِقُ النَّظْمِ ، فَنُقِشَ فِي الخَشَبِ، وَحُفِرَ فِي الرُّخَامِ ، وَنُظِمَ فِي الزلِّيج . وَهَذَا الشِّعْرُ كَانَ مُفْرَضاً عَلَى لِسَانِ كُلِّ قُبَّةٍ كَمُفَاخَرَة لِلَّتِي تُقَابِلُهَا. وَفِي كُلِّ قُبَّةٍ عَوَامِدَ مِنَ المَرْمَرِ الشَّفَّافِ، نُقِشَتْ تِيجَانُهَا، وَأُفْرِغَ عَلَيْهَا الذَّهَبُ الذَائِبُ ، ثُمَّ مُوِّهَتْ بِالنُّضَارِ (3) اللَّامِعِ، وَفُرِّشَتْ أَرْضُهَا بِالرُّخَامِ المُجَزَّعِ (4) الصَّافِي البَشْرَةِ ، المَقْطُوعِ فِي أَشْكَالٍ هَنْدَسِيَّةٍ عَجِيبَةٍ ، وَأَمَّا سُقُوفُهَا فَقَدْ أَبْدَعَ فِيهَا الفَنَّانُ التَّسْطِيرَ وَالتَّوْرِيقَ (5) وَالمُقَرْنَص (5)، ثُمَّ طُعِّمَتْ بِالذَّهَبِ الإِبْرِيز ، كَمَا طُعِّمَتْ بِهِ زَخْرَفَةُ الجُدْرَانِ . وَلَكِنْ القُبَّةَ الخَمْسِينِيَّةَ (خَمْسِينَ ذِرَاعاً) ، قُبَّةَ العَرْشِ ، وَقُبَّةَ المُقَابَلَاتِ الرَّسْمِيةِ ، كَانَتْ أَرْوَعَ هَذِهِ القِبَابِ ، قَدْ أُجْرِيَ فِيهَا سَوَاقٍ مُلْتَوِيَةٌ ، مِنَ المَرْمَرِ ، رُصِّعَتْ بِحَصْبَاءَ مُلَوَّنَةٍ ، لِتَجْرِي فِيهَا المِيَاهُ الصَّافِيَةُ . وَحَوَالَيْ هَذِهِ السَّوَاقِي ، وُضِعَتْ جِفَانٌ مِنَ الرُّخَامِ ، غُرِسَ بِهَا أَلْوَانٌ مِنَ الأَزْهَارِ ، وَمُزِجَ تُرَابُهَا بِالمِسْكِ وَالعَنْبَرِ حَتَّى إِذَا سَارَتْ عَلَيْهَا نَفْحَةٌ مِنَ النَّسِيمِ المَارِّ بَيْنَ النَّوَافِذِ العَدِيدَةِ، حمل رَوَائِحَ زَكِيَّةً . وَفِي وَسَطِ هَذِهِ القُبَّةِ قَامَتْ خَصَّةٌ مِنَ المَرْمَرِ ، تَنْهَمِرُ الأَمْوَاهُ عَلَى جَنَبَاتِهَا ، وَيَكْتَنِفُ حَوْضَهَا عَدَدٌ مِنَ الدُّمَى (6) الرُّخَامِيَّة ، أَمَاطَ (7) عَنْهَا النَّحَاتُ المَآزِرَ وَالغَلَائِلَ (8)، وَأَبْرَزَهَا عَارِيَةً مُتَبَرِّجَةً (9)، وَعَلَى رَأْسِ

---

3) موهت بالنضار : طليت بالذهب المذاب .

4) الرخام المجزع : الذى فيه بياض وسواد .

5) التسطير : تزويق بسطور وزوايا مستقيمة ـ والتوريق : زخارف تمثل اوراق الاشجار وافنانها ـ والمقرنص : ذو افاريز بعضها فوق بعض ويقال له فى العربية العامة «المقرنز» و«القرنيزة» .

6) الدمى ج دمية : الصورة المزينة فيها حمرة كالدم ـ وهنا تماثيل للنساء نحتت من حجر او رخام .

7) أماط : ازال ـ أماطت المراة اللثام ، واماط الحجر عن الطريق .

8) الغلائل مفردها غلالة : شعار يلبس تحت الثوب او تحت الدرع وهنا لباس قصير رفيع النسج متقن الوشى تغطى به المراة اعلى جسمها .

9) متبرجة : مظهرة زينتها ومحاسنها للاجانب .

كُلّ دُمْيَةٍ مِنْهَا ، تَـاجٌ مِـنَ الذَّهَبِ المُرَصَّعِ بِالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ . وَدَارَتْ فِى جَنَبَاتِ هَذِهِ القُبَّةِ الحَنَايَا ذَاتُ الأَقْوَاسِ الفَاتِنَةِ ، وَفِى الوَاجِهَةِ بَهْوٌ عَظِيمٌ وُضِعَ بِهِ عَرْشُ الخَلِيفَةِ المَنْصُورِ (١٥)، وَهُوَ كُرْسِىٌّ مِنَ العَاجِ المُصَفَّحِ بِالذَّهَبِ وَبِدَاخِلِ هَذَا البَهْوِ كُتِبَ بِحُرُوفٍ مِنَ الرُّخَامِ الأَسْوَدِ مُرَصَّعَةٍ فِى مَرْمَرٍ أَبْيَضَ أَشْعَارٌ رَقِيقَةٌ وَآيَاتٌ كَرِيمَةٌ .

نزهة الحادى ص ٢٦٢



---

١٥) المنصور: هو احمدالمنصورالذهبى سابعملوك السعديين بويعله بمراكش بعد واقعة وادى المخازن، استولى على بلاد السودان وكثرت الخيرات والنعم فى زمانه مات سنة ١٠١٢ هـ. (٢٦١٧ م).

67) مجلس ذي النون : « المكرم »

وبحيرتا قصره

قَالَ ابن حَيَّان (1) : وَكُنْتُ مِمَّنْ أَذْهَلَتْهُ فِتْنَةُ ذَلِكَ المجْلِسِ : وَأَغْرَب مَا قيّد لَحْظِي مِنْ بَهِيِّ زخْرفِهِ ، عَنِ التَرَقِّي عَنْهُ إِلَى مَا فَوْقَه ، أَزَارُه الرَّائِعُ الدائِرُ بِأَسِّهِ حَيْثُ دَار ، وَهُوَ مُتَّخَذٌ مِنَ المرْمَــــرِ الأَبْيَضِ المسْنُونِ (2) قَدْ خُرِّمَتْ فِي جُثْمَانِهِ صُوَرَ البَهَائِمِ، وَأَطْيَارٌ، وَأَشْجَارٌ ذَاتُ ثِمَارٍ ، وَقَدْ تَعَلَّقَ كَثِيرٌ مِنْ تِلْكَ التَّمَاثِيلِ المصَوَّرَةِ بِمَا يَلِيهَا مِنْ أَفْنَانِ أَشْجَارٍ ، وَأَشْكَالِ الثَّمَرِ، مَا بَيْنَ جَانٍ وَعَابِثٍ، وَعَلِقَ (3) بَعْضُهَا بَعْضاً بَيْنَ مَلاَعِبَ وَمَثَاقِفَ(4) تَرْنُو إِلَى مَنْ تَأَمَّلَهَا بِأَلْحَاظِ عَاطِفٍ، كَأَنَّهَا مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ، أَوْ مُشِيرَةٌ إِلَيْهِ.. وَقَدْ فَصَلَ ذَلِكَ الإِزَارُ عَمَّا فَوْقَهُ، كِتَابُ نَقْشٍ عَرِيضُ التَّقْدِيرِ، مُخَرَّمٌ مَحْفُورٌ دَائِرٌ بِالمجْلِسِ الجَلِيلِ مِنْ دَاخِلِهِ، قَدْ خَطَّهُ المنْقَارُ (5) أَبْيَنَ مِنْ خَطِّ التَّزْوِيرِ(6) قَائِمُ الحُرُوفِ، بَدِيعُ الشَّكْلِ، مَرْقُومٌ كُلُّهُ بِأَشْعَارٍ حِسَانٍ، قَدْ تُخَيِّرَتْ مِنْ

---

1) ابن حيان : ابن خلف ابو مروان حيان القرطبي ويكنى عادة بابن حيان نسبة الى جده وهو من اقدم مؤرخي الاندلس وافضلهم الا إن تفاصيل حياته مجهولة وضاع الكثيـــر من مؤلفاته (377 ــ 469هـ. 987ــ1076 م.).

2) المسنون : الاملس المصقول .

3) علقه : احبه ــ وهنا قال ذلك على سبيل المجاز .

4) مثاقف : المثاقف هو الملاعب بالسلاح ــ وثاقفه فتقفه اى غالبه فغلبه في الحذق .

5) المنقار : هي الآلة التي يحفر وينحت بها .

6) التزوير : من زور فلان ــ زين الكذب ــ وزور الشيء ــ حسنه وقومه وازال زوره اى ميله واعوجاجه .

أَمَادِيحَ مُخْتَرَعَةٍ فِى المأْمُونِ (7)، وَفَوْقَ هَذَا الكِتَابِ الفَاصِلِ فِى المجْلِسِ، بُحُورٌ مُنْتَظِمَةٌ مِنَ الزُّجَاجِ المُلَوَّنِ، المُلَبَّسِ بِالذَّهَبِ الإِبْرِيزِ، مُصَوَّرَةٌ بِأَمْثَالِ تِلْكَ التَّصَاوِيرِ مِنَ الحَيَوَانِ وَالأَشْجَارِ، بِأَتْقَنِ تَصْوِيرٍ وَأَبْدَعِ تَقْدِيرٍ .

وَلِهَذِهِ الدَّارِ بُحَيْرَتَانِ، قَدْ نُصَّتْ (8) عَلَى أَرْكَانِهِمَا صُوَرُ أُسْدٍ مَصُوغَةٌ مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ أَحْكَمَ صِيَاغَةٍ، تَتَخَيَّلُ لِمُتَأَمِّلِهَا كَالِحَةَ (9) الوُجُوهِ، فَاغِرَةَ الشُّدُوقِ، يَنْسَابُ مِنْ أَفْوَاهِهَا نَحْوَ البُحَيْرَتَيْنِ المَاءُ هوناً كَرَشِيشِ القَطْرِ، أَوْ سُحَالَةِ اللُّجَيْنِ (10). وَقَدْ وُضِعَ فِى قَعْرِ كُلِّ بُحَيْرَةٍ حَوْضُ رُخَامٍ يُسَمَّى المذبحَ، مَحْفُورٌ مِنْ رَفِيعِ المَرْمَرِ ، كَبِيرِ الجِرْمِ، غَرِيبِ الشَّكْلِ، بَدِيعِ النَّقْشِ، قَدْ ابرزَتْ فِى جَنَبَاتِهِ صُوَرُ حَيَوَانٍ ، وَأَطْيَارٌ ، وَأَشْجَارٌ ؛ وَيَنْحَصِرُ مَاؤُهَا فِى شَجَرَتَيْ فِضَّةٍ عَالِيَتَى الأَصْلَيْنِ، غَرِيبَتَى الشَّكْلِ قَدْ غُرِزَتْ كُلُّ شَجَرَةٍ وَسَطَ مَذْبحٍ بِأَدَقِّ صِنَاعَةٍ، يَتَرَقَّى فِيهِمَا المَاءُ مِنَ المَذْبَحَيْنِ ، فَيَنْصَبُّ مِنْ أَعَالِى أَفْنَانِهِمَا انْصِبَابَ رَذَاذِ المَطَرِ (11) أَوْ رَشَاشِ التَّنْدِيَةِ، فَتَحْدُثُ لِمَخْرَجِهِ نَغَمَاتٌ

---

7) المامون بن ذى النون من ملوك الطوائف واصلهم من قبائل هوارة وكان المأمون شديد البأس وقد قام عليه المعتمد بن عباد فغلبه وكانت وفاته بعد ذلك بقليل (467 هـ. 1075 م.)

8) نصت : نصبت ، نص الشيء : رفعه واظهره .

9) كالحة الوجوه : يقال ـ كلح وجهه : تكشر فى عبوس او عبس فافرط فى تعبسه .

10) سحالة : يقال : سحلت العين : بكت.وسحل الدراهم ، صبها كانه حك بعضها ببعض، والسحالة: هو ما يقطع بالمبرد. واللجين: الفضة

11) الرذاذ : المطر الضعيف .

تُصْبِي (12) النُّفُوسَ وَيَرْتَفِعُ بِذِرْوَتِهَا عَمُودٌ مُنْضَغِطُ (13) الإِنْدِفَاعِ، يَنْسَابُ مِنْ أَفْوَاهِهَا، وَيُبَلِّلُ أَشْخَاصَ أَطْيَارِهَا وَثِمَارِهَا بِأَلْسِنَةٍ كَالمَبَارِدِ الصَّقِيلَةِ، يُقَيِّدُ حُسْنُهَا الأَلْحَاظَ ، وَيدعُ الأَذْهَانَ الحَادَّةَ كَلِيلَةً .

الذخيرة قسم 4 مجلد ، ص 102



---

12) أصبى ـ من صبا يصبو اليه : اى حن اليه واشتاق ـ واصباه الشي: شاقه واستهواه فحن اليه يقال : اصبته المكارم .

13) عمود منضغط الاندفاع : اى عمود من الماء يصعد بقوة .

68) قبة من زجاج

شَادَ مَلِكُ طُلَيْطِلَةَ المأمونُ بنُ ذِي النُّونِ (1) قَصراً ، أَنفقَ عَلَيْهِ أَمْوَالاً طَائِلَةً ، وَصَنعَ فِي وَسطِهِ بُحَيْرَةً ، صَنَعَ فِي وَسَطِهَا قُبَّةً مِنْ زُجاجٍ مُلوَّنٍ مَنْقُوشٍ بِالذَّهَبِ ، وَجَلَبَ عَلَى رَأْسِ القُبَّةِ ، بِتَدْبِيرٍ أَحْكَمَهُ المهَنْدِسُونَ، الماءَ. فَكَانَ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلاهَا عَلَى جَوَانِبِهَا ، مُحِيطاً بِهَا ، وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ : فَكَانَتْ قُبَّةُ الزُّجَاجِ فِي غِلَالَةٍ مِمَّا سُكِبَ خَلْفَ الزُّجَاجِ، لَا يَفْتُرُ مِنَ الجَرْيِ، وَالمَلِكُ قَاعِدٌ فِيهِ ، لاَ يَمَسُّهُ مِنَ الماءِ شَيءٌ، وَتُوقَدُ فِيهَا الشُّمُوعُ، فَيُرَى لِذَلِكَ مَنْظَرٌ بَدِيعٌ عَجِيبٌ، وَبَيْنَمَا هُوَ فِيهَا مَعَ جَوَارِيهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ سَمِعَ مُنْشِداً يُنْشِدُ : (طويل)

أَتَبْنِي بِنَاءَ الخَالِدِينَ وَإِنَّمَا   مَقَامُكَ فِيهَا لَوْ عَلِمْتَ قَلِيلُ

لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الأَرَاكِ(2) كِفَايَةٌ   لِمَنْ كُلَّ يَوْمٍ يَقْتَضِيهِ رَحِيلُ

فَنَغَّصَ (3) فِي ذَلِكَ حَالَهُ، وَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَظُنُّ أَنَّ الأَجَلَ قَدْ قَرُبَ . فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهَا غَيْرَ شَهْرٍ ، وَلَمْ يَجْلِسْ فِي تِلْكَ القُبَّةِ بَعْدَهَا .

نفح الطيب

---

1) المأمون بن ذى النون : انظر ترجمته فى القطعة السابقة .

2) الاراك : شجر ينبت بجزيرة العرب ويتخذ منه المساويك وواحدتها اراكة .

3) نغص عليه العيش : كدره .

69) بركة الزئبق

شَكَا خُمَارَوَيْهِ (1) إِلَى طَبِيبِهِ كَثْرَةَ السَّهَرِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالتَّغْمِيزِ (2). فَأنف مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ : «لَا أَقْدِرُ عَلَى وَضْعِ يَدِ أَحَدٍ عَلَيَّ» . فَقَالَ لَهُ: «تَأْمُرُ بِعَمَلِ بِرْكَةٍ مِنْ زِئْبِقٍ» . فَعَمَلَ بِرْكَةً يُقَالُ إِنَّهَا خَمْسُونَ ذِرَاعاً طُولاً، فِى خَمْسِينَ ذِرَاعاً عَرْضاً ، وَمَلأَهَا مِنَ الزِّئْبِقِ ، فَأَنْفَقَ فِى ذَلِكَ أَمْوَالاً عَظِيمَةً. وَجَعَلَ فِى أَرْكَانِ الْبِرْكَةِ سِكَكاً (3) مِنَ الفِضَّةِ الخَالِصَةِ، وَجَعَلَ فِى السِّكَكِ زَنَانِيرَ مِنْ حَرِيرٍ ، مُحْكَمَةَ الصَّنْعَةِ ، فِى حِلَقٍ مِنَ الفِضَّةِ ، وَعَمِلَ فَرْشاً مِنْ أَدَمٍ(4) يُحْشَى بِالرِّيحِ حَتَّى يَنْتَفِخَ، فَيُحْكَمُ حِينَئِذٍ شَدُّهُ، وَيُلْقَى عَلَى تِلْكَ الْبِرْكَةِ الزِّئْبِقُ، وَتُشَدُّ زَنَانِيرُ الحَرِيرِ التِى فِى حِلَقِ الفِضَّةِ بِسِكَكِ الفِضَّةِ، وَيَنَامُ عَلَى هَذَا الفِرَاشِ فَلاَ يَزَالُ الفِرَاشُ يَرْتَجُّ، وَيَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةِ الزِّئْبِقِ، مَا دَامَ عَلَيْهِ وَكَانَتْ هَذِهِ البِرْكَةُ مِنْ أَعْظَمِ مَا سُمِعَ بِهِ مِنَ الهِمَمِ المُلُوكِيةِ: فَكَانَ يُرَى لَهَا، فِى اللَّيَالِى المُقْمِرَةِ، مَنْظَرٌ عَجِيبٌ، إِذَا تَآلَفَ نُورُ القَمَرِ بِنُورِ الزِّئْبِقِ.

الخطط المقريزية ج 2 (فى ترجمة ابن طولون)

---

1) خمارويه بن احمد بن طولون: واحمد هذا تركى اصله من وراء النهر. اسر بها وتربى فى قصر المأمون . ارسله احد القواد الاتراك الى مصر ليخمد ما بها من الفتن. فاظهر كفاءة عظيمة وحصل على شبه استقلال، اعتنى بالمصالح العامة وبنى مساجد وقصور لا زال بعضها موجودا الى يومنا هذا، اقتفى اثره ابنه خمارويه ـ قتل سنة 282 هـ. (895 م.) انظر القطع التالية .

2) التغميز : من غمزه اى جسه وكبسه باليد .

3) السكك : هنا قضبان من فضة .

4) ادم والادمة : باطن الجلد ، والاديم : الجلد المدبوغ .

70) حديقة السباع

بَنَى خُمَارَوَيْهِ دَاراً لِلسِّبَاعِ ، عَمِلَ فِيهَا بُيُوتاً بِأَزَاجٍ، كُلُّ بَيْتٍ يَسِعُ سَبُعاً وَلَبُؤَتَهُ. وَعَلَى تِلْكَ البُيُوت أَبْوَابٌ تُفْتَحُ مِنْ أَعْلاهَا بِحَرَكَاتٍ . وَلِكُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا طَاقٌ صَغِيرٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الرَّجُلُ المُوَكَّلُ بِخِدْمَةِ ذَلِكَ البَيْتِ، يُفَرِّشُهُ بِالزِّبْلِ ، وَفِي جَانِبِ كُلِّ بَيْتٍ حَوْضٌ مِنْ رُخَامٍ ، بِمِيزَابٍ مِنْ نُحَاسٍ يَصُبُّ فِيهِ الماءُ . وَبَيْنَ يَدي هَذِهِ البُيُوت ، قَاعَاتٌ فَسِيحَة مُتَّسِعَة ، فِيهَا رَمْلٌ مَفْرُوشٌ بِهَا ، وَفِي جَانِبِهَا حَوْضٌ كَبِيرٌ مِنْ رُخَامٍ ، يَصُبُّ فِيهِ الماءُ مِنْ مِيزَابٍ كَبِيرٍ، فَإِذَا أَرَادَ سَائِسُ سَبُعٍ مِنْ تِلْكَ السِّبَاعِ ، تَنْظِيفَ بَيْتِهِ ، أَوْ وَضْعَ وَظِيفَةِ اللَّحْمِ الَّتِي لِغِذَائِهِ ، رَفَعَ البَابَ بِحِيلَةٍ مِنْ أَعْلَى البَيْتِ، وَصَاحَ بِالسَّبُعِ فَيَخْرُجُ إِلَى القَاعَةِ المَذْكُورَةِ ، وَيَرُدُّ البَابَ ، ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى البَيْتِ مِنَ الطَّاقِ ، فَيُكَنِّسُ الزِّبْلَ (1) وَيُبَدِّلُ الرَّمْلَ بِغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ نَظِيفٌ، وَيَضَعُ الوَظِيفَةَ مِنَ اللَّحْمِ فِي مَكَانٍ مُعَدٍّ لِذَلِكَ ، بَعْدَ مَا يُخَلِّصُ مِمَّا فِيهِ مِنَ الغُدَدِ (2) وَيقطعهُ وَيَغْسِلُ الحَوْضَ، وَيَمْلَأُهُ مَاءً ، ثُمَّ يَخْرُجُ، وَيَرْفَعُ البَابَ مِنْ أَعْلاهُ، وَقَدْ عَرَفَ السَّبُعُ ذَلِكَ: فَحَالَمَا يَرْفَعُ السَّائِسُ البَابَ، دَخَلَ إِلَيْهِ الأَسَدُ، فَأَكَلَ مَا هُيِّئَ لَهُ .

وَكَانَ لِلسِّبَاعِ أَوْقَاتٌ يفتحُ لَهَا سَائِرُ بُيُوتِ السِّبَاعِ ، فَتَخْرُجُ إِلَى القَاعَةِ وَتَتَمَشَّى فِيهَا وَتَمْرَحُ وَتَلْعَبُ ، وَتُهَارِشُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، فَتُقِيمُ يَوْماً كَامِلاً

---

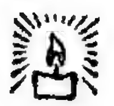
1) الزبل : هنا القش اليابس الذى يفرش للحيوان لينام عليه

2) الغدد مفردها غدة : وهو اللحم الصلب الذى يصعب مضغه ــ وقد تحدث عن داء بين الجلد واللحم .

إلى المشي فيصيح بها السواس ، فيدخل كل سبع إلى بيته ، لا يتخطاه إلى غيره .

وكان من جملة هذه السباع ، سبع أزرق العينين ، يقال له زريق ، قد أنس بخماروية وصار مطلقا في الدار ، لا يؤذي أحدا ، ويقام له بوظيفته من الغذاء في كل يوم . فإذا نصبت مائدة خماروية ، أقبل زريق معها ، وربض بين يديه ، فرمى إليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدي ونحو ذلك مما يلي المائدة ، فيتفكه به . وكانت له لبوة لم تستأنس كما أنس ، فكانت مقصورة في بيت ، ولها وقت معروف يجتمع معها فيه . فإذا نام خماروية ، جاء زريق ليحرسه : فإن كان قد نام على سريره ، ربض بين يدي السرير ، وجعل يراقبه ما دام نائما ، وإن كان إنما نام على الأرض ، بقي قريبا منه وتفطن لمن يدخل ويقصد خماروية ، لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة . وكان على ذلك دهره ، قد ألف ذلك ، ودرب عليه . وكان في عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من خماروية ما دام نائما لمراعاته له ، وحراسته إياه ، حتى إذا شاء الله إنفاذ قضائه في خماروية ، كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ، ليعلم أنه لا يغني حذر من قدر (3) .

خطط المقريزي ج 2 (في ترجمة ابن طولون)



---

(3) مات خماروية مقتولا .

71) مسرح الطيور

فلمّا مات أحمد بن طولون (1) وقام من بعده ابنه خمارويه، أقبل على قصر أبيه، وزاد فيه وأخذ الميدان الذى كان لأبيه فجعله كلّه بستاناً، وزرع فيه أنواع الرّياحين، وأصناف الشجر، ونقل إليه الودىّ (2) اللّطيف، الذى ينال ثمره القائم، ومنه ما يتناوله الجالس من أصناف خيار النّخل. وحمل إليه كلّ صنف من الشجر المطعّم العجيب، وأنواع الورد، وزرع فيه الزّعفران وكسا أجسام النّخل نحاساً مذهّباً حسن الصّنعة، وجعل بين النّحاس وأجساد النّخل ميازيب الرّصاص، وأجرى فيها الماء المدبّر، فكان يخرج من تضاعيف قائم النّخل عيون الماء، فتنحدر إلى فساقى (3) معمولة، ويفيض منها الماء إلى مجار تسقى سائر البستان؛ ونقش فيه من الرّيحان المزروع على نقوش معمولة، وكتابات مكتوبة، يتعاهدها البستانىّ بالمقراض، حتّى لا تزيد ورقة على ورقة، وزرع فيه النّيلوفار(4) الأحمر والأزرق والأصفر، أهدي إليه من خراسان وغيرها كلّ أصل عجيب. وطعّموا له شجر المشمش باللّوز وأشباه ذلك من كلّ ما يستظرف.

وبنى فيه برجاً من خشب السّاج المنقوش بالنّقر النّافذ ليقوم مقام الأقفاص، وزوّقه بأصناف الأصباغ، وبلّط أرضه، وجعل فى تضاعيفه

---

1) احمد بن طولون: تقدمت ترجمته مع ترجمة ابنه خمارويه قطعة 69

2) الودى : ج ودية : نخل صغير للمغراسة .

3) فسقية ج فساقي وفسقيات : صهاريج ذات فوارات .

4) النيلوفار : نبات مائى له ازهار ملونة تنسد وتنغمس فى الماء عند غروب الشمس .

أنهاراً لطافاً جداً يجرى فيها الماءُ مُدبَّراً مِنَ السَّواقِى التى تدورُ على الآبارِ العَذْبَةِ، ويَسْقِى مِنهَا الأشجارَ وغيرَها . وَسَرَّحَ فِى هذا البُرجِ أصنافَ القَمارى (5) وَالدباسِي وَكُلَّ طائِرٍ مُستحسنٍ حسن الصَّوتِ. فَكانَتِ الطَّيرُ تَشربُ وَتغتَسِلُ مِنْ تِلكَ الأنهارِ الجَارِيةِ فِى البُرْجِ . وَجَعلَ فِيهِ أوكاراً فِى قَوَادِيس لَطِيفَة مُمكَّنَةٍ فِى جَوْفِ الحِيطَانِ ، لِتفرِّخَ الطُّيُورِ فِيهَا . وَعَارَضَ لَها فِيهِ عِيدَاناً مُمكَّنَةً فِى جَوَانِبِه، لِتقِفَ عَلَيهَا إِذَا تَطايَرَتْ حَتَّى يُجَاوِبَ بَعضُهَا بَعضاً بِالصِّياحِ . وَسَرَّحَ فِى البُستَانِ مِنَ الطَّيرِ العَجِيبِ كَالطَّوَاوِيسِ وَدجَاجِ الحَبَشِ وَنَحوِهَا شَيْئاً كَثِيراً .

المقريزى ـ (الخطط)

5) القمارى ج قمرى : ضرب من الحمام حسن الصوت . والدباسى ج دبسى : نوع من الفواخت نسبة الى طير دبس وهو الذى لونه بين السواد والحمرة .

72) حمام خصوصى

حَكَى بَدْرُ الدِّينِ بنُ زُفَر الأَرْبَلِى المتَطَبِّبُ (1) قَالَ : «رَأَيْتُ بِبغْدَادَ فِى دَارِ المَلِكِ شَرَف الدِّين ، هَارُون بن الوَزِير الصَّاحِب شَمْس الدِّين مُحَمَّد الجوينى (2)، حَمَّاماً مُتقَنَ الصَّنْعَةِ، حَسَنَ البِنَاءِ كَثِيرَ الأَضْوَاءِ، قَدْ احْتَفَّتْ بِهِ الأَزْهَارُ وَالأَشْجَارُ . قَدْ أَدْخَلَنِى إِلَيْهِ سَائِسُه ، فَطَافَ بِى عَلَيْهِ وَأَبْصَرْتُ مِياهَهُ ، وَشَبَابِيكَهُ ، وَأَنَابِيبَهُ المُتَخَذُ بَعْضُهَا مِنْ فِضَّةٍ مطلِيَّةٍ بِالذَّهَب وَغَيْر مَطلِيَّةٍ ، وَبَعْضُهَا عَلَى هَيْئَةِ طَائِر ، إِذَا أَخْرَجَ مِنْهُ الماءُ صَوَّتَ بِأَصْوَاتٍ طَيِّبَةٍ، وَمِنْهَا أَحْوَاضُ رُخَامٍ بَدِيعَةُ الصَّنْعَةِ ، وَالمِيَاهُ تَخْرُجُ مِنْ سَائِرِ الأَنَابِيب إِلَى الأَحْوَاضِ ، وَمِنَ الأَحْوَاضِ إِلَى بِرْكَةٍ حَسَنَةِ الإِتْقَانِ ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى البُسْتَانِ.

ثُمَّ أَرَانِى نَحْوَ عَشَرَ خَلَوَاتٍ ، كُلُّ خَلْوَةٍ مِنْهَا صَنْعَتُهَا أَحْسَنُ مِنْ صَنْعَةِ أُخْتِهَا . ثُمَّ انْتَهَى بِى إِلَى خَلْوَةٍ عَلَيْهَا بَابٌ مُقْفَلٌ بِقُفْلِ حَدِيد ، فَفَتَحَهُ وَدَخَل بِى إِلَى دِهْلِيزٍ طَوِيلٍ، كُلُّهُ مُرَخَّمٌ بِالرُّخَامِ الأَبْيَضِ السَّاذِجِ، وَفِى صَدْرِ الدِّهْلِيزِ خَلْوَةٌ مُرَبَّعَةٌ تَسِعُ بِالتَّقْرِيبِ أَرْبَعَة أَنْفُسٍ.. وَرَأَيْتُ مِنَ العَجَائِبِ فِى هَذِهِ الخَلْوَةِ أَنَّ حِيطَانَهَا الأَرْبَعَة مَصْقُولَةٌ صِقَالاً لاَ فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صِقَالِ المِرْآةِ، يَرَى الإِنْسَانُ سَائِرَ بَشْرَتِهِ فِي أَيّ حَائِطٍ شَاءَ مِنْهَا ، وَرَأَيْتُ أَرْضَهَا مُصَوَّرَة بِفُصُوصٍ حُمْرٍ وَصُفْرٍ وَخُضْرٍ وَمُذَهَّبَةٍ، وَكُلُّهَا مُتَّخَذَة مِنْ بِلَّورٍ مَصْبُوغٍ .. وَتِلْكَ الصُّوَرُ فِى غَايَةِ الحُسْنِ وَالجَمَالِ عَلَى هَيْئَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ .. وَرَأَيْتُ فِى

---

1) الاربلى : هو الحسن بن احمد بن زفر الاربلى ثم الدمشقى كان يعرف طرفا صالحا من الطب والتاريخ مات بدمشق سنة 726 هـ.

2) الجوينى : تنسب اسرة الجوينى الى مقاطعة جوين من نواحى خراسان وكان لعدة من افرادها نفوذ كبير فى عهد المغول ـ وكان شمس الدين محمدا وزيرا لهولاكو (654 ـ 663 هـ. 1256 ـ 1265 م).

صَدْرِ الخَلْوَةِ حَوْضَ رُخَامٍ مُضَلَّعٌ ، وَعَلَيْهِ أُنْبُوبٌ مُرَكَّبٌ فِى صَدْرِهِ لِلْمَاءِ الفَاتِرِ ، وَأُنْبُوبٌ آخَرُ بِرَسْمِ المَاءِ البَارِدِ ، وَعَنْ يَمْنَةِ الحَوْضِ وَيَسَارِهِ عُمْدَانٌ صِغَارٌ مَنْحُوتَةٌ مِنَ البَلُّورِ، يُوضَعُ عَلَيْهَا مَبَاخِرَ النَّدِّ وَالعُودِ، وَأَبْصَرْتُ مِنْهَا خَلْوَة شَدِيدَةَ الضِّيَاءِ ، بَدِيعَةً ، فَسَأَلْتُ الخَادِمَ عَنْ تِلْكَ الحِيطَان المُشْرِقَةِ المضيئةِ مِنْ أَىِّ شَىءٍ صُنِعَتْ ، فَقَالَ لِي : مَا أَعْلَمُ . وَأَمَّا أَنَا ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ فِى عُمْرِى، وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِ تِلْكَ الخَلْوَةِ .

نفح الطيب ج 2 ص 218



72) المنظر الحسن هذا ؟ !

أَخْبَرَنِي الفَقِيهُ المُتَفَنِّنُ أَبُو القَاسِم عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن أَبِي جَعْفَر، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّهِ الوَزِير أَبِي جَعْفَر قَال : دَخَلْتُ عَلَى عَبْد المُومن (1)، وَهُوَ فِي بُسْتَانٍ لَهُ، قَدْ أَيْنَعَتْ ثِمَارُه، وَتَفَتَّحَتْ أَزْهَارُه، وَتَجَاوَبَتْ عَلَى أَغْصَانِهَا أَطْيَارُهُ، وَتَكَامَلَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ حُسْنُهُ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي قُبَّة مُشْرِفَةٍ عَلَى البُسْتَانِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَجَلَسْتُ ، وَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يمنةً وَيسرَةً، مُتَعَجِّباً مِمَّا أَرَى مِنْ حُسْنِ ذَلِكَ البُسْتَانِ . فَقَالَ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَرَاكَ كَثِيرَ النَّظَرِ إِلَى هَــذَا البُسْتَانِ . قُلْتُ : يُطِيلُ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ المُؤمنِينَ ، وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمَنْظَرٌ حَسَنٌ. فَقَالَ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ المَنْظَرُ الحَسَنُ هَذَا ؟! قُلْتُ نَعَمْ . فَسَكَتَ عَنِّي ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَة ، أَمَرَ بِعَرْضِ العَسْكَرِ آخِذِي أَسْلِحَتِهِمْ ، وَجَلَسَ فِي مَكَانٍ مُطِلٍّ، وَجَعَلَتِ العَسْكَرُ تَمُرُّ عَلَيْهِ قَبِيلَةً بَعْدَ قَبِيلَة، وَكَتِيبَةً إِثْرَ كَتِيبَة، لاَ تَمُرُّ كَتِيبَةٌ إِلاَّ وَالتِي بَعْدَهَا أَحْسَنُ مِنْهَا جُودَةَ سِلاَحٍ وَفَرَاهَةَ خَيْلٍ، وَظُهُورَ قُوَّةٍ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ، الْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ هَذَا هُوَ المَنْظَرُ الحَسَنُ لاَ ثِمَارُكَ وَأَشْجَارُكَ !!

المعجب ط سلا ص 121

---

1) عبد المومن : تلميذ المهدى ابن تومرت وخلفه، وهو المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين وطد مراكزها ونشر لواءها بافريقية الشمالية والاندلس وصقلية وترك مآثر عديدة تشهد على علو همته، ومنها المساجد والمدارس والقصور لا زال بعضها ماثلا الى يومنا هذا . مات بسلا سنة 558هـ. (1163م). ونقل جثمانه الى تنمل حيث قبر المهدى

الباب الثالث

الفصل الثالث

المصالح العامة

قَالَ تَعَالَى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ».

74) قانون المباني بالاندلس

أَمَّا البُنْيَانُ فَهِيَ الأَكْنَانُ (1) لِمَأْوَى الأَنْفُسِ وَالمِنَـحِ (2) وَالأَبْدَانِ، فَيَجِبُ تَحْصِينُهَا وَحِفْظُهَا لأَنَّهَا مَوَاضِعُ رَفْعِ الأَمْوَالِ ، وَحِفْظِ المُهَجِ (3) ، فَمِنَ الوَاجِبِ أَنْ يُنْظَرَ فِي كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ العُدَدِ : وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يُنْظَرَ أَوَّلاً فِي تَعْرِيضِ الحِيطَانِ، وَتَقْرِيبِ الخَشَبِ الوَافِرِ، الغَلِيظِ القَوِيِّ لِلْبِنْيَةِ؛ وَهِيَ التِي تَحْمِلُ الأَثْقَالَ ، وَتُمَسِّكُ البُنْيَانَ .. وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الآجُرُّ (4) وَافِرَةً مُعَدَّةً لِهَذَا المِقْدَارِ مِنْ عَرْضِ الحَائِطِ ؛ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ المُحْتَسِبِ أَوْ مُعَلَّقاً فِي الجَامِعِ ، قَالَبُ غِلَظِ الآجُرِّ ، وَسِعَةُ القُرْمُدَةِ ، وَعَرْضُ الجَائِزَةِ وَغِلَظُهَا، وَغِلَظُ الخَشَبَةِ ، وَغِلَظُ لُوحِ الفَرْشِ (5)، هَذِهِ القَوَالِبُ مَصْنُوعَةٌ مِنْ خَشَبٍ صُلْبٍ لاَ يَسْتَاسُ (6)، مُعَلَّقَةٌ فِي مَسَامِيرَ فِي أَعْلَى حَائِطِ الجَامِعِ، يُحَافَظُ عَلَيْهَا كَيْ يُرْجَعَ إِلَيْهَا ، مَتَى نَقَصَ مِنْهَا أَوْ زِيدَ فِيهَا ، وَيَكُونُ عِنْدَ الصُّنَّاعِ آخَرُ لِعَمَلِهِمْ ، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ شَيْءٍ يُنْظَرُ فِيهِ وَأَوْكَدِهِ .

ابن عبدون «كتاب الحسبة»

---

1) الاكنان مفردها كن : وقاء كل شيء وستره ــ من كــن الشيء ــ ستره واخفاه .

2) منح مفردها منحة : العطية ــ من منح ــ اعطى ــ هنا معناها الخيرات والنعم .

3) مهج مفردها مهجة : الدم او دم القلب ، وهنا الارواح .

4) الآجر مفردها أجرة : اللبنة ــ ويقال لها بالدارجة «اليجورة» .

5) الجائزة : هي الخشبة الغليظة (القائزة بالعامية) التي تمد عليها الخشبات الاخرى الحاملة لالواح السقف (الفرش) .

6) لا يستاس : لا يؤثر فيه السوس .

75) عين زبيدة بمكة المكرمة *

لَمْ يَكُنْ لِأَهْلِ مَكَّةَ مِنَ المَنَاهِلِ إِلاَّ المَسَايِلُ (1) التِى يَجُودُ بِهَا المطرُ أَحْيَاناً ، وَبَعْض البِئَارِ التِى تَفِيضُ آناً، وَتَجِفُّ آناً، فَإِنْ جَفَاهُم (2) الغَيْثُ عاماً فَالْوَيْلُ لَهُمْ ، وَلِكُلِّ رَاغِيَةٍ وَثَاغِيَةٍ (3) عِنْدَهُمْ. أَمَّا الحُجَّاجُ فَكَانُوا يَحْمِلُونَ مِنْ قِرَبِ المَاءِ مَا يَؤُودُهُمْ (4)، وَيُوقِرُ (5) ظُهُورَهُمْ . وَلَقَدْ أَخَذَ بِقلبِ زُبَيْدَةَ بِنْتِ أَبِى جَعْفَرَ المَنْصُورِ ، وَزَوْجَةُ الرَّشِيدِ ، مَا عَلمتْ فِى حَجِّهَا ، إِنَّ رَاوِيَةَ(6) المَاءِ تُبَاعُ بِدِينَارٍ ، وَأَنَّ الفَقِيرَ إِنَّمَا يَتَبَلَّغُ بِمَا يَتَسَاقَطُ مِنْ قَطَرَاتِ الغَنِى فَاعْتَزَمت ، رَوَّى اللّهُ ثَرَاهَا ، أَنْ تَحْفَرَ لآلِ مَكَّةَ ، وَقُصَّادِ البَيْتِ الحَرَامِ ، نَهْراً جَارِياً ، يَتَّصِلُ بِمَنَابِعِ المَاءِ ، وَمَسَاقِطِ المَطَرِ .

فَدَعَتْ خَازِنَ أَمْوَالِهَا ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَدْعُو العُرَفَاءَ ، وَالمُهَنْدِسِينَ وَالعُمَّال، مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ، وَأَقَاصِى البِلاَدِ . فَعَظَّمَ خَازِنُهَا الأَمْرَ، وَمَا يُسْتَنْفَذُ مِنْ

---

*) هذه العين لا زالت موجودة الى يومنا هذا وقد وصفها الامير شكيب أرسلان فى كتابه «الارتسامات» وصفا دقيقا وقد جعلت لها الحكومة الحالية دركا خاصا ومفتشين لا يزالون يتعهدونها من راس نبعها الى مكة .

1) المسايل مفردها مسيـــل : موضع سيل الماء .

2) جفاهم الغيث : اى لم ينزل عندهم مطر .

3) الراغية : الناقة، والثاغية : الشاة ــ يقال : اتيته فما اثغى ولا ارغى اى لم يعط شاة ولا ناقة .

4) يؤود : آده الامر أودا : اضنكه وثقل عليه .

5) أوقره : اثقل كاهله .

6) راوية : القربة ج روايا .

المالِ فيهِ ، فَقَالَتْ زُبَيْدَةُ تِلْكَ الكَلِمَةَ الخَالِدَةَ : «اعْمَلْ وَلَوْ كَلَّفَتْكَ ضَرْبَةُ الفَأْسِ دِينَاراً».

قَالُوا : إِنَّ زُبَيْدَةَ أَنفقَتْ عَلَى هَذِهِ العَيْنِ مِلْيُونَ دِينَارٍ ، وَإِنَّهَا لَمَا انْتَهَتْ مِنَ العَمَلِ ، جِيءَ إِلَيْهَا بِدَفَاتِرِ الحِسَابَاتِ لِمُرَاجَعَتِهَا ، فَأَمَرَتْ بِطَيِّهَا، وَقَالَتْ: «إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا عَمِلْنَاهُ لِلَّهِ، فَلاَ فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ النَّفَقَةُ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ» .

كتاب «المراة العربية» وكتاب «الارتسامات اللطاف»



76) جامع القرويين

قَالَ المؤَلِّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ : لَمْ تَزَلِ الخُطْبَةُ بِجَامِعِ الشُّرَفَاءِ الذِى بَنَاهُ الإِمَامِ إِدْرِيس ـ رَضِى اللَّهُ عَنْهُ ـ بِعَدْوَةِ القَرَوِيِّينَ ، وَبِجَامِعِ الأَشْيَاخِ بِعَدْوَةِ الأَنْدَلُسِ ، طُولَ أَيَّامِ الأَدَارِسَةِ ، وَكَانَ مَوْضِعُ جَامِعِ القَرَوِيِّينَ أَرْضاً بَيْضَاءَ، يُعْمَلُ بِهَا أَصْنَافُ الجِصِّ، وَبِهَا أَيْضاً أَصْنَافٌ مِنَ الشَّجَرِ، لِرَجُلٍ مِنْ هَوَارَةَ، قَدْ حَازَهَا وَالِدُهُ مِنْ قَبْلِهِ، حِينَ بُنِيَتْ المدِينَة . فَأَتَى وَفْدُ القِيرَوَان إِلَى إِدْرِيس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فِى جَمْعٍ كَثِيرٍ بِعِيَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ . فَأَنْزَلَهُمْ حَوْلَهُ ، بِعَدْوَةِ القَرَوِيِّينَ . وَكَانَتْ فِيهِمْ امْرَأَةٌ مُبارِكَةٌ صَالِحَةٌ ، اسْمُهَا فَاطِمَةُ، وَتُكَنَّى أُمَّ البَنِينَ ، بِنْتُ مُحَمَّد الفِهْرِى القِيرَوَانِى . أَتَتْ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ مَعَ أُخْتِهَا وَزَوْجِهَا، فَسَكَنُوا بِالقُرْبِ مِنَ الجَامِعِ المذْكُور . فَتُوُفِى زَوْجُهَا وَأُخْتُهَا ، فَوَرَثَتْ مِنْهُمَا مَالاً جَسِيماً حَلالاً طَيِّباً لَيْسَ فِيهِ شُبْهَةٌ (I)، لَمْ يَتَغَيَّرْ بِبَيْعٍ وَلَا شِرَاءٍ ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَصْرِفَهُ فِى وُجُوهِ البِرِّ (2) وَأَعْمَالِ الخَيْرِ . فَعَزَمَتْ عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدٍ ، تَجِدُ ثَوَابَهُ فِى الآخِرَةِ ، يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً !! فَاشْتَرَتْ مَوْضِعَ القَرَوِيِّينَ مِمَّنْ كَانَ حَازَهُ ، وَدَفَعَتْ إِلَيْهِ المالَ ، ثُمَّ شَرَعَتْ فِى حَفْرِ آسَاسِهَا وَبِنَائِهَا يَوْمَ السَّبْتِ ، مُهِلَّ رَمَضَان المعَظَّم سَنَةَ 245، وَحَفَرَتِ البِئْرَ فِى الصَّحْنِ ، فَكَانَ البَنَّاؤُونَ يَسْقُونَ مِنْهَا

---

* فى كتاب ابن ابى زرع «القرطاس» تفاصيل ضافية فى هذا الموضوع.

I) ليس فيه شبهة : لا يلتبس فيه الحق بالباطل والحلال بالحرام ، ويعد المال الموروث حلالا طيبا بناء على المبدا «الحرام لا يتعلق بذمتين».

2) وجوه البر : طريق الاحسان كبناء المساجد والمستشفيات، وتعبيد الطرق واعانة المصابين الخ .

الماءَ لِبِناءِ الجَامع .. وَلَمْ تَزَلْ فَاطِمَةُ صَائِمَةً مِنْ يَوم شَرعَ فِى بِنائِهَا إِلَى أَنْ تَمَّ ، وَصَلَّتْ فِيهِ شُكْراً لِلَّهِ تَعَالَى الذى وَفَّقَهَا لأَعْمَالِ الخَيْرِ ، وَكَانَ المَسْجِدُ الذِى بَنَتْهُ فَاطِمَةُ المَذْكُورَةُ ، أَرْبَعَةَ بَلاطَات وَصحْناً، صَغِيراً؛ وَجَعَلَتْ مِحْرَابَهُ فِى مَوْضِع الثُرَيَّا الآنَ الكَبيرَةِ. وَجَعَلَتْ طُولَهُ مِنَ الحَائِطِ الغَرْبِيّ إِلَى الحَائِطِ الشَرْقِيّ فِى مائة وَخَمْسِينَ شِبْراً . وَبَنَتْ فِيهِ صَوْمَعَة غَيْرَ مُرْتَفِعَةٍ بِمَوْضِعِ القِبْلَةِ التِى عَلَى رَأْسِ العَنْزَةِ (3) الآنَ .

القرطاس ص 76



3) العنزة : مكان مرتفع قرب الصومعة الحالية يجلس فيه القراء الذين يتلون القرآن بقراءة حمزة ، احد القراء السبعة .

77) بيمارستان بمراكش

بَنَى أَميرِ المؤمِنينَ أَبُو يُوسُفَ (1)، يَعْقُوبُ بنُ يُوسُفَ بنِ عَبْدِ المُومنِ بِمدِينَةِ مُرَاكُشَ ، بِيمارِسْتَانَ مَا أَظُنُّ أَنَّ فِي الدُّنْيَا مِثْلَهُ . وَذلِكَ أَنَّهُ تخيَّرَ سَاحَةً فَسيحَةً ، بِأَعْدَلِ مَوْضِعٍ فِي البَلَدِ ، وَأَمَرَ البَنَّائِينَ بِإِتْقانِهِ عَلَى أَحْسَنِ الوُجُوهِ . فَأَتْقَنُوا فِيهِ مِنَ النُّقُوشِ البَدِيعَةِ ، والزَّخَارِيفِ المُحَكَّمَةِ مَا زَادَ عَلَى الاقْتِرَاحِ . وَأَمَرَ أَنْ يُغْرَسَ فِيهِ ، مَعَ ذَلِكَ ، مِنْ جَمِيعِ الأَشْجَارِ، وَالمشْمُومَاتِ، وَالمأكُولاتِ. وَأَجْرَى فِيهِ مِياهاً كَثِيرَةً، تَدُورُ عَلَى جَمِيعِ البُيُوتِ، زِيَادَةً عَلَى أَرْبَعِ بِرَكٍ فِي وَسَطِهِ، إِحْدَاهَا رُخَامٌ أَبيَضُ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ مِنَ الفُرُشِ النَّفِيسَةِ، مِنْ أَنْوَاعِ الصُّوفِ والكِتَّانِ وَالحَرِيرِ وَالأَدِيمِ (2) وَغَيْرِهِ، مِمَّا يَزِيدُ عَلَى الوَصْفِ، وَيَأْتِي فَوْقَ النَّعْتِ، وَأَجْرَى لَهُ ثَلاثِينَ دِينَاراً فِي كُلِّ يَوْمٍ بِرَسْمِ الطَّعَامِ ، وَمَا يُنفقُ عَلَيْهِ خَاصَّةً ، خَارِجاً عَمَّا جَلَبَ إِلَيْهِ مِنَ الأَدْوِيَةِ ، وَأَقَامَ فِيهِ مِنَ الصَّيَادِلَةِ لِعَمَلِ الأَشْرِبَةِ وَالأَدْهَانِ وَالأَكْحَالِ . وَأَعَدَّ فِيهِ لِلْمَرْضَى ثِيابَ لَيْلٍ وَنَهَارٍ لِلنَّوْمِ، مِنْ جِهَازِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ. فَإِذَا نقه المريضُ(3) ، فَإِنْ كَانَ فَقِيراً أُمِرَ لَهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ، بِمَالٍ يَعِيشُ بِهِ رَيْثَمَا يَسْتَقِلُّ (4)، وَإِنْ كَانَ غَنِيّاً دُفِعَ إِلَيْهِ مَالُهُ .

المعجب لعبد الواحد المراكشي ـ ط سلا ص 176

---

1) ابو يعقوب الموحدى (انظر رقم 66) .
2) الاديم : الجلد المذبوغ .
3) نقه المريض : صح وفيه ضعف فهو ناقه، وانتقه . شفى من مرضه .
4) يستقل : هنا يستغنى ويصير لا يحتاج ألى الغير

فائدة : لَمّا رَأَى عَضُدُ الدَّوْلَةِ أَنْ يَبْنِي مُسْتَشْفًى بِبَغْدَاد اسْتَشَارَ طَبِيبَهُ فِي اخْتِيَارِ مَوْضِعٍ لإِقَامَةِ البِنَاءِ عَلَيْه ، فَأَخَذَ الطَّبِيبُ قِطْعَةَ لَحْمٍ وَشَقَّهَا أَرْبَعَ شَرَائِحَ وَضَعَ كُلَّ شَرِيحَةٍ فِى مَكَانٍ مَكْشُوفٍ حَوْلَ المَدِينَةِ، ثُمَّ رَتَّبَ رِجَالاً يُثْبِتُ كُلٌّ مِنْهُمْ فِى دِفْتَرِهِ الدَّقِيقَةَ التِى يَحْدُثُ فِيهَا التَعَفُّنُ فِى كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الشَرَائِح ثُمَّ بَنَى المُسْتَشْفَى فِى المَكَانِ الذِى تَأَخَّرَ فِيهِ تَعَفُّنُ اللَّحْمِ .

الحديقة ج 6 ص 282



78) بعض مؤسسات أبي يوسف يعقوب المريني (1)

هُوَ الذِى بَنَى مَدِينَةَ فَاس الجَدِيدَةِ ، وَاتَّخَذَهَا دَارَ مُلْكِـهِ ، وَبَنَى المَارِسْتَانَات (2) لِلْغُرَبَاءِ وَالمجَانِين ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ النَّفَقَات، وَجَمِيع مَـا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الأَغْذِيَةِ ، وَيَشْتَهُونَهُ مِنَ الفَوَاكِهِ . وَأَمَرَ الأَطِبَّاءَ بِتَفَقُّدِ أَحْوَالِهِمْ، وَبِمُدَاوَاتِهِمْ . وَأَجْرَى لِلْخُدَمَاءِ وَالْفُقَرَاءِ مَالاً مَعْلُوماً ، يَأْخُذُونَهُ فِى كُلِّ شَهْرٍ مِنْ جِزْيَةِ اليَهُودِ . وَبَنَى المدَارِس بِفَاس وَمُرَّاكُش ، وَرَتَّبَ فِيهَا الطَّلَبَةُ لِقِرَاءَةِ القُرْآنِ وَالعِلْمِ ، وَأَجْرَى لَهُمْ المرَتَّبَات فِى كُلِّ شَهْرٍ . وَأَمَرَ بِتَطْهِير (3) الأَيْتَام وَكِسْوَتِهِمْ ، وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بالدَّرَاهِمِ وَالطَّعَامِ ، فِى كُلِّ عَاشُورَاءَ. وَبَنَى الزَّوَايَا فِي الفَلَوَاتِ، وَأَوْقَفَ لَهَا الأَوْقَاف الكَثِيرَةَ لإِطْعَامِ عَابِرِي السَّبِيلِ ، وَذَوِى الحَاجَاتِ . وَأَخْرَجَ أَجْنَادَ الرُّومِ (4) الذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ مَدِينَةَ فَاس وَبَنَى لَهُمْ حَظِيرَة بِخَارِجِ المدِينَةِ، وَأَسْكَنَهُمْ فِيهَا، وَرَفَعَ أَذَاهُمْ عَنِ النَّاسِ .

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية

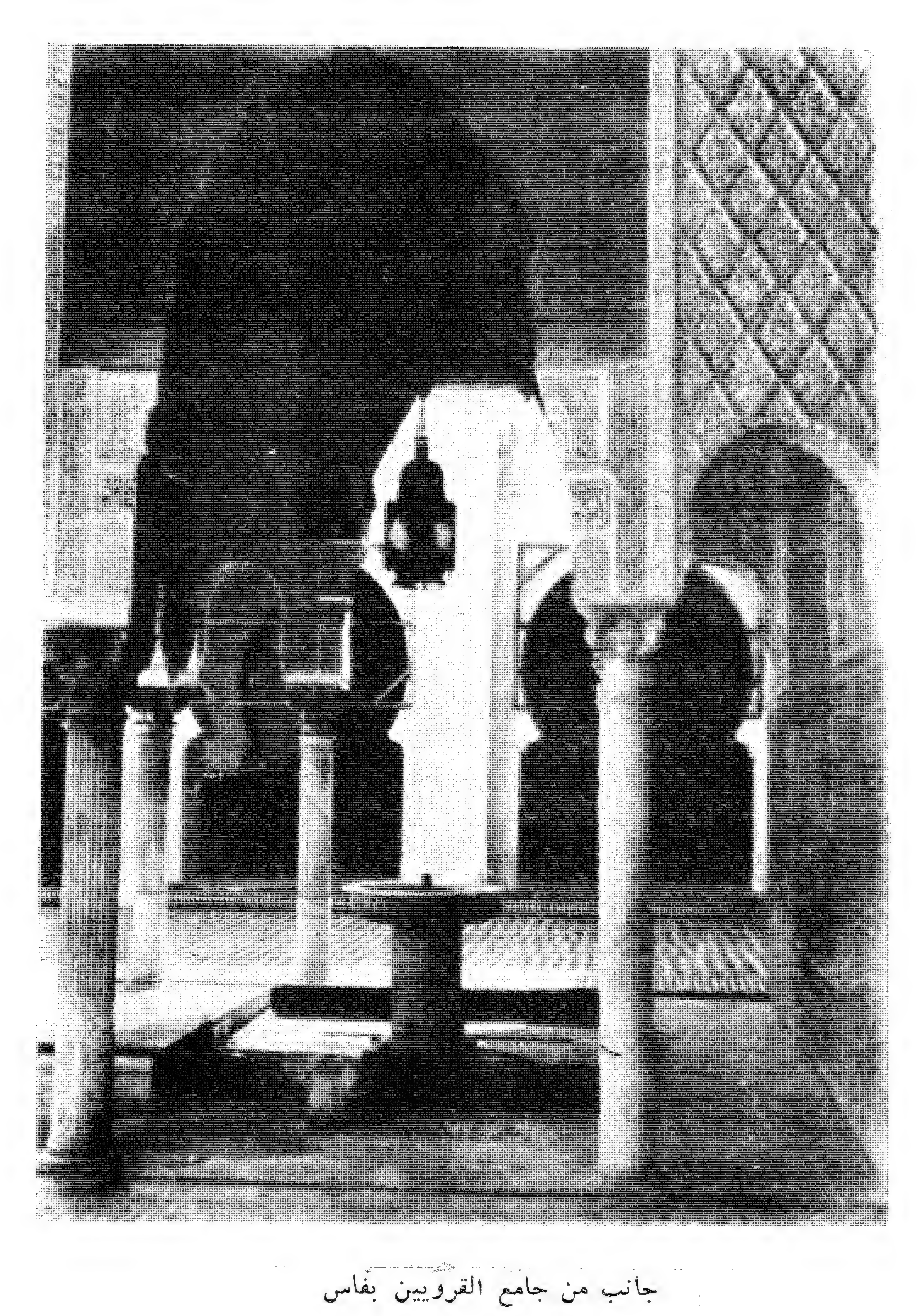
---

1) ابو يوسف يعقوب المرينى : هو ابن عبد الحق مؤسس دولة بنى مرين وخامس ملوكهم، مات بالجزيرة الخضراء اثر مرض اعتراه (685 هـ. 1288 م.) ونقل جثمانه الى مقبرة شالة فدفن بمسجدها

2) المارستانات (والبيمرستانات) : مستشفيات بها اقسام لايواء المجانين

3) تطهير : ختان .

4) اجناد الروم : فرق من الروم كانوا فى الجيش المغربى بصفتهم مرتزقة .



جانب من جامع القرويين بفاس

79) الزوايا بمصر في عهد الملك الناصر
ابن قلاوون (1) الصالحي

وَأمَّا الزَّوَايَا فَكَثِيرَةٌ، وَهُمْ يُسَمُّونَهَا الخَوَانِقَ ، وَاحِدَتُهَا خَانِقَةٌ . وَالأُمَرَاء فِي مِصْرَ ، يَتَنَافَسُونَ فِي بِنَائِهَا . وَكُلُّ زَاوِيَةٍ فِي مِصْرَ مُعَيَّنَةٌ لِطَائِفَةٍ مِنَ الفُقَرَاءِ (2) وَأَكْثَرهُمُ الأَعَاجِمُ ، وَهُمْ أَهْلُ أَدَبٍ ، وَمَعْرِفَةٍ بِطَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ. وَلِكُلِّ زَاوِيَةٍ شَيْخٌ وَحَارِسٌ . وَتَرْتِيبُ أُمُورِهِمْ عَجِيبٌ . وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ فِي الطَّعَامِ أَنَّهُ يَأْتِي خَدِيمُ الزَّاوِيَةِ إِلَى الفُقَرَاءِ صَبَاحاً ، فَيُعَيِّنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الطَّعَامِ . فَإِذَا اجْتَمَعُوا لِلأَكْلِ جَعَلُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ خُبْزَةً وَمَرَقَةً فِي إِنَاءٍ عَلَى حِدَةٍ ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ . وَطَعَامُهُمْ مَرَّتَانِ فِي اليَوْمِ . وَلَهُمْ كِسْوَةُ الشِّتَاءِ وَكِسْوَةُ الصَّيْفِ، وَمُرَتَّبٌ شَهْرِيٌّ مِنْ ثَلَاثِينَ دِرْهَماً لِلْوَاحِدِ فِي الشَّهْرِ إِلَى عِشْرِينَ . وَلَهُمُ الحَلَاوَةُ مِنَ السُّكَّرِ فِي كُلِّ لَيْلَةِ الجُمُعَةِ ، وَالصَّابُونُ لِغَسْلِ أَثْوَابِهِمْ ، وَالأُجْرَةُ لِدُخُولِ الحَمَّامِ ، وَالزَّيْتُ لِلاسْتِصْبَاحِ . وَهُمْ أَعْزَاب ، وَلِلْمُتَزَوِّجِينَ زَوَايَا عَلَى حِدَةٍ ، وَمِنَ المُشْتَرَطِ عَلَيْهِمْ حُضُورُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ ، وَالمَبِيتِ فِي الزَّاوِيَةِ ، وَاجْتِمَاعِهِمْ بِقُبَّةٍ دَاخِلَ الزَّاوِيَةِ.. وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ مَعَ القَادِمِ ، أَنَّهُ يَأْتِي بَابَ الزَّاوِيَةِ ، فَيَقِفُ بِهِ مَشْدُودَ الوَسَطِ، وَعَلَى كَاهِلِهِ سَجَّادَة، وَبِيُمْنَاهُ العُكَّازُ ، وَبِيُسْرَاهُ الإِبْرِيقُ، فَيُعْلِمَ البَوَّابُ خَدِيمَ الزَّاوِيَةِ بِمَكَانِهِ . فَيَخْرُجَ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُهُ مِنْ أَيِّ البَلَدِ أَتَى ، وَبِأَيِّ الزَّوَايَا نَزَلَ بِطَرِيقِهِ ، وَمَنْ شَيْخُهُ ، فَإِذَا عَرَفَ صِحَّةَ قَوْلِهِ أَدْخَلَهُ الزَّاوِيَةَ ، وَفَرَشَ لَهُ سَجَّادَتَهُ ، فَيَحُلُّ وَسَطَهُ ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، وَيُصَافِحُ الشَّيْخَ وَمَنْ حَضَرَ ، وَيَقْعُدُ مَعَهُمْ .

رحلة ابن بطوطة

1) الناصر بن قلاوون : انظر ترجمته في قطعة 53 .

2) الفقراء : هنا المتصوفون .

80) الأوقاف بدمشق

فَالأَوْقَافُ بِدِمَشْقَ لَا تُحْصَرُ أَنْوَاعُهَا وَمَصَارِفُهَا لِكَثْرَتِهَا ، فَمِنْهَا أَوْقَافٌ عَلَى العَاجِزِينَ عَنِ الحَجِّ، وَأَوْقَافٌ عَلَى تَجْهِيزِ البَنَاتِ الفَقِيرَاتِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وَأَوْقَافٌ لِفَكَاكِ الأُسَارَى ، وَأَوْقَافٌ لأَبْنَاءِ السَّبِيلِ يُعطَونَ مِنْهَا مَا يَأْكُلُونَ وَيَلْبَسُونَ وَيَتَزَوَّدُونَ لِبِلَادِهِمْ . وَمِنْهَا أَوْقَافٌ عَلَى تَعْدِيلِ الطُّرُقِ وَرَصْفِهَا، لأَنَّ أَزِقَّةَ دِمَشْقَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا رَصِيفَانِ فِي جَنْبَيْهِ ، يَمُرُّ عَلَيْهِمَا المُتَرَجِّلُونَ ، وَيَمُرُّ الرُّكْبَانُ بَيْنَ ذَلِكَ .

مَرَرْتُ يَوْماً بِبَعْضِ أَزِقَّةِ دِمَشْقَ، فَرَأَيْتُ بِهِ مَمْلُوكاً صَغِيراً قَدْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ صَحْفَةٌ مِنَ الفَخَّارِ الصِّينِي فَتَكَسَّرَتْ ، فَجَمَعَ شَقَفَهَا، وَذَهَبَ عِنْدَ صَاحِبِ أَوْقَافِ الأَوَانِي ، فَدَفَعَ لَهُ هَذَا مَا اشْتَرَى بِهِ مِثْلَ تِلْكَ الصَّحْفَةِ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الأَعْمَالِ ؛ فَإِنَّ سَيِّدَ الغُلَامِ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ عَلَى كَسْرِ الصَّحْنِ أَوْ يَنْهَرَهُ ، وَهُوَ أَيْضاً يَنْكَسِرُ قَلْبُهُ ، فَكَانَ هَذَا الوَقْفُ جَبْراً لِلْقُلُوبِ.

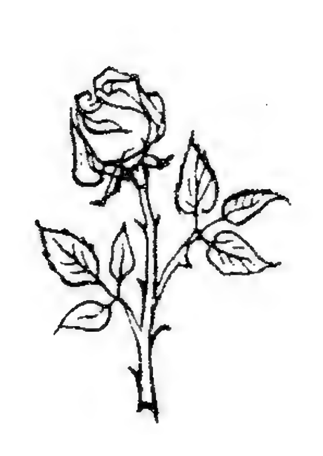
وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَتَنَافَسُونَ فِي عِمَارَةِ المَسَاجِدِ وَالزَّوَايَا ، وَالمَدَارِسِ وَالمَشَاهِدِ ، وَهُمْ يُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِالمَغَارِبَةِ ، وَيَطْمَئِنُونَ إِلَيْهِمْ بِالأَمْوَالِ وَالأَهْلِينَ وَالأَوْلَادُ . وَكُلُّ مَنْ انْقَطَعَ بِجِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ دِمَشْقَ ، لَا بُدَّ أَنْ يَاتِي لَهُ وَجْهٌ مِنَ المَعَاشِ ، مِنْ إِمَامَةِ مَسْجِدٍ ، وَقِرَاءَةٍ بِمَدْرَسَةٍ ، وَمُلَازَمَةِ مَسْجِدٍ يَجِيءُ إِلَيْهِ فِيهِ رِزْقُهُ ، أَوْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ ، أَوْ خِدْمَةِ مَشْهَدٍ (1) مِنَ المَشَاهِدِ المُبَارَكَةِ،

---

1) مشهد : ضريح احد الاولياء .

وَيكُونُ كجُمْلةِ الصّوفيةِ بِالخَوانِقِ ، فَمَنْ كَانَ غَرِيباً عَلَى خَيْرٍ ، لَمْ يَزَلْ مَصُوناً عَنْ بَذْلِ وَجْهِهِ (2)، مَحْفُوظاً عَمَّا يُزْرِي (3) بِالمُرُوءَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ المِهْنَةِ ، وَالخِدْمَةِ ، فَلَهُ أَسْبَابٌ أخَرُ مِنْ حِرَاسَةِ بُسْتَانٍ ، أَوْ أَمَانَةِ طَاحُونَةٍ ، وَكَفَالَةِ صِبْيَانٍ يَغْدُو مَعَهُمْ إِلَى التَّعْلِيمِ وَيَرُوحُ ، وَمَنْ أَرَادَ طَلَبَ العِلْمِ أَوْ التَفَرُّغ لِلْعِبَادَةِ وَجَدَ الإِعَانَةَ التّامَةَ عَلَى ذَلِكَ .

رحلة ابن بطوطة



2) بذل وجهه : ترك الاحتشام وسأل صدقة او أعانة .

3) أزرى به : عابه ووضع من حقه : وازدراه : احتقره .

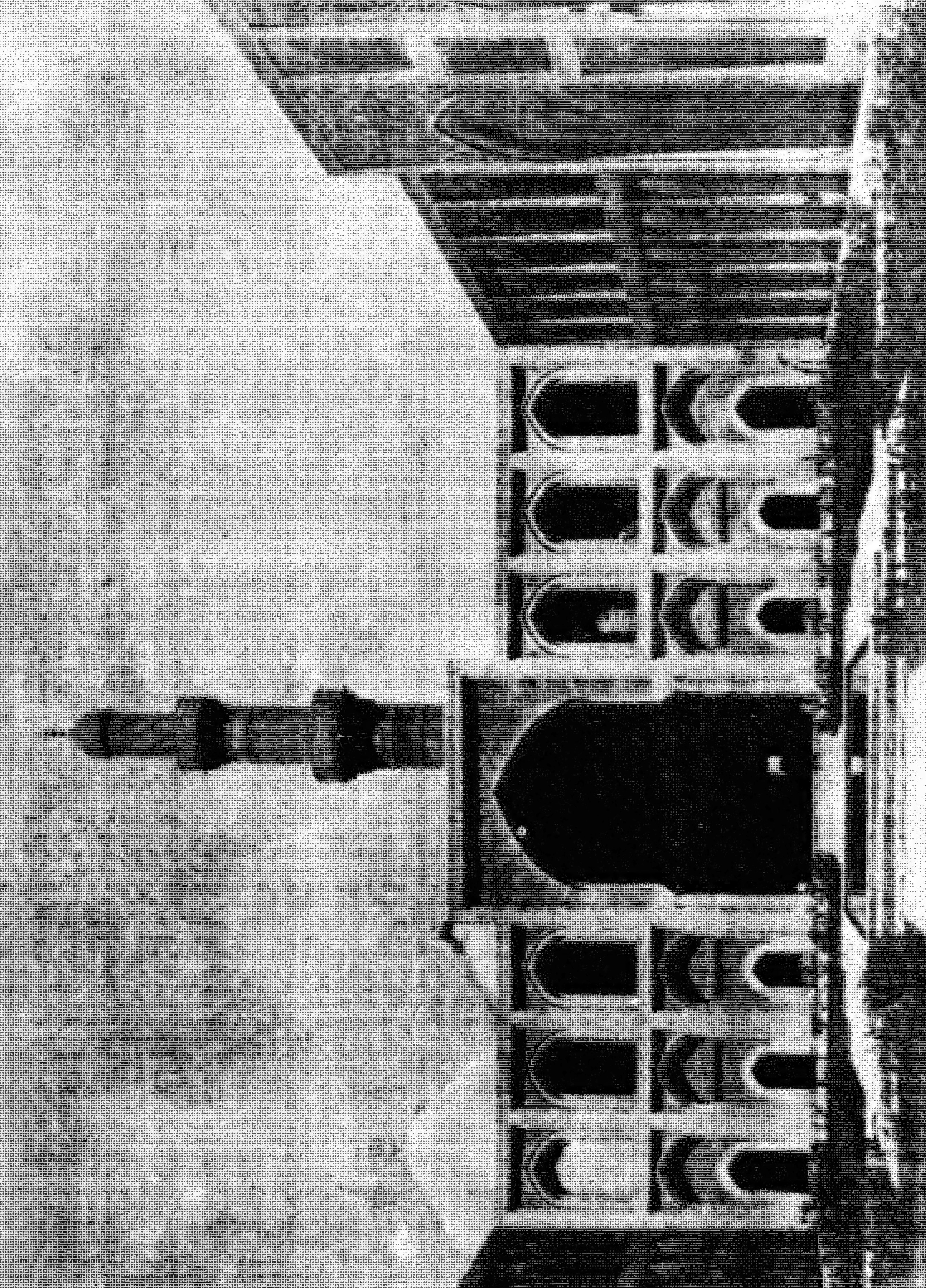
81) المدرسة الحجازية بالقاهرة

هذه المدرسة برحبة باب العيد من القاهرة .. أنشأتها الست الجليلة خوندتتر الحجازية ، إبنة السلطان الملك الناصر ، محمد بن قلاوون(1)، زوجة بكتمر الحجازي ، وبه عرفت . وجعلت بهذه المدرسة درساً للفقهاء الشافعية (2)، ودرساً للفقهاء المالكية (3)، وجعلت بها منبراً يخطب عليه يوم الجمعة . ورتبت لها إماماً راتباً ، يقيم بالناس الصلوات الخمس . وجعلت بها خزانة كتب ، وأنشأت قربها قبة لتدفن تحتها ، ورتبت بشباك هذه القبة عدة قراء يتناوبون قراءة القرآن الكريم ، ليلاً ونهاراً . وأنشأت بها مناراً ليؤذن عليه . وجعلت بجوار المدرسة مكتباً للسبيل فيه عدة من أيتام المسلمين ، ولهم مؤدب يعلمهم القرآن الكريم ، ويجرى عليهم في كل يوم ، لكل واحد منهم ، من الخبز النقي ، خمسة أرغفة ، ومبلغ من الفلوس . ويقام لكل منهم بكسوتى الشتاء والصيف . وجعلت على هذه الجهة (4)، عدة أوقاف جليلة ، يصرف منها لأرباب الوظائف ، المعاليم السنية ، وكان يفرق فيهم كل سنة ، أيام عيد الفطر ، الكعك ، وفي عيد الأضحى اللحم ، وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام .. وكان إنشاؤها في إحدى وستين وسبعمائة ... وعهدى بها (5) محترمة إلى الغاية

المقريزي : الخطط

---

1) الناصر بن قلاوون : انظر قطعة 53 .
2) الشافعية : الذين على مذهب الامام الشافعي .
3) والمالكية : الذين على مذهب الامام مالك (انظر قطعة 57)
4) على هذه الجهة : اى لاجل هذا
5) بها : اى بالمدرسة التى تكلم عنها



82) مسجد بلغ

ذَكَرَ لِي بَعْض أَهْل التَّارِيخ، أَنَّ مَسْجِدَ بَلْخ بَنَتْهُ امْرَأَةٌ، كَانَ زَوْجُهَا أَمِيراً بِبَلْخ، لِبَنِي العَبَّاس ، يُسَمَّى دَاوُدَ بن عَلِي . فَاتَّفَقَ أَنَّ الخَلِيفَةَ غَضِبَ مَرَّةً عَلَى أَهْلِ بَلْخ لِحَادِثٍ أَحْدَثُوهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يُغَرِّمُهُمْ مَغْرَماً فَادِحاً . فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى بَلْخ ، أَتَى نِسَاؤُهَا وَصِبْيَانُهَا إِلَى تِلْكَ المَرْأَة ، وَشَكَوْا لَهَا حَالَهُمْ وَمَا لَحِقَهُمْ مِنْ هَذَا المغرم . فَبَعَثَتْ إِلَى الأَمِيرِ ، الذِي قَدِمَ بِرَسْمِ تَغْرِيمِهِمْ، بِثَوْبٍ لَهَا مُرَصَّعٌ بِالجَوَاهِر، قِيمَتُهُ أَكْثَرُ مِمَّا أَمَرَ بِتَغْرِيمِهِ . فَقَالَتْ : اذْهَبْ بِهَذَا الثَّوْبِ إِلَى الخَلِيفَة، فَقَدْ أَعْطَيْتُهُ صَدَقَةً عَنْ أَهْلِ بَلْخ لِضُعْف حَالِهِمْ . فَذَهَبَ إِلَى الخَلِيفَةِ ، وَأَلْقَى الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ القِصَّةَ، فَخَجَلَ الخَلِيفَة وَقَالَ: أَتَكُونُ امْرَأَةٌ أَكْرَمَ مِنَّا ؟ وَأَمَرَهُ بِرَفْعِ المَغْرَمِ عَنْ أَهْلِ بَلْخ، وبِالعَوْدَةِ إِلَيْهَا ، لِيَرُدَّ لِلْمَرْأَةِ ثَوْبَهَا ، وَأَسْقَطَ عَنْ أَهْلِ بَلْخ خِرَاجَ سَنَةٍ ، فَعَادَ الأَمِيرُ إِلَى بَلْخ ، وَأَتَى مَنْزِلَ المَرْأَةِ ، وَقَصَّ عَلَيْهَا مَقَالَةَ الخَلِيفَةِ ، وَرَدَّ عَلَيْهَا الثَّوْبَ. فَقَالَتْ: أَوْقَعَ بَصَرُ الخَلِيفَةِ عَلَى هَذَا الثَّوْبِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: لاَ أَلْبَسُ ثَوْباً وَقَعَ عَلَيْهِ بَصَرُ غَيْرِ ذِي مَحْرَمٍ مِنِّي (1)، وَأَمَرَتْ بِبَيْعِهِ. فَبُنِيَ بِهِ المَسْجِدُ وَزَاوِيَة وَرِبَاطٌ (2) فِي مُقَابَلَتِه، مَبْنِي بِالكِذَّانِ، وَهُوَ عَامِرٌ حَتَّى الآنَ . وَفَضَلَ مِنَ الثَّوْبِ مِقْدَارُ ثُلُثِهِ ، فَذُكِرَ أَنَّهَا أَمَرَتْ بِدَفْنِهِ تَحْتَ سَوَارِي المَسْجِد، لِيَكُونَ هُنَاكَ مُتَيَسِّراً إِنْ احْتِيجَ إِلَيْهِ أُخْرِجَ .. وَهَذَا المَسْجِدُ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا وَأَفْسَحِهَا، وَمَسْجِدُ رِبَاط الفَتْح بِالمَغْرِب، يُشْبِهُهُ فِي عِظَمِ سَوَارِيهِ ، وَمَسْجِدُ بَلْخ أَجْمَلُ مِنْهُ فِي سِوَى ذَلِكَ .

رحلة ابن بطوطة

1) ذو محرم : هو الذى يحل لـه ان يرى المـرأة بغير حجاب كزوجها او اخيها الخ .

2) الرباط : حصن يبنى عادة فى الثغور ويرابط فيه الناس للعبادة وليكونوا على اهبة لمقابلة العدو .

83) اعادة عمارة بغداد

أنّ عضد الدّولة(1) هو الذى أمر بعمارة منازل بغداد وأسواقها، وكانت مختلّة، قد أحرق بعضها؛ وخرب البعض، فابتدأ بالمساجد الجامعة؛ فشيّدها وأعلاها، وفرشها وكساها. وتقدّم بإدرار أرزاق قوّاميها، ومؤذنيها والأئمة والقرّاء فيها، وإقامة الجرايات لمن يأوى إليها من الغرباء والضّعفاء، وكان ذلك مهملاً. وبنى البيمرستانات. وألزم أرباب العقارات التى احترقت ودثرت فى أيام الفتنة، أن يعيدوها إلى أفضل أحوالها فى العمارة وفى الحسن والزّينة، فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله، ليرتجع منه عند الميسرة. ثمّ وقع التتبّع على الدّور والمساكن على جانبى دجلة، فبنيت وجدّدت رواشنها (2). فامتلأت الخرابات بالزّهر والخضر والعمارة، بعد أن كانت مأوى الكلاب، ومطارح الأقذار. وجلبت إليها الغروس من فارس وسائر البلاد ـ وكان ببغداد أنهار كثيرة، اندفنت مجاريها، وعفت(3) رسومها، فاضطرّ الضّعفاء إلى أن يشربوا مياه الآبار الثّقيلة، ويكلّفوا حمل الماء من دجلة فى المسافة الطّويلة، فأمر بحفر عمدانها (4) وزواضعها. وكانت على عمدانها الكبيرة، قناطر قد تهدّمت، فربّما انقطعت بها السّبل أصلاً، وربّما عمّرها الرّعيّة عمارة ضعيفة على حسب أحوالهم، وعلى حسب

---

1) عضد الدولة : انظر ترجمته فى قطعة 18 .

2) الروشن ج رواشن : خشب يخرج من حائط الدار الى الطريق ولا يصل الى جدار آخر يقابله .

3) عفت : عفت الريح الاثر او المنزل : محته وعفا الاثر : امحى ودثر وبلى

4) عمدان النهر : مجارى الماء الكبيرة التى تتصل به .

الإقْتِصَادِ وَالتَّرْجِيَةِ ، فَلَمْ تَكُنْ تخْلو مِنْ أَنْ يَجْتَازَ عَلَيْهَا البَهَائِمُ وَالنِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالضُّعَفاءُ ، فَيَسْقُطونَ . فَبُنِيَتْ كُلُّهَا جَدِيدَةً ، وَعُمِلَتْ عَمَلاً مُحكَماً، وَاخْتِيرَ لِجِسْرِ بَغْدَادَ السُّفُنُ الكِبَارُ ، وَعُرِّضَ حَتَّى صَارَ كَالشَّوارِعِ الفَسِيحَةِ، وَحُصِّنَ بِالدَّرَابِزِينَاتِ (5) وَوُكِّلَ بِهِ الحَفَظَةُ وَالحُرَّاسُ .

تجارب الامم ص 405 وما بعدها باقتضاب



5) الدرابزينات ج درابزون ودرابزين : قوائم منتظمة يعلوها متكأ وتكون على جوانب القناطر او الاماكن المشرفة لئلا يسقط المطل منها .

84) بناء السكور « السدود »

لما عادَ عضدُ الدَّوْلةِ (1) إلى بَغْدادَ، وأعادَها إلى رَيْعانِها بَعْدَ الهَدْمِ، وعملَ السُّكُور، وأنفقَ فيها الأَمْوالَ، وأعدَّ عليْها الآلاتِ، وكَّلَ بها الرِّجالَ، وألْزَمهمْ حِفْظَها بِاللَّيْلِ والنَّهارِ ، وراعى ذلكَ منْهمْ أتمَّ المُراعاةِ ، في آونةِ المُدودِ (2) الجَوارِفِ (3)، وأزْمِنةِ الغُيُوثِ الهَواطِلِ، وأوْقاتِ الرِّياحِ العَواصِفِ.

فقيلَ إنَّهُ لما سَدَّ المطهَّرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بَثْقَ (3) السَّهْليَّةِ، رَتَّبَ عليْهِ إبْراهيمَ المعْرُوفَ بِالأغَرِّ وأمَرَهُ بِالمُقامِ عَلَيْهِ ، ومُواصَلَةَ تَعْلِيَتِهِ إلى حينِ انْقضاءِ المُدودِ .

قالَ إبْراهيم : «فأقمْتُ عَلَى ذلكَ السِّكْرِ زَماناً طويلاً ، وكانَ لي مَنْزِلٌ بِجسْرِ النَّهْرَوانِ ، وبَيْني وبَيْنهُ مدىً قَريبٌ ، فكُنْتُ أتجَنَّبُهُ خوفاً منْ أنْ يَكْتُبَ صاحِبُ الخَبَرِ ، بِجسْرِ النَّهْرَوانِ ، بِخَبَري . فَلَمَّا مَضَتْ المُدَّةُ الطَّويلَةُ عَلَى هَذهِ الجُمْلَةِ مِنْ حالي ، عَصَفَتْ ريحٌ في بَعْضِ اللَّيالي ، وَوَرَدَ مَعَها مَطَرٌ شَديدٌ، فدَخَلْتُ القُبَّةَ المبْنيةَ عَلَى السِّكْرِ أسْتَتِرُ بِها، واجْتَهَدْنا في أنْ نَشْعَلَ سِراجاً فَلَمْ يَدَعْنا عُصُوفُ الرِّيحِ. وَضَجِرْتُ، وَضاقَ صَدْري، وَنازَعَتْني نَفْسي أنْ أقُومَ فَأمْضي في الظُّلْمَةِ إلى جِسْرِ النَّهْرَوانِ، وأبيتَ في مَنْزِلي، وأُعاوِدُ بُكْرَةً مَوْضِعي . فَبَيْنَما أنا في ذلِكَ ، وَقَدْ حَقَّقْتُ عَزْمي عَلَيْهِ ، إذْ سَمِعْتُ كَلاماً

---

1) عضد الدولة : انظر قطعة رقم 18

2) المدود : مفردها مدّ من مدّ النهر او البحر : زاد ماؤه وامتد ويقابل المد الجزر .

3) بثق : من بثق السيل الموضع : خرقه وشقه ــ وانبثق الماء : انفجر وفاض .

على بَابِ القُبَّةِ ، فَقُلْتُ لِغلامى : انظُرْ مَا هُوَ . فَخَرَجَ وَعادَ وَقَالَ : إِنْسَانٌ عَلَى جَمَلٍ قَدْ أَنَاخَ عِنْدَنا. وَدَخَلَ الرَّجُلُ وَسَلَّمَ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لِلْغُلامِ: أشعل سِرَاجاً، فَقَدِمَ وَأَشْعَلَ فَجَاءَ بِالنَّارِ فِى نَفَّاطَة، فَإِذَا الرَّجُلُ مِنْ خَوَاصِّ عَضُدِ الدَّوْلَة، عَرَبِىّ قَدْ وَرَدَ مِنْ بغْداد . فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَشَاءُ ؟ فَقَالَ : أَمَرَنِى مَوْلَانَا قَالَ : تَمْضِى وَتَقْصِدُ سِكْرَ السَّهْلِيَّةِ ، وَتَدْخُلُ إِلَى القُبَّةِ، فَإِنْ وَجَدْتَ إِبْرَاهِيمَ الأَغَرَّ هُنَاكَ ، فَاعْلمهُ أَنَّنَا نُجَازِيهِ عَلَى خِدْمَتِه ، وَطُول مُلازَمَتِهِ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الكِيسَ ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَاقْصِدْهُ ، وَاهْجُمْ عَلَيْهِ فِى مَنْزِلِهِ، وَخُذْ رَأْسَهُ وَاحْمِلْهُ إِلَىَّ ، وَاتْرُكِ الكِيسَ بَيْنَ يَدَيْكَ .. وَقَالَ : الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا كَفَاكَ إِيَّاهُ . وَعَادَ مِنْ وَقْتِهِ ، فَبَقِيتُ حَيْرَانَ ، وَعَزَمْتُ عَلَى نَفْسِى أَلَّا أَدْخُل جِسْرَ النَّهْرَوَان» .

ذيل كتاب تجارب الامم ص 69

الباب الثالث

الفصل الرابع

سكان البلاد



قال تعالى: «وما كانَ النّاسُ إلاّ أُمّةً واحدةً فاختَلَفُوا ولولا كلمةٌ سَبقَتْ من ربّكَ لقُضِيَ بينَهُمْ فيما فيهِ يختَلِفُونَ».

قَدْ اتّصَلَ العَرَبُ، وَلا سِيّما أَهْلُ المدَرِ مِنْهُمْ، بِالأُمَمِ العَجَمِيةِ وَالرُّومِيّةِ بَعْضَ الاتّصالِ مُنْذُ العَصْرِ الجَاهِلِي. وَلَما تَتابعَتِ الفُتُوحَاتُ تَقاطَرَتِ المَمَالِيكُ عَلَى الحِجَازِ، وَغَادَرَ الكَثيرُ مِنَ العَشَائِرِ العَرَبِيَّةِ جَزِيرَتَهُمْ لِيُسَاكِنُوا الشُّعُوبَ الأُخْرَى، فتَقَارَبَتِ العَنَاصِرُ، وَتجَاوَرَتِ المَعَابِدُ الإِسْلامِيَّةُ بِالكَنَائِسِ وبِالبِيَعِ، وَتَوَثّقَتْ أَوَاصِرُ المَوَدّةِ بَيْنَ الأَشْخَاصِ المُخْتَلِفِي الأَدْيَانِ، وَامْتَزَجَ الأَحْرَارُ بِالمَوَالِي فِي الأَسْوَاقِ وَالمَوَاسِمِ وَالمَحَافِلِ.

وَكَانَتْ قُصُورُ الخُلَفَاءِ وَدُورُ الأَكَابِرِ تُشْبِهُ مَجْمَعاً لِلأُمَمِ، لِمَا فِيهَا مِنْ حَرَائِرَ - لَمْ يَتَعَرَّضْ لِذِكْرِهِمْ الأُدَبَاءُ إِلاَّ قَلِيلاً - وَجَوَارِي وَغِلْمَانٌ اخْتَلَفَتْ أُصُولُهُمْ، وَتَبَايَنَتْ عَوَاطِفُهُمْ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَقْضِي التّجَاوُرُ، وَالتَّزَاوُجُ، وَالوَلاءُ، عَلَى الشُّعُورِ القبَلِي، وَعَلَى الشُّعُوبِيةِ الهَوْجَاءِ.

وَرَغْمَ مَا أَبْدَاهُ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ المُسْلِمِينَ مِنْ تَعَصّبٍ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ، فَإِنَّ الكَثِيرَ مِنَ النَّصَارَى وَاليَهُودِ وَالمَوَالِي، بَلَغُوا مَنَاصِبَ عَالِيَةً فِي الإِدَارَاتِ الإِسْلامِيَّةِ وَنَالُوا شُهْرَةً مُحْتَرَمَةً فِي الأَنْدِيَةِ العِلْمِيَّةِ.

وَإِلَيْكَ قِطَعاً فِي وَصْفِ طَبَقَاتٍ وَعَنَاصِرَ كَانَتْ - وَلا زَالَتْ - تَتَأَلَّفُ مِنْهَا أُمَمُ المَمَالِكِ الإِسْلامِيَّةِ.

بعض المراجع

1) فجر الاسلام وضحى الاسلام : للدكتور أحمد امين .

2) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى : لآدم ملز (فصول 10/11/20/21) .

3) اسبانيا فى القرن العاشر المسيحى : لليفى بروفنصال (فصل 1) بالفرنسية .

4) الشعـــــر العربى فى الاندلس فى القرن الحادى عشر المسيحى . لبيرس بالفرنسية .

5) حاضر العالم الاسلامى : ترجمة عجاج نويهض وتعاليق الامير شكيب ارسلان .

6) اهل الذمة فى الاسلام : تأليف أ. س. ترتون، ترجمة: حسن حبشى

85) تأثير البيئة

قدم عَلِيّ بنُ الجَهْمِ (1) عَلَى المتوَكِّلِ (2)، وَكَانَ بَدوِياً جَافِياً ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً قَالَ فِيهَا : (خفيف)

أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي حِفَاظِكَ لِلْـوُ دِّ وَكَالتَّيسِ فِي قِـرَاعِ الخُطُوبِ
أَنْتَ كَالدَّلْوِ، لَا عَدِمْنَاكَ دَلْـواً مِنْ كِبَارِ الدِّلَاءِ كَثِيرِ الذَّنُوبِ(3)

فَعرَفَ المتوَكِّلُ قُوَّتَهُ ، وَرِقَّةَ مَقْصِدِهِ، مَعَ خُشُونَةِ لَفْظِهِ ، وَأَنَّهُ مَا رَأَى سِوَى مَا شَبَّهَ بِهِ ، لِعَدَمِ المخَالَطَةِ ، وَمُلَازَمَةِ البَادِيةِ . فَأَمَرَ لَهُ بِدَارٍ حَسَنَةٍ، عَلَى شَاطِىءِ دِجْلَةَ ، فِيهَا بُسْتَانٌ حَسَنٌ ، يَتَخَلَّلُهُ نَسِيمٌ لَطِيفٌ ، يُغَذِّي الأَرْوَاحَ، وَالجِسْرُ قَرِيبٌ مِنْهُ ، فَيَخْرُجُ إِلَى مَحَلَّاتِ بَغْدَاد فَيَرَى حَرَكَةَ النَّاسِ ، وَمَظَاهِرَ مَدَنِيتِهِمْ ، وَيَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ .

فَأَقَامَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ عَلَى ذَلِكَ ، وَالأُدَبَاءُ وَالفُضَلَاءُ يَتَعَاهَدُونَ مُجَالَسَتَهُ وَمُحَاضَرَتَهُ. ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ الخَلِيفَةُ بَعْدَ مُدَّةٍ لِيُنْشِدَهُ، فَحَضَرَ وَأَنْشَدَ : (طويل)

عُيُونُ المَهَا(4) بَيْنَ الرُّصَافَةِ(5) وَالجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي

فَقَالَ المتوَكِّلُ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْهِ أَنْ يَذُوبَ رِقَّةً وَلَطَافَةً .

محاضرات الابرار

---

1) على بن الجهم : ابو الحسن على بن الجهم القرشى احد الشعـراء المجيدين، نفاه المتوكل الى خراسان لاشتهاره بالكذب والادعاء، مات سنة 24 هـ. 864 م.

2) المتوكل : ابن المعتصم – بويع سنة 232 هـ. وكانت مدة خلافته نحو الخمس عشرة سنة نهى عن المناظرات فى الآراء والمذاهب. قتله ابنه المستعين .

3) الذنوب : يطلق على ما فى الدلو من الماء ، ودلو ذنوب : لها ذنب.

4) المهاج مهاة: بقرة الوحش وشبهت عيون النساء بعيونها لسعتها وسوادها

5) الرصافة : محلة ببغداد وسميت بهذا الاسم مواضع كثيرة بالمشرق وبالاندلس .

86) العرب

قَالَ شَبِيبُ بن شَبَّةَ (1) : إِنَّا لَوُقُوفٌ فِى عِرْصَةِ المِرْبد (2)، وَهُوَ مَوْقِفُ الأَشْرَافِ وَمَجْمَعُ النَّاسِ ، وَقَدْ حَضَرَ أَعْيَانُ المِصْرِ ، إِذْ طَلَعَ ابنُ المُقَفَّعِ (3) . فَمَا فِينَا أَحَدٌ إِلاَّ هَشَّ لَهُ ، وَارْتَاحَ إِلَى مُسَاءَلَتِهِ ، وَسُرِرْنَا بِطَلْعَتِهِ . فَقَالَ «مَا يَقِفُكُمْ عَلَى مُتُونِ دَوَابِكُمْ فِى هَذَا المَوْضِعِ ؟ فَوَاللّهِ لَوْ بَعَثَ الخَلِيفَةُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ يَبْتَغِى مِثْلَكُمْ مَا أَصَابَ أَحَداً سِوَاكُمْ . فَهَلْ لَكُمْ فِى دَارِ ابنِ بَرْثَن ، فِى ظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَوَاقِيَةٍ مِنَ الشَّمْسِ ، وَاسْتِقْبَالٍ مِنَ الشَّمَالِ ، وَتَرْوِيحِ الدَّوَابِ وَالغِلْمَانِ ، وَنَتَعَهَّدُ الأَرْضَ ؟ فَإِنَّهَا خَيْرُ بِسَاطٍ وَأَوْطَؤُهُ، وَسَمِعَ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ، فَهُوَ أَمَدُّ لِلْمَجْلِسِ ، وَأَدَرُّ لِلْحَدِيثِ »

فَسَارَعْنَا إِلَى ذَلِكَ وَنَزَلْنَا عَنْ دَوَابِنَا فِى دَارِ ابـنِ بَرْثَنْ ، نَتَنَسَّمُ الشَّمَالَ ، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ابنُ المقفَّعِ فَقَالَ : أَىُّ الأُمَمِ أَعْقَلُ ؟ فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ الفُرْسَ. فَقُلْنَا فَارِس أَعْقَلُ الأُمَمِ ، نَقْصِدُ مُقَارَبَتَهُ وَنَتَوَخَّى مُصَانَعَتَهُ ، فَقَالَ : كَلاَّ لَيْسَ لَهَا وَلاَ فِيهَا . هُمْ قَوْمٌ عُلِّمُوا فَتَعَلَّمُوا ، وَمُثِّلَ لَهُمْ فَامْتَثَلُوا ، وَاقْتَدَوا، وَبُدِئُوا بِأَمْرٍ فَصَارُوا إِلَى اتِّبَاعِهِ ، لَيْسَ لَهُمْ اسْتِنْبَاطٌ وَلاَ اسْتِخْرَاجٌ . فَقُلْنَا لَهُ : الرُّومُ ، فَقَالَ : لَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهَا ، بَلْ لَهُمْ أَبْدَانٌ وَثِيقَةٌ ، وَهُمْ أَصْحَاب بِنَاءٍ وَهَنْدَسَةٍ ، لاَ يَعْرِفُونَ سِوَاهُمَا ، وَلاَ يُحْسِنُونَ غَيْرَهُمَا ، قُلْنَا : الصِّينُ.

---

1) شبيب : ربما هو شبيب بن شبيبة ابو معمر البصرى كان معروفا بالفصاحة والبلاغة وقوة العارضة .

2) المربد : من اشهر محال البصرة ، كان يقام فيه قديما سوق الابل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبها كانت مفاخرة الشعراء مثل جرير والفرزدق ، ومجالس الخطباء .

3) ابن المقفع : هو عبد الله بن المقفع له رسائل عديدة وكتابا الادب الكبير والادب الصغير فى الحكم السياسية والاخلاقية والاقتصادية مات مقتولا شر قتلة فى عهد ابى جعفر المنصور .

قَالَ : أَصْحَاب أَثَاثٍ وَصَنْعَةٍ ، لَا فِكْرَ لَهَا وَلَا رَوِيَّةَ ، قُلْنَا فَالتُّرْكُ. قَالَ : سِبَاعٌ لِلْهِرَاشِ ، قُلْنَا : فَالهِنْدُ . قَالَ : أَصْحَابُ وَهْمٍ وَمَخْرَقَةٍ ، وَشَعْبَذَةٍ وَحِيلَةٍ . قُلْنَا : فَالزَّنْجُ . قَالَ : بَهَائِمُ هَامِلَة ، فَرَدَدْنَا إِلَيْهِ الأَمْرَ فَقَالَ : العَرَبُ. فَتَلاحَظْنَا وَهَمَسَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. فَغَاظَهُ ذَلِكَ مِنَّا وَامْتُقِعَ لَوْنُهُ ثُمَّ قَالَ : كَأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ فِي مُقَارَبَتِكُمْ . فَوَاللّٰهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ وَلَا فِيكُمْ . وَلَكِنْ كَرِهْتُ ، إِنْ فَاتَنِى الأَمْرُ ، أَنْ يَفُوتَنِى الصَّوَابُ . وَلَكِنْ لَا أَدَعُكُمْ حَتَّى أُبَيِّنَ لَكُمْ لِمَ قُلْتُ ذَلِكَ ، لأَخْرُجَ مِنْ ظَنِّ المُدَارَاةِ ، وَتَوَهُّمِ المُصَانَعَةِ : أَنَّ العَرَبَ لَيْسَ لَهَا أَوَلٌ تَؤُمُّهُ ، وَلَا كِتَابٌ يَدُلُّهَا ، أَهْل بَلَدٍ قَفْرٍ وَوَحْشَةٍ مِنَ الإِنْسِ، احْتَاجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، فِي وَحْدَتِهِ ، إِلَى فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَعَقْلِهِ . وَعَلِمُوا أَنَّ مَعَاشَهُمْ مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ ، فَوَسَمُوا كُلَّ شَيْءٍ بِسِمَتِهِ ، وَنَسَبُوهُ إِلَى جِنْسِهِ، وَعَرَفُوا مَصْلَحَةَ ذَلِكَ فِي رَطْبِهِ وَيَابِسِهِ ، وَأَوْقَاتِهِ وَأَزْمِنَتِهِ ، وَمَا يَصْلُحُ مِنْهُ فِي الشَّاةِ وَالبَعِيرِ . ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى الزَّمَانِ وَاخْتِلَافِهِ ، فَجَعَلُوهُ رَبِيعِيّاً وَصَيْفِيّاً وَقَيْظِيّاً وَشِتْوِيّاً ، ثُمَّ عَلِمُوا أَنَّ شُرْبَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ ، فَوَضَعُوا لِذَلِكَ الأَنْوَاءَ (4)، وَعَرَفُوا تَغَيُّرَ الزَّمَانِ فَجَعَلُوا مَنَازِلَهُ مِنَ السَّنَةِ . وَاحْتَاجُوا إِلَى الإِنْتِشَارِ فِي الأَرْضِ ، فَجَعَلُوا نُجُومَ السَّمَاءِ أَدِلَّةً عَلَى أَطْرَافِ الأَرْضِ وَأَقْطَارِهَا ، فَسَلَكُوا بِهَا البِلَادَ. وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ شَيْئاً يَنْتَهُونَ بِهِ عِنْدَ المُنْكَرِ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِي الجَمِيلِ،

---

4) الانواء : م. النوء : المطر ــ والنوء : غروب نجم وطلوع رقيبه، وهو نجم يقابله من ساعته فى المشرق . والانواء كانت عند عرب الجاهلية ثمانية وعشرين معروفة المطالع فى ازمنة السنة ، وكانوا اذا افل منها نجم وطالع آخر قالوا : لا بد ان يكون عند ذلك مطر ورياح فينسبون كل غيث يكون اذ ذاك الى النجم الطالع فيقولون : مطرنا نجم الثريا او بنوء الدبران الخ .

وَيتجنَّبُونَ بِهِ عَنِ الدَّنَاءَةِ ، وَيحُضُّهمْ عَلَى المكَارِمِ ، حَتَّى انَّ الرَّجلَ مِنْهُمْ – وَهُوَ فِي فَجٍّ مِنَ الأَرْضِ – يَصِفُ المكَارِمَ ، فَمَا يُبْقَى مِنْ نَعْتِهَا شَيْئاً، وَيُسْرِفُ فِي ذَمِّ المسَاوِيءِ فَلاَ يُقصِّرُ . لَيْسَ لَهُمْ كَلاَمٌ إِلاَّ وَهُمْ يَتحَاضُّوْنَ بِهِ عَلَى اصْطِنَاعِ المعْرُوفِ ، ثُمَّ حِفْظِ الجَارِ ، وَبَذْلِ المالِ ، وَابْتِغَاءِ المحَامِدِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُصِيبُ ذَلِكَ بِعَقْلِهِ وَيَسْتَخْرِجُهُ بِفِطْنَتِهِ وَفِكْرَتِهِ ، فَلاَ يَتعَلَّمُونَ وَلاَ يَتأَدَّبُونَ ، بَلْ نَحَائِزُ مُؤَدَّبَةٌ وَعُقُولٌ عَارِفَةٌ . فَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ : إِنَّهمْ أَعْقَلُ الأُمَمِ ، لِصِحَّةِ الفِطْرَةِ ، وَاعْتِدَالِ البِنْيَةِ ، وَصَوابِ الفِكْرِ ، وَذَكَاءِ الفَهْمِ.

الامتاع والمؤانسة



5) نحائز : م. نحيزة : الطبائع والعادات .

87) وصف أهل الاندلس

قَالَ ابنُ غَالِبٍ صَاحِبُ «فُرْجَةِ الأَنْفُسِ»: «وَأَهْلُ الأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الأَنْسَابِ وَالعِزَّةِ(1)، وَالأَنفةِ(2)، وَعُلُوِّ الهِمَمِ(3)، وَفَصَاحَةِ الأَلْسُنِ، وَطِيبِ النُّفُوسِ، وَإِبَاءِ الضَّيْمِ .. هِنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالعُلُومِ، وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرِوَايَتِهِمْ، بَغْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرفِهِمْ، وَرِقَّةِ أَخْلَاقِهِمْ، وَنَبَاهَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ، وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ، وَجَوْدَةِ قَرَائِحِهِمْ، وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ، وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ، وَنُفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ، يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ لِلمِيَاهِ، وَمُعَانَاتِهِمْ لِضُرُوبِ الغِرَاسَاتِ، وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الفَوَاكِهِ، وَتَدْبِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ، وَتَحْسِينِهِمْ البَسَاتِينَ بِأَنْوَاعِ الخُضَرِ، وَصُنُوفِ الزَّهْرِ .. وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ التَّعَبِ فِي تَجْوِيدِ الأَعْمَالِ، صِينِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ العَمَلِيَّةِ، وَأَحْكَامِ المِهَنِ الصُّورِيَّةِ. تُرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الحُرُوبِ، وَمُعَالَجَةِ آلَاتِهَا». ثُمَّ قَالَ: «لَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الأَنْدَلُسِ بِخُرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا، تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ المَغْرِبِ الأَقْصَى وَإِفْرِيقِيَّةَ، فَأَمَّا أَهْلُ البَادِيَةِ فَمَالُوا إِلَى البَوَادِي، فَاسْتَنْبَطُوا المِيَاهَ، وَغَرَسُوا الأَشْجَارَ، وَأَحْدَثُوا الأَرْحِيَ الطَّاحِنَةَ بِالمَاءِ. وَأَمَّا أَهْلُ الحَوَاضِرِ فَمَالُوا إِلَى الحَوَاضِرِ، فَكَانَ مِنْهُمْ أَهْلُ الأَدَبِ، وَالوُزَرَاءِ وَالكُتَّابِ، وَالعُمَّالِ وَجُبَاةِ الأَمْوَالِ. وَفَاقَ أَهْلُ الأَنْدَلُسِ أَهْلَ البِلَادِ فِي الصَّنَائِعِ، وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ، وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعاً لَهُمْ، مُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

نفح الطيب

---

1) العزة ـ من عز: قوى وكرم. والعزيز: الشريف الكرم. وعزة النفس: اباء الذل.

2) الانفة: من أنف ـ كره ـ هى الترفع عن العار وما يدنس العرض والشرف.

3) علو الهمة: العزم القوى. ويقال: هو بعيد الهمة اى يقبل على الاعمال المشرفة.

88) الاصمعي في البادية

قَالَ الأَصْمَعِيُّ (1) : سِرْتُ فِي تَطْوَافِي فِي العَرَبِ ، بِجَبَلَيْ طيء، فَدُفِعْتُ إِلَى قَوْمٍ مِنْهُمْ يَحْتَلِبُونَ اللَّبَنَ ثُمَّ يَصِيحُونَ : الضَّيْفَ الضَّيْفَ ! فَإِذَا جَاءَ مَن يَضِيفُهُمْ وَإِلاَّ أَرَاقُوهُ فَلاَ يَذُوقُونَ مِنْهُ شَيْئاً دُونَ الضَّيْفِ ، إِلاَّ أَن يَجْهَدَهُمُ الجُوعُ .

ثُمَّ دُفِعْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ حَاتِمٍ (2) بنْ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَأَلْتُهُ القِرَى ، فَقَالَ : القِرَى وَاللَّهِ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ لاَ سَبِيلَ إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : مَا أَحْسِبُ عِنْدَكَ شَيْئاً . فَأَمَرَ بالجِفَانِ فَأُخْرِجَتْ مُكَرَّمَةً بِالثَّرِيدِ عَلَيْهَا وَذَر (3) اللَّحْمِ، وَإِذَا هُوَ جَادٌّ فِي المَنْعِ . فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَشْبَهْتَ أَبَاكَ ، حَيْثُ يَقُولُ :

وَأَبْرِزُ قِدْرِي بِالفِنَاءِ قَلِيلُهَا   يُرَى غَيْرَ مَضْنُونٍ(4) بِهِ وَكَثِيرُهَا

فَقَالَ : إِلاَّ أَشْبَهَهُ فِي هَذَا ، فَقَدْ أَشْبَهْتُهُ فِي قَوْلِهِ : (الطويل)

أَمَاوِيَ إِمَّا مَانِعٌ فَمُبَيِّنٌ   وَإِمَّا عَطَاءٌ لاَ يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ (5)

فَأَنَا وَاللَّهِ مَانِعٌ مُبِينٌ ، فَرَحَلْتُ عَنْهُ .

وَدُفِعْتُ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ ولد ابنُ هرمة، فَسَأَلْتُهَا القِرَى فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي

---

1) الاصمعي: ابو سعيد عبد الملك الباهلي صاحب غرائب الاشعار وعجائب الاخبار ـ كان كثير التطواف في البوادي لاقتباس اخبار العرب وعلومها . له مصنفات كثيرة . عمر نيفا وتسعين سنة ومات سنة 216 هـ. (831 م.)

2) حاتم : انظر قطعة 50

3) وذرج وذرة : قطعة اللحم . (4) ضن : بخل .

5) لا ينهنهه الزجر : اى لا يرده اللوم بالاسراف عن كرمه

مرملةٌ مُسْنِتَةٌ (6) مَا عِنْدِى شَىء . فَقلْتُ أمَا عِنْدَك جَزُورٌ ؟ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ وَلَا شَاةٌ وَلَا دَجَاجَةٌ وَلَا بَيْضَةٌ! فَقلْتُ: أَمَا ابنُ هَرَمَةَ(7) أَبُوكِ ؟ فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ إِنّى لَمِنْ صَمِيمِهِمْ . قُلْتُ قَاتَلَ اللَّهُ (8) أبَاكَ مَا كَانَ أكْذَبَهُ حَيْثُ يَقُولُ: (منسرح)

لَا أمْتِع العُوذَ (9) بِالفِصَالِ وَلَا ... ابْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الأجَـلِ

إِنّى إِذَا مَـا البَخِيـلُ آمَنَهَا ... بَاتَتْ ضَمُوزاً(10) مِنّى عَلَى وَجَلِ

وَوَلَّيْتُ فَنَادَتْ : ارْجِعْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ ! فِعْلُهُ وَاللَّهِ هُوَ الذِى أَقَلَّهُ عِنْدَنَا. فَقُلْتُ: إِلَّا تَكُونِى أَوْسَعْتِنِى قِرىً فَقَدْ أَوْسَعْتِنِى جَوَاباً .

ذيل الامالى

---

6) مرملة : مات عنها زوجها ، ومفتقرة كأنها جالسة على الرمل؛ مسنتة: اصابها الجدب والقحط .

7) ابن هرمة: هو ابراهيم بن على بن سلمة بن هرمة من متقدمى الشعراء وممن ادرك الدولتين الاموية والعباسية .

8) قاتله الله : كلمة تستعمل للذم والمدح .

9) العوذ : المسن من الابل والشاة .

10) الضموز : ناقة ضامز وضموز كصبور ، تضم فاها فلا تسمع لها رغاء لئلا تلفت الانظار فتذبح .

89) خصائص أنواع المماليك

قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِى المَمَالِيكِ ، وَأَصْنَافِهِمْ ، وَصُوَرِهِمْ ، وَأَخْلَاقِهِمْ ، وَمَا يَصْلُحُ لَهُ كُلُّ نَوْعٍ مِنْهُمْ، وَقَالُوا: الخَادِمُ البَرْبَرِيَّةُ لِلَّذَةِ، وَالرُّومِيَّةُ لِحِيطَةِ(1) المَالِ وَالخِزَانَةِ ، وَالتُّرْكِيَّةُ لِإِنْجَابِ الوَلَدِ ، وَالزَّنْجِيَّةُ لِلرَّضَاعِ ، وَالمَكِيَّةُ لِلْغِنَاءِ، وَالمَدَنِيَّةُ لِلشَّكْلِ، وَالعِرَاقِيَّةُ لِلطَّرَبِ وَالإِنْكِسَارِ (2). أَمَّا الذُّكُورُ فَالهِنْدُ وَالنَّوْبَةُ لِحِفْظِ النُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ، وَالزَّنْجِ وَالأَرْمنِ لِلْكَدِّ وَالخِدْمَةِ ، وَمَعهُمَا العَطَاءُ (3)، وَالتُّرْكُ وَالصَّقَالِبَةُ (4) لِلْحُرُوبِ وَالشَّجَاعَةِ .

وَحكى عَن أَبِى عُثْمَانَ رَئِيسِ النَّخَاسِينَ بِالمشْرِقِ ، وَالشَّأْن إِلَيْهِ هُنَالِكَ لِكَثْرَةِ الخِبْرَةِ وَالمدَاوَلَةِ عَلَى القَوْمِ ــ أَنهُ كَانَ يَقُولُ : «إِذَا وُجِدَتِ المَرْأَةُ بِنْتُ تِسْعِ حِجَجٍ كُتَامِيَّةُ الأمِّ، صِنْهَاجِيَّة الأَب، مَصْمُودِيَّة المنْشأ، قَدْ جلبَتْ إِلَى المدِينَةِ، وَأَقَامَتْ بِهَا ثَلَاث حِجَجٍ، وَبِالْعِرَاقِ عَشْر حِجَجٍ، فَتِلْكَ التِى جمعَتْ حسنَ الجِنْسِ ، إِلَى كَمَالِ القَصْدِ . وَقَلِيلٌ أَنْ تَخْفى عَلَى العُيُونِ».

آداب الحسبة ص 49 للسقطى المالقى الاندلسى

---

1) حيطة : من حاطه يحوطه حوطا وحيطة : حفظه وتعهده
2) انكسار العين عند النظر .
3) العطاء : هنا السخاء
4) الصقالبة : هم مماليك اصلهم من شمال اوربا . كا نالتجار اليهود يشترونهم صغارا ويخصونهم ويبيعونهم بالاندلس، فيربون فى القصور تربية اسلامية . وقد بلغ الكثير منهم مراتب سامية .

90) صعلوك يتوق الى المحمدة

فَمِنْ غَرِيبِ مَا جَرَى أنَّ أسْوَدَ الزَّبْدِ (1)، كَانَ عَبْداً يَأْوِى إلَى قَنْطَرَةِ الزَّبْدِ، وَيَلْتَقِطُ النَّوَى، وَيَسْتَطْعِمُ مَنْ حَضَرَ ذَلِكَ المَكَانَ بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ، وَهُوَ عُرْيَانٌ لَا يَتَوَارَى إلاَّ بِخِرْقَةٍ ، وَلاَ يُؤْبَهُ لَهُ ، وَلَا يُبَالِى بِهِ . وَمَضَى عَلَى هَذَا دَهْرٌ ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ ، وَرَأَى هَذا الأَسْوَد مَن هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ قَدْ أَخَذَ السَّيْفَ وَأَعْمَلَهُ ، طَلَبَ سَيْفاً وَشَحذهُ ، وَنَهَبَ وَأَغَارَ وَسَلَبَ ، وَظَهَرَ مِنْهُ شَيْطَانٌ فِى مَسْكِ (2) إنْسَانٍ وَصَبُحَ وَجْهُهُ ، وَعَذُبَ لَفْظُهُ ، وَحَسُنَ جِسْمُهُ، وَعَشِقَ وَعُشِقَ .. حَتَّى دُعِىَ قَائِداً ، وَأَطَاعَهُ رِجَالٌ وَأَعْطَاهُمْ وَفَرَّقَ فِيهِمْ ، وَصَارَ جَانِبُهُ لَا يُرَامُ، وَحِمَاهُ لَا يُضَامُ ..

فَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ خُلُقِهِ ـ مَعَ شَرِّهِ ـ أَنَّهُ اشْتَرَى جَارِيَةً كَانَتْ فِى النَّخَاسِينِ عَلَى المَوْصِلِىِّ (3) بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ حَسْنَاءَ جَمِيلَةً .. فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا تَكْرَهِينَ مِنِّى ؟ قَالَتْ : أَكْرَهُكَ كَمَا أَنْتَ . قَالَ لَهَا فَمَا تُحِبِّينَ ؟ قَالَتْ : أَنْ تَبِيعَنِى . قَالَ لَهَا : أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ أُعْتِقُكَ وَأَهَبُ لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَتْ : نَعَمْ ؟ فَأَعْتَقَهَا وَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ بِحَضْرَةِ القَاضِى ابْنُ الدَّقَاق ، عِنْدَ مَسْجِدِ ابنِ رَغْبَانَ غَرْبِىّ بَغْدَاد . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ وَهِمَّتِهِ وَسَمَاحَتِهِ ، وَمِنْ صَبْرِهِ عَنْ كَلامِهَا ، وَتَرْكِ مُكَافَأَتِهَا عَلَى كَرَاهَتِهَا .

الامتاع والمؤانسة ج 3 ص 160

---

1) كانمن العيارين الذين انتهزوا فرصة الفتن ايام الامين وايامالاتراك فحصلوا على الاموال وصار بعضهم من قادة الجيش فكونوا «دولة داخل دولة» حسب التعبير الفرنسى .

2) المسك : الجلد

3) الموصلى : ابراهيم الموصلى او ابنه اسحاق، المغنيان .

91) مملوك أسود يفك رقبته بمال جليل

كَانَ نُصَيْبُ بنُ رِبَاحٍ عَبْداً لِرَجُلٍ مِنْ كِنَانَةَ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ، وَكَانَ شَاعِراً فَصِيحاً، كَبِيرَ النَّفْسِ عَفِيفاً . وَفِى سَبَبِ اتِّصَالِهِ بِعَبْدِ العَزِيزِ بنِ مَرْوَانَ (1)، وَفَكِّ رَقَبَتِهِ مِنَ الرِّقِّ، رِوَايَاتٌ مِنْهَا أَنَّهُ لَمَّا قَالَ الشِّعْرَ ، وَهُوَ شَابٌ ، جَعَلَ يَأْتِى مَشْيَخَةَ القَبِيلَةِ وَيُنْشِدُهُمْ .. فَاجْتَمَعُوا إِلَى مَوْلَاهُ وَقَالُوا : إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا ، قَدْ نَبَغَ بِقَوْلِ الشِّعْرِ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَيْنَ شَرَّتَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَهْجُونَا فَيَهْتِكَ أَعْرَاضَنَا ، أَوْ يَمْدَحَنَا فَيُشَبِّبَ بِنِسَائِنَا . وَلَيْسَ لَنَا فِى شَىءٍ مِنَ الخَلَّتَيْنِ خِيَرَةٌ . فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ : يَانُصَيبُ أَنَا بَائِعُكَ لَا مَحَالَةَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ . فَصَارَ إِلَى عَبْدِ العَزِيزِ بنِ مَرْوَانَ بِمِصْرَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ:

لِعَبْدِ العَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ   وَغَيْرِهِمْ مِنَنٌ غَامِرَةٌ (2)

إِلَى آخِرِ القَصِيدَةِ . فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ : اعْطُوهُ ! اعْطُوهُ ! فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللّهُ ، إِنِّى عَبْدٌ وَمِثْلِى لَا يَأْخُذُ الجَوَائِزَ . قَالَ : فَمَا شَأْنُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ، فَدَعَا الحَاجِبُ ، فَقَالَ : اخْرُجْ بِهِ إِلَى بَابِ الجَامِعِ ، فَأَبْلِغْ مِنْ قِيمَتِهِ. فَدَعَا المُقَوِّمِينَ فَنَادُوا عَلَيْهِ : مَنْ يُعْطِى لِعَبْدٍ أَسْوَدَ جَلْدٍ ؟ قَالَ رَجُلٌ : هُوَ عَلَىَّ بِمِائَةِ دِينَارٍ. قَالَ نُصَيبٌ: قُولُوا عَلَىَّ انى أَبْرِىءُ القِسِىَّ وَأُرِيشُ السِّهَامَ (3)،

---

1) عبد العزيز بن مروان : هو ابو عمر بن عبد العزيز . كان واليا على مصر فى عهد ابيه مروان بن الحكم ثم اخيه عبد الملك. مات بحلوان قبل ولاية اخيه الوليد .

2) غامرة من غمر الماء : كثر — وغمره الماء : علاه وغطاه. يقال غمر فلانا بفضله اى بالغ فى الاحسان اليه .

3) اريش السهام . الصق عليها الريش .

وَاحْتَجِنْ (4) الأَوْتَارَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : هُوَ عَلَيَّ بِمائتَيْ دِينَارٍ . قَالَ : قُولُوا عَلَيَّ انِّي أَرْعَى الإِبِلَ وَأَمْرِيهَا(5) وَأُقَضْقِضُهَا(6) وَأُصْدِرُهَا وَأُورِدُهَا وَأَرْعَاهَا وَأُرْعِيهَا(7) قَالَ رَجُلٌ: هُوَ عَلَيَّ بِخَمْسِمائَةِ دِينَارٍ . قَالَ نَصِيبٌ : قُولُوا عَلَيَّ انِّي شَاعِرٌ عَرَبِيٌّ لاَ يُوطِئُ (8) وَ لاَيُقْوِي (9) وَلاَ يُسَانِدُ (10) . قَالَ رَجُلٌ: هُوَ عَلَيَّ بِأَلْفِ دِينَارٍ. فَسَارَ بِهِ الحَاجِبُ إِلَى عَبْدِ العَزِيزِ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا تَمَّ، فَقَالَ : ادْفَعُوا إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَبَضَهَا وَافْتَكَّ بِهَا رَقَبَتَهُ . وَلَمْ يَزَلْ فِي جُمْلَةِ أَتْبَاعِ عَبْدِ العَزِيزِ حَتَّى احْتَضَرَ. فَأَوْصَى بِهِ سُلَيْمَانَ بنَ عَبْدِ المَلِكِ (11) خَيْراً فَصَيَّرَهُ فِي جُمْلَةِ سُمَّارِهِ .

معجم الادباء ج 19 ص 228

❀❀❀❀

---

4) حجن العود او الوتر واحتجنه وجعل فيه شبه العوج .
5) مرى الناقة : مسح ضرعها فامرت اى درت اللبن .
6) اقضقضها : افرقها لترعى .
7) ارعيها : مثل رعى ـ وارعاها المكان ـ جعله مرعى لها ـ اى انه يحسن اختيار المراعى .
8) الايطاء فى القافية : تكرير القافية متحدة فى اللفظ والمعنى.
9) الاقواء : اختلاف حركة الروى وهو حرف القافية .
10) السناد : اختلاف حرفى الردف فى القافية بان يكون مرة واوا ومرة ياء .
11) سليمان بن عبد الملك : ولى الخلافة بعد اخيه الوليد سنة 96 هـ. 715 م. ومات بعد ثلاث سنوات .

92) الحشم

كَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ (1) ضَابِطاً لِدَارِهِ أَشَدَّ ضَبْطٍ ، يَنْظُرُ فِى أَمْرِ الصَّغِيرِ مِنَ الخَزَائِنِ وَالمَطَابِخِ وَالإِقَامَاتِ (2) وَلِلْوَظَائِفِ (3)، مَثَلَ نَظَرِهِ إِلَى الكَبِيرِ مِنْ أُمُورِ المَمَالِكِ ، فَلَا يُطْلِقُ دِرْهَماً فِى غَيْرِ وَجْهِهِ، وَلَا يَمْنَعُ أَحَداً مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ .

حَدَّثَ أَبُو نَصْرٍ حَاجِبُهُ قَالَ : كَانَ بِالقَصْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الغِلْمَانِ تُحْمَلُ إِلَيْهِمْ مُشَاهَرَاتُهُمْ مِنَ الخِزَانَةِ بِالحَضْرَةِ . فَلَمَّا كَانَ آخِرَ الشَّهْرِ قَدْ بَقِيَ مِنْهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، اسْتَدْعَانِى وَقَالَ : تَقَدَّمْ إِلَى الخَازِنِ فِى بَيْتِ المَالِ، بِأَنْ يَزِنَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَيُسَلِّمُهَا إِلَى أَبِى عَبْدِ اللّٰهِ بن سَعْدَان لِيَحْمِلَهَا إِلَى نَقِيبِ الغِلْمَانِ بِالقَصْرِ . فَقُلْتُ : السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ . فَأُنْسِيتُ ذَلِكَ، وَسَأَلَنِى عَنْهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فَاعْتَذَرْتُ بِالنِّسْيَانِ ، فَخَاطَبَنِي بِأَغْلَظِ خِطَابٍ ، فَقُلْتُ: أَمْسِ كَانَ اسْتِهْلَالُ الشَّهْرِ ، وَالسَّاعَةَ تُحْمَلُ المَادَّةُ ، وَمَا هَهُنَا مَا يُوجِبُ شُغْلَ القَلْبِ بِهَذَا الأَمْرِ . فَقَالَ : المُصِيبَةُ بِمَا لَا تَعْلَمُ مَا فِى فِعْلِكَ مِنَ الغَلَطِ، أَكْثَرَ مِنْهَا فِيمَا اسْتَعْمَلْتَهَا مِنَ التَّفْرِيطِ . أَلَا تَعْلَمُ أَنَّا إِذَا أَطْلَقْنَا لِهَؤُلَاءِ الغِلْمَانِ مَالَهُمْ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ يَوْمٌ، كَانَ الفَضْلُ لَنَا عَلَيْهِمْ ؟ وَإِذَا انْقَضَى الشَّهْرُ، وَاسْتَهَلَّ الآخَرُ ، حَضَرُوا عِنْدَ عَارِضِهِمْ فَأَذْكَرُوهُ فَيَعِدُهُمْ، ثُمَّ يَحْضُرُونَهُ فِى اليَوْمِ الثَّانِى فَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ فِى اليَوْمِ الثَّالِثِ فَتُبْسَطُ فِى اقْتِضَائِهِ وَمُطَالَبَتِهِ أَلْسِنَتُهُمْ ، فَتَضِيعُ المِنَّةُ (4) وَتَحْصُلُ الجُرْأَةُ وَنَكُونُ إِلَى الخَسَارَةِ أَقْرَبَ مِنَّا إِلَى الرِّبْحِ .

ذيل تجارب الامم ص 45

---

1) عضد الدولة : تقدمت ترجمته قطعة رقم 18 .
2) الاقامات : ما يحتاج اليه اهل الدار من مؤون وغيرها .
3) الوظائف : ما يخصص لكل من بالقصر من اكل ونفقة .
4) المنة : هنا الاحسان والجميل .

93) أفرنجي يضيف مسلما

قَالَ أسَامَةَ بنْ مُنقِذ: مِنَ الفَرَنْج قَوْمٌ، قَدْ تَبَلَّدُوا وَعَاشَرُوا المسْلِمينَ، فَهُمْ أَصْلَحَ مِنَ القَريبيّ العَهْدِ بِبِلاَدِهِمْ ، وَلَكِنهُمْ شَاذُّونَ ، لَا يُقَاسُ عَلَيْهِمْ . فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّنِى نَفَذْتُ صَاحِباً إِلَى أَنْطَاكِية ، وَكَانَ بِهَا الرَّئِيسُ تَادَرْس (1) بن الصَّفِي ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ صَدَاقَةُ ، وَهُوَ نَافِذُ الحُكْمِ فِي أَنْطَاكِية ، فَقَالَ لِصَاحِبِي يَوْماً: «قَدْ دَعَانِي صَدِيقٌ لِي مِنَ الفَرَنْج، تَجِىءِ مَعِي حَتَّى تَرَى زيّهم» ، قَالَ فَمَضَيْتُ مَعَهُ ، فَجِئْنَا إِلَى دَارِ فَارِسٍ مِنَ الفُرْسَانِ العُتّق (2)، الذِينَ خَرَجُوا فِي أَوَّلِ خُرُوجِ الفَرَنْج، وَقَدْ اعْتَفَى مِنَ الدِّيوَانِ وَالخِدْمَة، وَلَهُ بِأَنطَاكِية مُلكٌ يَعِيشُ مِنْهُ . فَأَحْضَرَ مَائِدَةَ حَسَنَةً وَطَعاماً فِي غَايَةِ النَّظَافَةِ وَالجَوْدَةِ . وَرَآنِي مُتَوَقِّفاً عَنِ الأَكْلِ فَقَالَ : «كُل طَيِّبَ النَّفْس ، فَأَنَا مَا آكُلُ مِنْ طعامِ الأَفْرَنْج ، وَلِي طَبَّاخَات مِصْرِيَّات ، مَا آكُلُ إِلَّا مِنْ طَبِيخِهِنَّ ، وَلَا يَدْخُلُ دَارِي لَحْمَ خِنْزِيرٍ» ـ فَأَكَلْتُ وَأَنَا مُحْتَرِزٌ وَانْصَرَفْنَا . فَبَيْنَمَا أَنَا مُجْتَازٌ بِالسُّوقِ، إِذْ تَعَلَّقَتْ بِهِ امْرَأَةٌ أَفْرَنْجِيَّةٌ، وَهِيَ تُبَرْبِرُ (3) بِلِسَانِهِمْ ، مَا أَدْرِي مَا تَقُولُ . فَاجْتَمَعَ عَلَيَّ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الأَفْرَنْج ، فَأَيْقَنْتُ بِالهَلَاكِ ، وَإِذَا ذَلِكَ الفَارِسُ قَدْ أَقْبَلَ ، فَرَآنِي ، فَجَاءَ إِلَى تِلْكَ المَرْأَةِ ، وَاسْتَفْهَمَهَا فَقَالَتْ : «هَذَا قَتَلَ أَخِي فِي الحُرُوبِ» . قَالَ لَهَا : «هَذَا رَجُلٌ مِرْجَاسِي ـ أَيْ تَاجِرٌ ـ لَا يُقَاتِلُ وَلَا يُحْضِرُ القِتَالَ» . وَصَاحَ عَلَى أُولَئِكَ المُجْتَمِعِينَ، فَتَفَرَّقُوا، وَأَخَذَ بِيَدِي وَمَضَى . فَكَانَ تَأْثِيرُ تِلْكَ المُؤَاكَلَةِ خَلَاصِي مِنَ القَتْلِ .

كتاب الاعتبار لاسامة

---

1) تادرس : تعريب طؤدور .
2) العتق : م العتيق : هنا الكريم الخير .
3) تبربر: كانها تقول : بر.. بر ، اى تتكلم بكلام غير مفهوم

94) مسلم يستضيف يهوديا

كَتَبَ أَيُّوبُ بنُ سُلَيْمَانَ المَرْوانِيّ ، (وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ عَبْدِ العَزِيزِ أَخِى عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ) إِلَى بَسَّام بن شَمْعُون اليَهُودِى الوَشْقِيّ، فِى يَوْمِ مطير : «لَمَا كُنْتَ ـ وَصَلَ اللّهُ اخاءَكَ وَحَفِظَكَ ـ مَطْمَعَ نَفْسِى ، وَمُنْتَزَعَ اخْتِيَارِى ، مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِى ، عَلَى جَوَانِبِكَ أَمِيلُ وَأَرْتَعُ فِى رِياضِ خلقِكَ الجَمِيلِ ، هَزَّتْنِى خَوَاطِرَ الطَّرَبِ وَالارْتِيَاحِ ، فِى هَذَا اليَوْمِ المطِيرِ، الدَّاعِى بُكَاؤُهُ إِلَى ابْتِسَامِ الأَقْدَاحِ وَاسْتِنْطَاقِ البَمّ (1) وَالزِّيرِ ، فَلَمْ أَرَ مُعِيناً عَلَى ذَلِكَ، وَمبلغاً مَا هُنَالِكَ إِلاَّ حُسْنَ نَظَرِكَ ، وَتَجَشُّمَكَ مِنَ المَكَارِمِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُكَ، وَهَذَا يَوْمٌ حَرَّمَ الظَّرْفُ (2) فِيهِ الحَرَكَةَ، وَجَعَلَ فِى تَرْكِهَا الخَيْرَ وَالبَرَكَةَ، فَهَلْ تُوصِلُ مَكْرُمَتُكَ أَخَاكَ إِلَى التَخَلِّيَ مَعَكَ فِى زَاوِيَةٍ ، مُتَّكِئاً عَلَى دَنٍّ ، مُسْتَنِداً إِلَى خَابِيَةٍ ، وَنَحْنُ ، خِلاَلَ ذَلِكَ نَتَجَاذَبُ أَهْدَابَ الحَدِيثِ، التِى لَمْ يَبْقَ مِنَ اللَّذَاتِ إِلاَّ هِىَ. وَنُجِيلُ الأَلْحَاظَ فِيمَا تَعَوَّدْتُ عِنْدَكَ مِنَ المَحَاسِنِ وَالأَسْمَاعِ فِى أَصْنَافِ الملاَهِى ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَكَرَمُكَ بِتَكَلُّفِهِ جَدِيرٌ، وَلاَ يُعِينُ المَرْءَ يَوْماً عَلَى رَاحَتِهِ إِلاَّ كَرِيمُ الطِّبَاعِ . وَهَا أَنَا وَالسَّمْعُ مِنِّى عَلَى البَابِ، وَذُو الشَّوْقِ حَلِيفُ اسْتِمَاعِ (سريع) .

فَإِنْ أَتَى دَاعٍ بِنَيْلِ المُنَى ودَّعَ أَشْجَانِى (3) وَنِعمَ الوَدَاعِ

نفح الطيب

---

1) البمّ : اغلظ اوتار العود . والزير : الدقيق منها .

2) الظرف : الظرافة والكياسة .

3) اشجان : م شجن ـ الاحزان والهموم .

95) خفة العامة

حكى أن كلثوم (1) بن عمرو العتابي الشاعر كان يأكل خبزاً على الطريق ببغداد ، فرآه عثمان الوراق فقال له : أما تستحي ؟ فقال كلثوم: «أرأيت لو كنا في دار فيها بقر كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟» فقال : لا . قال : «فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر.» فقام ، ووعظ، وقص ، حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال للناس : «روى لنا غير واحد أن من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار.» فكأنما كان ذلك إشارة منه للناس ؛ فلم يبق أحد منهم إلا وأخرج لسانه يومىء نحو أرنبة أنفه ليرى إن كان يبلغها أم لا ..

الاغاني



1) كلثوم بن عمرو بن ايوب العتابي : اصله من فنسرين ، مدح هارون الرشيد واولاده الخلفاء من بعده ، وكان منقطعا الى البرامكة ويتزهد ويلبس الصوف مات سنة 208 هـ. (824 م.)

البــــاب الرابــــع

الحياة الفكرية

الفصل الأول

طلب العلم

قال تعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً »

لَقَدْ كَانَتِ المَمْلَكَةُ الإِسْلَامِيةُ عَلَى سِعَتِهَا ، عَرْصَةَ عِرْفَانٍ ، يَتَنَافَسُ سُكَّانُهَا فِي اقْتِطَافِ أَثْمَارِهَا ، لَا فَرْقَ بَيْنَ العَرَبِي مِنْهُمْ وَالعَجَمِي، وَلَا بَيْنَ المِلِّي وَالذِّمِي ، وَيَجْتَهِدُ مُوسِرُهُمْ وَمُعْسِرُهُمْ فِي التَّحْصِيلِ وَالتَّبْرِيزِ عَلَى القُرَنَاءِ .

نَعَمْ لَمْ يَكُنْ لِلتَّعْلِيمِ مَرَاحِلَ مُعَيَّنَةٌ ، وَلَا بَرَامِجَ مُقَرَّرَةٌ ، بَلْ كَانَ طَلَبُ العِلْمِ يَبْدَأُ فِي الكُتَّابِ ، وَيَسْتَأنِفُ فِي الحَلَقَاتِ التِي كَانَتْ تُنَظَّمُ فِي المَسَاجِدِ وَالمَدَارِسِ . وَقَدْ كَثُرَ مَنْ يُعَلِّمُ حِسْبَةً ، وَيُصَنِّفُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّهِ .وَلَمْ يَكُنْ الطَّلَبَةُ لِيَرُدَّهُمْ بُعْدُ الشُّقَّةِ ، وَوُعُورَةُ الطَّرِيقِ ، وَغَلَاءُ القِرْطَاسِ ، عَنْ قَصْدِ مَشَاهِيرِ العُلَمَاءِ المُخْتَلِفِيَ الأَجْنَاسِ وَالمَذَاهِبِ لِإسْتِقَاءِ المَعَارِفِ مِنْ أَصْفَى عُيُونِهَا وَتَحْقِيقِ المَسَائِلِ فِي أَصْدَقِ مَظَانِّهَا . فَكَانُوا يَصْبِرُونَ عَلَى «افْتِرَاشِ المَدَرِ ، وَاسْتِنَادِ الحَجَرِ ، وَإِدْمَانِ السَّهَرِ» سَعْياً وَرَاءَ كَلِمَةٍ لُغَوِيَّةٍ ، أَوْ بَيْتِ شِعْرٍ، أَوْ حَدِيثٍ نَبَوِيّ ، أَوْ خَبَرٍ غَرِيبٍ . وَكَانَ الكَثِيرُ مِنَ الوُلَاةِ وَالهُدَاةِ يُشَجِّعُونَ ذَوِي القَرَائِحِ الوَقَّادَةِ ، وَالهِمَمِ الوَثَّابَةِ ، فَيُعَبِّدُونَ أَمَامَهُمْ الصُعُوبَاتِ وَيُزِيحُونَ عَنْهُمْ العِلَلَ . ضَاعَفَ اللّهُ لَهُمُ الأَجْرَ آمِينَ .

بعض المراجع

1) ضحى الاسلام : للدكتور احمد امين ج 2
2) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى : تأليف آدم متز وترجمة محمد عبد الهادى ابو ريدة ج 1 .
3) التربية والتعليم فى الاسلام : تأليف الدكتور محمد اسعد طلس
4) تاريخ التربية الاسلامية تاليف : الدكتور احمد شلبى

96) كتاب أم مغنى

كان خليلُ المعلّمُ يُلقّبُ خُليلانَ ، وكانَ يؤدّبُ الصِّبيانَ ، ويُعلّمُ الجَواري الغِناءَ في مَوضعٍ واحدٍ . فَحَدّثَ مَنْ حضَرهُ قالَ : كُنْتُ عِنْدَهُ يَوماً، وَهوَ يُرَدّدُ عَلَى صَبيّ يَقرَأُ بَيْنَ يَدَيْهِ : «وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشتَرِي لَهْوَ الحَديثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» . ثُمّ يَلْتَفِتُ إلَى صَبيّةٍ ، يُرَدّدُ عَلَيْها : (سريع) .

اعْتادَ هَذا القَلْبَ بَلْبالُهُ (1) إنْ قُرّبَتْ لِلْبَيْنِ أَحْمالُهُ (2)

فَضَحِكْتُ ضَحِكاً مُفْرِطاً لِمَا فَعَلَهُ . فالتَفَتَ إلَيّ فَقالَ : وَيْلَكَ مَا لَكَ ؟ فَقُلْتُ : ضَحِكْتُ مِمّا تَفعَلُ ، وَاللّهِ ما سَبَقَكَ إلَى هَذا أَحَدٌ ، ثُمّ قُلْتُ : انْظُرْ إلَى أيّ شَيءٍ أَخَذْتَ عَلَى الصّبيّ مِنَ القُرآنِ ، وَأَيَّ شَيءٍ تُلْقِي عَلَى الصَّبيّةِ . وَاللّهِ لأَظُنّكَ مِمّنْ يَشتَرِي لَهْوَ الحَديثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبيلِ اللّهِ !! فَقالَ : أَرْجُو أَلّا أَكُونَ كَذَلِكَ ، إنْ شاءَ اللّهُ» .

رنّات المثالث والمثانى ج 3 ص 152 فى روايات الاغانى

---

1) بلبال : من بلبل يلبلة وبلبالا القوم هيجهم واوقعهم فى الهم
2) احماله : اى احمال المراة التى يحبها ، والمعنى : اشتد حزنه لما عزمت حبيبته على الرحيل .

97) امتحان مؤدبي أبناء الخلفاء

دَخَلَ بَكْرُ بنُ مُحَمَّد المَازِنيّ النحْوِيّ عَلَى الوَاثِقِ (1)، فَقَالَ لَهُ هَذا بَعْدَ أَنْ عَلِمَ مَقْدرَتَهُ : «انَّ هَهُنَا قَوماً يَخْتَلِفُونَ إِلَى أَوْلَادِنَا ، فَامْتَحِنْهُمْ، فَمَنْ كَانَ عَالِماً يُنْتَفَعُ بِهِ أَلْزَمْنَاهُمْ إِيَّاهُ ، وَمَنْ كَانَ بِغَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ قَطَعْنَاهُمْ عَنْهُ». قَالَ : فَامْتَحَنْتُهُمْ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ طَائِلاً ـ وَحَذَرُوا نَاحِيَتِي ـ فَقُلْتُ : لاَ بَأسَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ . فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتَهُمْ ؟ فَقُلْتُ . يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ فِي عُلُومٍ ، وَيَفْضُلُ البَاقُونَ فِي غَيْرِهَا ، وَكُلٌّ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَقَالَ الوَاثِقُ : إِنِّي خَاطَبْتُ مِنْهُمْ رَجُلاً فَكَانَ فِي نِهَايَةِ الجَهْلِ فِي خِطَابِهِ وَنَظَرِهِ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إِنَّ أَكْثَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ ، وَقَدْ أَنْشَدْتُ فِيهِمْ : (كامل)

إِنَّ المُعَلِّمَ لَا يَزَالُ مُغَفَّلاً (2) وَلَوِ ابْتَنَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَاءَ

مَنْ عَلَّمَ الصِّبْيَانَ أَضْنَوْا (3) عَقْلَهُ مِمَّا يُلَاقِي بُكْرَةً وَعَشَاءَ

فَقَالَ لِي الوَاثِقُ : لِلَّهِ دَرُّكَ .

معجم الادباء

---

1) الواثق : لقب ابى جعفر ولد المعتصم بن هارون الرشيد . بويع له بعد ابيه سنة 227 هـ. (848 م.) كان واسع العطاء متحننا على رعيته .

2) مغفل : من لا فطنة له . وفعلا كان الناس يعتبرون المعلمين ممن قل ذكاؤهم وقد الفت نوادر كثيرة فى هذا الموضوع .

3) أضنوا عقله : اتعبوه واكدوه

98) حلية الادب تغنى عن حلية النسب

رُوِىَ أنّ عَبْدَ الملِكِ بن مَرْوَانَ (1) دَخَلَ المسْجِدَ الحَرَامَ لِلطّوَافِ، فَرَأى حَلَقَ الذّكْرِ وَالعِلْمِ، فَأعْجبَ بِهَا كُلَّ الإعْجَابِ ، وَجَعَلَ يَتَأمّلُ وَيَبْتَسِمُ ، ثُمّ أشَارَ إلَى وَاحِدَةٍ وَقَالَ: لِمَنْ هَذِهِ ؟ فَقِيلَ لِمَيْمُونَ بنِ مِهْرَان (2)، وَأشَارَ إلَى أخْرَى وَقَالَ : لِمنْ هَذِهِ ؟ فَقِيلَ لِمُجَاهِدٍ (3). وَأشَارَ إلَى أخْرَى وَقَالَ : لِمنْ هَذِهِ ؟ فَقِيلَ لِمَكْحُولٍ (4). وَكُلّهُمْ مِنْ أبْنَاءِ الفُرْسِ .

فَتَعَجّبَ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمّا رَجَعَ إلَى مَنْزِلِهِ ، جَمَعَ أحْيَاءَ قُرَيْشٍ ، وَقَالَ : «يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ كُنّا فِيمَا قَدْ عَلِمْتُمْ ، فَمَنّ اللّهُ عَلَيْنَا بِمُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، وَبِهَذَا الدّينِ القَوِيمِ، فَحَقَرْتُمُوهُ حَتّى غَلَبَكُمْ أبْنَاءَ الفُرْسِ» فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ أحَدٌ إلاّ عَلِيّ بن الحُسَن بن عَلِي بن أبِى طَالِبٍ ، رَضِى اللّهُ عَنْهُ فَقَالَ : «ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ» ثُمّ قَالَ عَبْدَ المَلِكِ : «أرَأيْتُمْ كَهَذَا الحَيّ مِنَ الفُرْسِ ؟ . مَلَكُوا مِنْ أوّلِ الدّهْرِ فَمَا احْتَاجُوا إلَيْنَا ، وَمَلَكْنَاهُمْ فَلَمْ نَسْتَغْنِ عَنْهُمْ سَاعَةً ! »

عن كتاب «اخلاق العلماء»

---

1) عبد الملك بن مروان : تقدمت ترجمته فى قطعة 23 .

2) ميمون بن مهران : كان من افاضل التابعين وخيارهم ، ولاه عمر بن عبد العزيز خراج الجزيرة . توفى سنة 117 هـ. (735 م)

3) مجاهد بن جبر مولى بنى مخزوم : سمع الحديث عن عائشة ام المؤمنين، وابى هريرة ، وابن عباس ، وكان احد علماء التفسير ، توفى سنة 103 هـ.

4) مكحول بن ابى مسلم مولى امراة من هذيل : كان من علماء اهل الشام، تقيا ورعا وقد سمع عن صغار الصحابة توفى سنة 113 هـ. (729 م.)

99) أنت ربع القلب اشتغل بالدرس

قَالَ أَبُو حَيَّان (1) فِي كِتَابِ مُحَاضَرَات العُلَمَاءِ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِ الدَّهْرِ، وَقَرِيعَ العَصْرِ العَدِيمِ المِثْلِ ، المَفْقُودِ الشَّكْلِ ، أَبِي سَعِيدِ السِّيرَافِي(2) وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى الحَسَن بن مَرْدَوَيْهِ الفَارِسِيّ ، يَشْرَحُ لَهُ تَرْجَمَةَ المَدْخَلِ إِلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ (3) مِنْ تَصْنِيفِهِ . فَقَالَ لَهُ : عَلِّقْ عَلَيْهِ ، وَاصْرِفْ هِمَّتَكَ إِلَيْهِ . فَإِنَّكَ لاَ تُدْرِكُهُ إِلاَّ بِتَعَبِ الحَوَاسِّ، وَلاَ تَتَصَوَّرهُ إِلاَّ بِالاعْتِزَالِ عَن النَّاسِ. فَقَالَ : أَيَّدَ اللّهُ القَاضِي انا مُؤْثِرٌ لِذَلِكَ ، وَلَكِنْ اخْتِلاَلَ الأمْرِ ، وَقُصُورَ الحَالِ ، يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ . فَقَالَ لَهُ : أَلَكَ عِيَالٌ ؟ قَالَ : لاَ. قَالَ : أَعَلَيْكَ دُيُونٌ ؟ قَالَ ، دُرَيْهِمَاتٌ . قَالَ : فَأَنْتَ رَبِيعُ القَلْبِ ، حَسَنُ الحَالِ ، نَاعِمِ البَالِ ، اشْتَغِلْ بِالدَّرْسِ وَالمُذَاكَرَةِ ، وَالسؤَالِ وَالمُنَاظَرَةِ ، وَأَحْمَدُ اللّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَّةِ الحَاذِ (4) وَحُسْنِ الحَالِ ، وَأَنْشَدَهُ : (طويل) .

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مَالٌ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ طُرُقٌ يَسْعَى بِهِنَّ الوَلاَئِدُ

وَكَانَ لَهُ خُبْزٌ وَمِلْحٌ فَفِيهِمَا ... لَهُ بُلْغَةٌ حَتَّى تَجِيءَ العَوَائِدُ(5)

وَهَلْ هِيَ إِلاَّ جَوْعَةٌ ان سَدَدْتَهَا ... فَكُلُّ طَعَامٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ وَاحِدُ

معجم الادباء

---

1) ابو حيان : لعله ابو حيان التوحيدى المتوفى حوالى 400 هـ. وقد الف كتابا سماه «كتاب المحاضرات والمناظرات» وسناتى بترجمة ابى حيان فى آخر الكتاب ان شاء الله ، حينما نتكلم عن كتابه «الامتاع والمؤانسة»

2) ابو سعيد السيرافي : ابو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافى النحوى المعروف بالقاضى ، كان من اعلم الناس بنحو البصريين ، مشاركا فى عدة فنون ، نزها، عفيفا ، توفى سنة 368هـ.

3) سيبويه : ابو بشر عمرو بن عثمان ولد بشيراز وتعلم بالبصرة على الخليل بن احمد وغيره ـ له كتاب مشهور فى النحو ـ مات حوالى 180 هـ. (796 م.)

4) خفيف الحاذ : قليل المال والعيال

5) العوائد ج عائدة : وهو المعروف والصلة والعطف والمنفعة .

100) وصية الرشيد لمؤدب ولده

عهدَ الرَّشِيدُ (1) بِتَعْلِيمِ ابْنِـهِ الأَمِينِ إِلَى أَحْمَـرَ (2) النَّحْوِي، ثُمَّ الكِسَائِي (3)، وَعَهِدَ بِتَأْدِيبِ المأمُونِ إِلَى اليَزِيدِي(4)، وَسِيبَوَيْهِ(5)، وَغَيْرِهِمَا وَيُقَالُ إِنَّهُ أَوْصَى أحْمَرَ بِهَذِهِ الوَصِيَّةِ :

«يَا أحْمَرُ : إِنَّ أَمِيرَ المؤمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةَ نَفْسِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَصَيِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً . فَكُنْ لَهُ بِحَيْثُ وَضَعَكَ أَمِيرُ المؤمِنِينَ ، أَقْرِئْهُ القُرْآنَ ، وَعَرِّفْهُ الأَخْبَارَ ، وَرَوِّهِ الأَشْعَارَ ، وَعَلِّمْهُ السُّنَنَ. وَبَصِّرْهُ بِمَوَاقِعِ الكَلَامِ وَبَدْئِهِ، وامْنَعْهُ مِنَ الضَّحِكِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَايِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَرَفْعِ مَجَالِسِ القُوَّادِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ. وَلَا تَمُرَّنَّ عَلَيْكَ سَاعَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُغْتَنِمٌ فَائِدَةً تُفِيدُهُ إِيَّاهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحْزِنَهُ فَتُمِيتَ ذِهْنَهُ . وَلَا تُمْعِنْ فِي مُسَامَحَتِهِ فَيَسْتَحْلِيَ الفَرَاغَ وَيَأْلَفَهُ . وَقَوِّمْهُ مَا اسْتَطَعْتَ بِالقُرْبِ والملَايَنَةِ ، فَإِنْ أَبَاهَا فَعَلَيْكَ بِالشِّدَّةِ وَالغِلْظَةِ».

العقد الفريد

---

1) الرشيد : تقدمت ترجمته فى قطعة رقم 46 .

2) أحمر : هو على بن الحسن الاحمر من تلامذة الكسائى ، مات سنة 194 هـ. 810 م.

3) الكسائى : (112 ـ189 هـ. 731ـ806 م.) هو ابو الحسن على بن حمزة الكسائى احد القراء السبعة كان اماما فى النحو واللغة والقراءة

4) اليزيدى : هو ابو عبد الله محمد بن يحيى بن المبارك اليزيدى توفى ايام المعتصم وله فى المأمون والمعتصم مدائح لا باس بها

5) سيبويه : انظر ترجمته فى القطعة التى قبل هذه .

101) كيف تعلم القاضى أبو يوسف

قَالَ أَبُو يُوسُفَ (1) ، قَاضِى الْقُضَاةِ فِى زَمَنِ الرَّشِيد (2) : «تُوُفِّيَ أَبِى، إِبْرَاهِيم بن حَبِيب ، وَخَلفَنى صَغِيراً فِى حُجْرِ أُمِّى . فَأَرْسَلَتْنِى إِلَى قَصَّار أَخْدُمهُ . فَكُنْتُ أَدَعُ الْقَصَّارَ ، وَأَمُرُّ إِلَى حَلْقَةِ أَبِى حُنَيْفَةَ (3)، فَأَجْلِسُ أَسْتَمِعُ. فَكَانَتْ أُمِّى تَجِيءُ خَلْفِى إِلَى الْحَلْقَةِ ، فَتَأْخُذُ بِيَدِى ، وَتَذْهَبُ بِى إِلَى الْقَصَّارِ. وَكَانَ أَبُو حُنَيْفَةَ يُعْنَى بِى لِمَا يَرَى مِنْ حُضُورِى وَحِرْصِى عَلَى التَّعْلِيمِ . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَى أُمِّى ، وَطَالَ عَلَيْهَا هَرَبِى ، قَالَتْ لِأَبِى حُنَيْفَةَ : مَا لِهَذَا الصَّبِيِّ فَسَادٌ غَيْرُكَ ! هَذَا صَبِيٌّ يَتِيمٌ لاَ شَيءَ لَهُ ، وَإِنَّمَا أُطْعِمُهُ مِنْ مِغْزَلِى، وَآمُلُ أَنْ يَكسبَ دانِقاً (4) يَعُودُ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهَا : مُرِّى يَارَعْنَاءُ ! هُوَ ذَا يَتَعَلَّمُ أَكْلَ الْفَالُودَج بِدُهْنِ الْفُسْتُقِ (5). فَانْصَرَفَتْ عَنْهُ وَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ شَيْخٌ خَرِفْتَ وَذَهَبَ عَقْلُكَ ! ثُمَّ لَزِمْتُهُ فَنَفَعَنِى اللَّهُ بِالْعِلْمِ ، وَرَفَعَنِى حَتَّى تَقَلَّدْتُ الْقَضَاءَ . وَكُنْتُ أُجَالِسُ الرَّشِيدَ ، وَآكُلُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ . فَلَمَّا

---

1) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، من اهل الكوفة ـ ولى القضاء للمهدى والهادى والرشيد ـ له كتاب «الخراج» وكتاب اصول الفقه على مذهب ابى حنيفة ، مات سنة 182 هـ. (799 م.)

2) الرشيد : تقدمت ترجمته رقم 46 .

3) ابو حنيفة النعمان : امام عظيم من ائمة الفقه الاسلامى وصاحب المذهب الحنفى، اعتمد كثيرا على الرأى والقياس ـ قيل انه مات فى سجن ابى جعفر المنصور لانه رفض القضاء وذلك سنة 150 هـ. (767 م.)

4) دانق ج دوانق : سدس الدرهم والكلمة فارسية .

5) الفستق ـ (انظر قطعة رقم 56) ـ والفالودج : حلوة تصنع من دقيق وماء وعسل .

كَانَ فِى بَعْضِ الأَيَّامِ ، قُدِّمَ إِلَى هَارُون فَالُودَجَةٌ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا يَعْقُوب كُلْ مِنْهُ فَلَيْسَ كُلَّ يَوْمٍ يُعْمَلُ لَنَا مِثْلُهُ . فَقُلْتُ : وَمَا هَذِهِ يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ؟ فَقَالَ : هَذِهِ فَالُودَجَة بِدُهْنِ الفُسْتُقِ ، فَضَحِكْتُ . فَقَالَ : مِمَّ ضَحِكْتَ ؟ فَقُلْتُ : خَيْراً أَبقَى اللّٰهُ أَمِيرَ المؤمِنِينَ . قَالَ : لَتُخْبِرْنِي ، وَأَلَحَّ عَلَيَّ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالقِصَّةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: لَعَمْرِي إِنَّ العِلْمَ لَيَنْفَعُ وَيَرْفَعُ دِيناً وَدُنْيَا . وَتَرَحَّمَ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَقَالَ : كَانَ يَنْظُرُ بِعَيْنِ عَقْلِهِ مَا لَا يَرَاهُ غَيرُهُ بِعَيْنِ رَأْسِهِ .

كتاب اخلاق العلماء



102) الكسائي في بلاد العرب

حَدَّثَ الخَطِيبُ (1) قَالَ : جَاءَ الكِسَائِى (2) إِلَى قَوْمٍ مِنَ الهَبَّارِيِّينَ ، وَقَدْ أَعْيَا فَقَالَ : قَدْ عَيِّيْتُ . قَالُوا : أَتُجَالِسُنَا وَأَنْتَ تَلْحَنُ ؟ فَقَالَ : كَيْفَ لَحَنْتُ ؟ قَالُوا : إِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنِ انْقِطَاعِ الحِيلَةِ وَالتَحَيُّرِ فِى الأَمْرِ ، فَقُلْ «عَيِيتُ» مُخَفَّفاً، وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ مِنَ التَّعَبِ فَقُلْ «أَعْيَيْتُ». فَأَنِفَ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ عَمَّنْ يُعَلِّمُ النَّحْوَ ، فَأَرْشَدُوهُ إِلَى مُعَاذ الهَرَّاء (3)، فَلَزِمَهُ حَتَّى أَنْفَذَ مَا عِنْدَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى البَصْرَةِ، فَلَقِيَ الخَلِيلَ (4) وَجَلَسَ فِى حَلْقَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ : تَرَكْتَ أَسَدَ الكُوفَةِ وَتَمِيمَهَا (5) وَعِنْدَهَا الفَصَاحَة ، وَجِئْتَ إِلَى البَصْرَةِ !؟ فَقَالَ لِلْخَلِيلِ: مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ عِلْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ بَوَادِى الحِجَازِ وَنَجْدٍ . فَخَرَجَ وَرَجَعَ وَقَدْ أَنْفَذَ خَمْسَ عَشَرَةَ قنينةً حِبْراً فِى الكِتَابَةِ عَنِ العَرَبِ، سِوَى مَا حَفِظَ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ غَيْرَ البَصْرَةِ وَالخَلِيل . فَوَجَدَ الخَلِيلَ قَدْ مَاتَ ، وَجَلَسَ فِى مَوْضِعِهِ يُونُس النَّحْوِيُّ (6) .فَمَرَّتْ بَيْنَهُمَا مَسَائِل أَقَرَّ لَهُ يُونُس فِيهَا وَصَدَّرَهُ مَوْضِعَهُ .

معجم الادباء ج 3 ص 168

---

1) الخطيب : هو ابو بكر بن على بن ثابت البغدادى صاحب تاريخ بغداد له مصنفات كثيرة وغلب عليه الحديث والتاريخ وكان خطيبا مصقعا مات 463 هـ. 1071 م.

2) الكسائى : تقدمت ترجمته قطعة رقم 100 .

3) معاذ الهراء : من نحاة الكوفة .

4) الخليل : الخليل بن احمد واضع علم العروض وكتاب العين كان من اكابر الادباء مات سنة 175 هـ. 791 م.

5) اسد وتميم : قبيلتان من قبائل العرب وكانت بعض عشائرهما تسكن الكوفة .

6) يونس بن حبيب البصرى كان عالما بالنحو واللغة والغريب ، وكان يغشى حلقته فصحاء الاعراب من البوادى مات سنة 182 هـ.

103) رأي ادراك حقائق الامور

قَالَ الإِمَام الغَزَّالِي (1)، رَحِمَهُ اللَّهُ : «لَمْ أَزَلْ فِي عُنْفُوَانِ شَبَابِي ، مُنْذُ رَاهَقْتُ البُلُوغَ ، قَبْلَ بُلُوغِ العِشْرِينَ إِلَى الآن ، وَقَدْ أَنَافَ (2) السِّنّ عَلَى الخَمْسِينَ، أَقْتَحِمُ لُجَّةَ (3) هَذَا البَحْرِ العَمِيقِ، وَأَتَوَغَّلُ فِي كُلِّ مُظْلِمَةٍ، وَأَتَهَجَّمُ (4) عَلَى كُلِّ مُشْكِلَةٍ ، واقتحم كُلَّ وَرْطَةٍ ، وَأَتفحَّصُ عَقِيدَةَ كُلِّ فِرْقَةٍ، وَاسْتَكْشِفُ أَسْرَارَ مَذْهَبِ كُلِّ طَائِفَةٍ ، لِأُمَيِّزَ بَيْنَ مُحِقٍّ وَمُبْطِلٍ ، لَا أُغَادِرُ مُبَاطِنِيّاً (5) إِلَّا وَأُحِبُّ أَنْ أَطَّلِعَ بِطَانَتَهُ ، وَلَا ظَاهِرِيّاً (6) إِلَّا وَأُرِيدُ أَنْ أَعْلَمَ حَاصِلَ ظَهَارَتِهِ ، وَلَا فَلْسَفِيّاً إِلَّا وَأَقْصِدُ الوُقُوفَ عَلَى كُنْهِ فَلْسَفَتِهِ، وَلَا مُتَكَلِّماً (7) إِلَّا وَأَجْتَهِدُ فِي الاطِّلَاعِ عَلَى غَايَةِ كَلَامِهِ وَمُجَادَلَتِهِ ، وَلَا صُوفِيّاً إِلَّا وَأَحْرِصُ عَلَى العُثُورِ عَلَى سِرِّ صُوفِيَّتِهِ ، وَلَا مُتَعَبِّداً إِلَّا وَأَتَرَصَّدُ مَا يَرْجِعُ

---

1) الغزالي : (451–505 هـ. 1058–1111 م.) هو الامام، حجة الاسلام ابو حامد محمد الغزالي . له كتب كثيرة منها كتاب «احياء علوم الدين» ولد بطوس ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد واعتكف بالمقدس مدة طويلة ثم رجع الى طوس حيث مات .
2) أناف : من ناف ينوف نوفا الشيء : ارتفع وناف واناف على الشيء اشرف ـ اناف السن على الخمسين اشرف وناهز .
3) اقتحم الامر : رمى نفسه فيه بشدة ومشقة .
4) تهجم على الشيء : تكلف الهجوم عليه .
5) المباطني والباطني : والباطنية هم الذين يعتبرون ان في القرآن معاني خافية يوصل اليها بالتأويل ومن الباطنية الشيعة والصوفية.
6) الظاهري : هو الذي يكتفي بظاهر معاني القرآن .
7) المتكلمون هم الذين يبحثون في العقائد بالادلة العقلية ، ويردون على المخالفين بعلم الكلام وهو في طرق استدلاله على اصول الدين اشبه بالمنطق في تبيينه مسالك الحجة في الفلسفة .

إِلَيْهِ خَاصِلُ عِبَادَتِهِ ، وَلاَ زِنْدِيقاً مُعَطِّلاً (8) إِلاَّ وَأَتَجَسَّسُ وَرَاءَهُ لِلتَنَبُّهِ لِأَسْبَابِ جُرْأَتِهِ فِي تَعْطِيلِهِ وَزَنْدَقَتِهِ . وَقَدْ كَانَ التَعَطُّشُ إِلَى إِدْرَاكِ حَقَائِقِ الأُمُورِ دَأْبِي وَدِيدَنِي، مِنْ أَوَّلِ أَمْرِي وَرَيْعَانَ عُمْرِي، غَرِيزَةً (9) وَفِطْرَةً (9) مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَهَا فِي جِبِلَّتِي (9)، لاَ بِاخْتِيَارِي وَحِيلَتِي، حَتَّى انْحَلَّتْ عَنِّي رَابِطَةُ التَقْلِيدِ وَانْحَسَرَتْ عَنِّي العَقَائِدِ المَوْرُوثَةُ ، عَلَى قُرْبِ عَهْدٍ بِسِنِّ الصِبَا .

من كتاب «الاخلاق عند الغزالى» لزكى مبارك



8) الزندقة: الكفر باطنا مع التظاهر بالايمان، والمبطل هو الذى يرى ان القيام بالواجبات الدينية ليس واجبا فيبطلها على نفسه .

9) الغريزة والفطرة والجبلة : لها تقريبا معنى واحد، يقال جبل فلان على الخير وطبع عليه وهو فيه غريزة اى لا يتكلفه لانه من طبيعته .

104) طالب أندلسي عند الجاحظ

حَدَّثَ أَبُو مُحَمَّد الحَسَن بنُ عَمْرو النَّجَيْرَمِيّ (1) قَالَ : كُنْتُ بِالأَنْدَلُس، فَقِيلَ لِي أَنَّ هَهُنَا تِلْمِيذاً لأَبِي عُثْمَانَ الجَاحِظ (2) يُعْرَفُ بِسَلاَّم بنُ يَزِيدَ ، وَيُكَنَّى أَبَا خَلَف . فَأَتَيْتُهُ فَرَأَيْتُ شَيْخاً هِمّاً (3)، فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ اجْتِمَاعِهِ بِأَبِي عُثْمَانَ، وَلَمْ يَقَــعْ أَبُو عُثْمَانَ بِالأَنْدَلُس . فَقَالَ : كَانَ طَالِبُ العِلْمِ بِالمَشْرِقِ يُشْتَرَفُ عِنْدَ مُلُوكِنَا بِلِقَاءِ أَبِي عُثْمَانَ ، فَوَقَعَ إِلَيْنَا كِتَابُ «التَّرْبِيع وَالتَّدْوِير» لَهُ ، فَأَشَارُوا إِلَيْهِ . ثُمَّ أَرْدَفَهُ عِنْدَنَا كِتَابُ «البَيَانِ وَالتَّبْيِين» لَهُ ، فَبَلَغَ الرَّجُل الصَّكَاكَ (4) بِهَذَيْنِ الكِتَابَيْنِ . فَقَالَ : فَخَرَجْتُ لَا أُعَرِّجُ عَلَى شَيءٍ ، حَتَّى قَصَدْتُ بَغْدَادَ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هُوَ بِسُرَّ مَنْ رَأَى فَأَصْعَدْتُ إِلَيْهَا ، فَقِيلَ لِي قَدْ انْحَدَرَ إِلَى البَصْرَةِ . فَانْحَدَرْتُ إِلَيْهِ ، وَسَأَلْتُ عَنْ مَنْزِلِهِ ، فَأُرْشِدتُ وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحَوَالَيْهِ عِشْرُونَ صَبِياً لَيْسَ فِيهِمْ ذُو لِحْيَةٍ غَيْرَهُ. فَدَهِشْتُ، فَقُلْتُ : أَيُّكُمْ أَبُو عُثْمَانَ ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ ، وَحَرَّكَهَا فِي وَجْهِي وَقَالَ : مِنْ أَيْنَ ؟ قُلْتُ : مِنَ الأَنْدَلُس . فَقَالَ : طِينَــةٌ حَمْقَاءُ ! فَمَا الإِسْمُ ؟ قُلْتُ : سَلاَّمٌ ، قَالَ : اسْمُ كَلْبِ القَرَّادِ ! ابنُ مَنْ ؟

---

1) الجاحظ : انظر ترجمته فى آخر الكتاب .

2) النجيرمى : نسبة الى نجيرم وهى قرية من قرى البصرة ـ ولم نعثر على ترجمة هذا الراوى .

3) شيخا هما : الشيخ الفانى الطاعن فى السن .

4) الصكاك والسكاك : الهواء كناية عن علو قدره ورفعة شأنه .

قُلْتُ : ابنُ يزيدٍ ؟ فَقَالَ : بِحَقٍّ مَا صِرْتَ (5) أبُومَنْ ؟ قُلْتُ : أبُو خَلَف. قَالَ : كُنْيَةُ قِرْدِ زُبَيْدَةَ . مَا جِئْتَ تَطْلُبُ ؟ قُلْتُ العِلْمَ . قَالَ : ارْجِعْ بِوَقْتٍ، فَإِنَّكَ لاَ تُفْلِحُ . قُلْتُ إِنَّكَ مَا أَنْصَفْتَنِي . فَقَدْ اشْتَمَلْتُ عَلَى خِصَالٌ أَرْبَع : جَفَاء البَلَدِيَّة ، وَبُعْدَ الشقَّةِ ، وَغِرَّةُ الحَدَاثَةِ ، وَدَهْشَةُ الدَّاخِلِ . قَالَ : فَتَرَى حَوْلِي عِشْرِينَ صَبِياً لَيْسَ فِيهِمْ ذو لِحْيَةٍ غَيْرِي ، مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ تعرفني بِهَا !؟ قَالَ : فَأَقَمْتُ مَعَهُ عِشْرِينَ سَنَةً .

معجم الادباء



---

5) بحق ما صرت : اى استحققت ان تصير ابن يزيد ! وفى هذا الكلام تهكم بل نوع من الشماتة لان يزيد ، (اى يزيد بن معاوية) ، فيما اظن، كان يعتبر من «المغضوب عليهم» .

105) الثقافة الكاملة

كا نَالخَلِيفَة عَبْدَ المؤمِنِ (1) بَارّاً بِمَنْ انْضَوَى إِلَيْهِ ، عَارِفاً بِأَقْدَارِ النَّاسِ ، مُكْرِماً لِأَعْيَانِهِمْ وَأَهْلِ البُيُوتَاتِ مِنْهُمْ ، عَالِماً بِمَقَادِيرِ العُلَمَاءِ ، يُنْزِلُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَرُتَبِهِمْ . وَقَدْ رَبَّى الحُفَّاظَ بِحِفْظِ كِتَابِ الموَطَّأ (2) وَغَيْرِهِ مِنْ تَوَالِيفِ المهْدِي (3) وَكَانَ يدخلُهم كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، بَعْدَ الصَّلَاةِ دَاخِلَ القَصْرِ ، وَهُمْ نَحْوَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، كَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ لَيْلَةٍ ، مِنَ المصَامِدَةِ وَغَيْرِهِمْ، قَصدَ بِهِمْ سُرْعَةَ الحِفْظِ ، وَالتَّرْبِيةِ عَلَى مَا يُرِيدُ . فَيأْخذهُمْ يَوْماً بِتَعْلِيمِ الركُوبِ ، وَيَوْماً بِالرَّمْي بِالْقَوْسِ ، وَيَوْماً بِالْعَوم فِي بُحَيْرَةٍ صَنَعَهَا خَارِجَ بُسْتَانِهِ ، مُرَبعَةً طُولُ تَرْبِيعِهَا ثَلَاثمائة بَاعٍ ، وَيَوْماً يَأْخُذهُمْ بِأَنْ يُجَدِّفُوا فِي قَوَارِبَ وَزَوَارِقَ صَنَعَهَا لَهُمْ فِي تِلْكَ البُحَيْرَة . فَتَأَدَّبُوا بِهَذِهِ الآدَابِ ، تَارَةً بالعَطَاءِ ، وَتَارَةً بِالأَدَبِ (4). وَكَانَتْ نَفَقَتهمْ وَسَائِرَ مؤُونَتِهِمْ مِنْ عِنْدِهِ، وَخَيْلُهُمْ وَعُدَدُهُمْ كَذَلِكَ. وَلَمَّا كَمُلَ هَذَا المرَادُ فِيهِمْ، عَزَلَ بِهِمْ أَشْيَاخَ المصَامِدَةِ عَنْ وِلَايَةِ الأَعْمَالِ وَالرِّئَاسَةِ، وَقَالَ العُلَمَاءُ أَوْلَى مِنْكُمْ، فَسَلَّمُوا لَهُمْ الأَمْرَ، وَأَبقَاهُمْ مَعَهُمْ فِي المشُورَةِ. وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ لَهُ حِينَ ذَلِكَ ثَلَاثَة عَشَرَ مِنْ أَوْلَادِهِ

---

1) عبد المومن : تقدمت ترجمته قطعة رقم 73 .

2) الموطأ : كتاب فقه الفه الامام مالك .

3) المهدى : هو ابو عبد الله محمد بن تومرت امام الموحدين وكان ينتسب الى سيدنا على بن ابى طالب ، كان ورعا متقشفا مقبلا على العبادة شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع . توفى سنة 524 هـ. 1131 م. بعد ان احكم التدبير فى تأسيس الدولة

4) وتارة بالادب : اى بالتأديب والترهيب،حسب ما يظهر .

كُلُّهُمْ حُفَّاظٌ خَطَّاطُونَ ، قَدْ كَمُلَتْ فِيهِمْ الصفات التِي رَبَّاهُمْ عَلَيْهَا وَتَخَصَّلُوا بِالخِصَالِ الحَمِيدَةِ . فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَشْيَاخ المُوَحِّدِينَ بِتَقْدِيمِهِمْ ، وَقَالُوا لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَبْنَاؤُكَ أَوْلَى بِالتَّقْدِيم . فَأَظْهَرَ الامْتِنَاعَ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى وَلَّاهُمْ الأَعْمَال ، وَجَعَل كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى إِقْلِيمٍ ، وَقَدَّمَ أَبْنَاءَ المَشْيَخَةِ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ .

الحلل الموشية ص I25



106) غرفة طالب

قَالَ أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بنُ جَرِير الطَّبَرِي (1): لَمَّا وَرَدْتُ مِصْرَ ، فِي سَنَةَ 256. نَزَلْتُ عَلَى الربيع بن سُلَيْمَان؛ فَأَمَرَ مَنْ يَأْخُذُ لِي دَاراً قَرِيبَةً مِنْهُ، وَجَاءَنِي أَصْحَابُهُ فَقَالُوا : «تَحْتَاجُ إِلَى قَصْرِيَّةٍ ، وَزِيرٍ ، وَحِمَارَيْن ، وَسُدَّة». فَقُلْتَ : «أَمَّا القَصْرِيَّةَ (2) فَأَنَا لَا وَلَدَ لِي ، وَمَا حَلَلْتُ سَرَاوِيلِي عَلَى حَرَامٍ وَلَا حَلَالٍ قَطّ . وَأَمَّا الزِّيرُ فَمِنَ المَلَاهِي ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِي ، وَأَمَّا الحِمَارَانِ ، فَإِنَّ أَبِي وَهبَ لِي بِضَاعَة أَسْتَعِينُ بِهَا فِي طَلَب العِلْمِ ، فَإِن صرفتهَا فِي ثَمَنِ حِمَارَيْنِ فَبِأَيِّ شَيءٍ أَطْلُبُ العِلْمَ ؟ قَالَ : فَتَبَسَّمُوا ، فَقُلْتَ: إِلَى كَمْ يَحْتَاجَ هَذَا ؟ فَقَالُوا : يَحْتَاجُ إِلَى دِرْهَمَيْن وَثُلُثَيْنِ . فَأَخَذُوا ذَلِكَ مِنِّي وَعلِمْتَ أَنَّهَا أَشْيَاءُ مُتَفَقَة (3) وَجَاؤُونِي : بِأَجَّانَةٍ ، وَحُبٍّ لِلْمَاءِ (4) ، وَأَرْبَع خَشَبَات قَدْ شَدُّوا وَسَطَهَا بِشَرِيطٍ ، وَقَالُوا : الزِّيرُ لِلمَاءِ ، وَالقَصْرِيةُ لِلْخُبْزِ، وَالحِمَارَانِ وَالسُّدَةَ تَنَامُ عَلَيْهَا مِنَ البَرَاغِيثِ . فَنَفَعَنِي ذَلِكَ ، وَكَثُرَتْ البَرَاغِيثُ ، فَكُنْتُ إِذَا جِئْت ، نَزَعْتُ ثِيَابِي ، وَعَلَّقتهَا عَلَى حَبْلٍ قَدْ شَدَّدْتهُ، وَاتَّزَرْتُ ، وَصَعَدْتُ إِلَى السُّدَةِ خَوفاً مِنْهَا .

معجم الادباء ج 18 ص 55

---

1) محمد بن جرير الطبرى: هو صاحب كتاب التفسير و«تاريخ الامم والملوك» . كان مشهورا بسعة العلم وبالصبر على التأليف ـ مات سنة 310 هـ. (923 م.)

2) القصرية : ظنها اناء واسع يصلح للغسل ولهذا قال انه ليس فى حاجة اليها لكونه غير متزوج ويكفيه الدخول الى الحمام .

3) اشياء متفقة : اى اختلفت اسماؤها واتفقت مدلولاتها .

4) حب الماء : الجرة الكبيرة .

الباب الرابع

الفصل الثاني

الكتب والمكاتب

قَالَ تَعَالَى : « إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »

إِنَّهُ لَمِنَ اللَّغْوِ أَنْ نُؤَكِّدَ أَنَّ تِجَارَةَ الْكُتُبِ كَانَتْ تِجَارَةً نَافِقَةً فِي أَكْثَرِ الْعَوَاصِمِ الإِسْلَامِيةِ، تُقَامُ لَهَا أَسْوَاقٌ بِهَا وَرَّاقُونَ وَدَلَّالُونَ. وَكَانَ الأَكَابِرُ لَا يَبْخَلُونَ بِنَفِيسٍ لِلتَّحْصِيلِ عَلَى مُصَنَّفَاتِ مَشَاهِيرِ الأُدَبَاءِ، وَالإِطْلَاعِ عَلَى بَوَاكِرِ مَا تَجُودُ بِهِ قَرَائِحُهُمْ . وَقَلَّمَا كَانَ يَخْلُو مَسْجِدٌ وَلَا دَارُ خَلِيفَةٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ وَزِيرٍ أَوْ مُوسِرٍ مِنْ مَكْتَبَةٍ وَاسِعَةٍ، يَشْتَغِلُ بِهَا النَّسَّاخُونَ وَالمُسَفِّرُونَ وَالمُذَهِّبُونَ، وَيَخْتَلِفُ إِلَيْهَا الرَّاغِبُونَ وَيَجْتَمِعُ بِهَا المُتَنَاظِرُونَ، فَيَتَنَافَسُ الكُلُّ فِي تَجْوِيدِ خَطٍّ ، أَوْ تَزْيِينِ كُرَّاسَةٍ أَوْ تَحْقِيقِ مَسْأَلَةٍ أَوْ حَلِّ مُشْكِلَةٍ. رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً آمِين .

أهم المراجع في هذا الفصل

1) الحضارة الاسلامية لماز (ج. 1 فصل 12)
2) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج. 3 و4
3) تاريخ الآداب العربية له ج. 4 ص. 196 وما بعده

ويزاد عليهما الفهارس والمعاجم العديدة التى خصصت للتعريف بالكتب التى الفها العلماء فى فنون مختلفة. ولبيان المصنفات العربية الموجودة الآن بالخزانات الشرقية والغربية، العامة منها والخاصة .

107) يعطى الجوز من لا له أسنان

قَالَ الحَضْرَمِي (١) : أَقَمْتُ مَرَّةً بِقُرْطُبَةَ، وَلَازَمْتُ سُوقَ كُتُبِهَا مُدَّةً ، أَتَرَقَّبُ فِيهِ وُقُوعَ كِتَابٍ كَانَ لِي بِطَلَبِهِ اعْتِنَاءٌ ، إِلَى أَنْ وَقَعَ ، وَهُوَ بِخَطٍّ فَصِيحٍ، وَتَفْسِيرٍ مَلِيحٍ . فَفَرِحْتُ أَشَدَّ الفَرَحِ ، فَجَعَلْتُ أَزِيدُ فِي ثَمَنِهِ، فَيَرْجِعُ إِلَيَّ المُنَادِي بِالزِّيَادَةِ عَلَيَّ، إِلَى أَنْ بَلَغَ فَوْقَ حَدِّهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَاهَذَا أَرِنِي مَنْ يَزِيدُ فِي هَذَا الكِتَابِ حَتَّى بَلَغَهُ إِلَى مَا لَا يُسَاوِي . فَأَرَانِي شَخْصاً عَلَيْهِ لِبَاسُ رِئَاسَةٍ. فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ لَهُ : أَعَزَّ اللَّهُ سَيِّدَنَا الفَقِيهَ ، إِنْ كَانَ لَكَ غَرَضٌ فِي هَذَا الكِتَابِ تَرَكْتُهُ لَكَ، فَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الزِّيَادَةُ بَيْنَنَا فَوْقَ حَدِّهِ. فَقَالَ لِي : لَسْتُ بِفَقِيهٍ، وَلَا أَدْرِي مَا فِيهِ، وَلَكِنِّي أَقَمْتُ خِزَانَةَ كُتُبٍ، وَاحْتَفَلْتُ فِيهَا لِأَتَجَمَّلَ بِهَا بَيْنَ أَعْيَانِ البَلَدِ ، وَبَقِيَ فِيهَا مَوْضِعٌ يَسَعُ هَذَا الكِتَابَ . فَلَما رَأَيْتُهُ حَسَنَ الخَطِّ ، جَيِّدَ التَّجْلِيدِ ، اسْتَحْسَنْتُهُ ، وَلَمْ أُبَالِ بِمَا أَزِيدُ فِيهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنَ الرِّزْقِ، فَهُوَ كَثِيرٌ . قَالَ الحَضْرَمِيُّ: فَأَحْرَجَنِي، وَحَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ لَهُ: «نَعَمْ لَا يَكُونُ الرِّزْقُ كَثِيراً إِلَّا عِنْدَ أَمْثَالِكَ ! يُعْطَى الجَوْزَ مَنْ لَا لَهُ أَسْنَانٌ !» .

نفح الطيب

---

١) الحضرمي : نسبة الى حضر موت ولا ندرى من هذا الحضرمي، اللهم الا ان يكون محمد بن عبد الله الحضرمي مولى بنى امية وقد ذكره صاحب كتاب «نفح الطيب» فى باب «فضائل اهل الاندلس»

108) خزانة أبي يعقوب يوسف

قالَ عَبْدَ الوَاحِدِ المرَاكُشِي، صَاحِبُ كِتَاب المعْجَب: كَانَ أَبُو يَعْقُوب (1) أَحْسَنَ النَّاسِ أَلْفَاظاً بِالقُرْآنِ، وَأَسْرعِهِمْ نُفُوذُ خَاطِرٍ فِى مَسَائِلِ النَّحْوِ، وَأَحْفظهم لِلّغَةِ العَرَبِيةِ . ثُمَّ تَخَطىَّ ذَلِكَ إِلَى مَا هُوَ أَشْرَف : فَجَمَعَ كُتُب الفَلْسَفَةِ، ، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنْهَا قَرِيبٌ مِمَّا اجْتَمَعَ لِلْحكَمِ (2) المسْتَنْصِرِ بِاللّهِ الأَمَوِى. أَخْبَرَنِى أَبُو عَبْد اللّهِ الشَدُونِيّ، أَحَد المتَحَقِّقِين بِعِلْمَى الطبِ وَأَحْكَامِ النجُومِ، قَالَ : كُنْتُ فِى شَبِيبَتِى أَسْتَعِيرُ كُتُبَ هَذِهِ الصِنَاعَةِ ، يَعْنِى صِنَاعَةَ الأَحْكَامِ ، مِنْ رَجُلٍ كَانَ عِنْدَنَا بِإِشْبِيلِيَّةَ اسْمُهُ يُوسُف ، يُكَنّى أَبَا الحَجَّاجِ، وَيُعْرَفُ بِالمرَانِى بِتَخْفِيف الرَّاءِ . كَانَتْ عِنْدَهُ مِنْهَا جُمْلَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَقَعَتْ إِلَى أَبِيهِ أَيَّامَ الفِتْنَةِ بِالأَنْدَلُسِ. فَكَانَ يُعِيرُنِى ايَّاهَا فِى غَرَائِرٍ، أَحْمِلُ غَرَارَةً وأَجِىءُ بِغَرَارَةٍ مِنْ كَثْرَتِهَا عِنْدهُ. فَأَخْبَرَنِى فِى بَعْضِ الأَيَّامِ أَنَّهُ عَدِمَ تِلْكَ الكتُبَ بِجُمْلَتِهَا، فَسَأَلتهُ عَنِ السَّبَبِ الموُجِبِ لِذَلِكَ . فَأَسَرَّ إِلَيَّ : «ان خَبَرَهَا أُنْهِى إِلَى أَمِيرِ المؤْمِنِينَ. فَأَرْسَلَ إِلَى دَارِى، وَأَنَا فِى الدِّيوَانِ لاَ عِلْمَ لِى بِذَلِكَ . وَكَانَ الذِى أَرْسَلَ كَافُوراً الخِصِى مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ العَبِيدِ الخَاصَّةِ، وَأَمَرَهُ أَلاَّ يُرَوِّعَ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الدَّارِ، وَألاّ يَأْخُذَ سِوَى الكُتُبِ، وَتَوَعَّدَهُ وَالذِينَ مَعَهُ أَشَدَّ الوَعِيدِ إِنْ نَقَصَ أَهْلَ البَيْتِ إِبْرَةً، فَمَا فَوْقَهَا . فَأُخْبِرْتُ بِذَلِكَ، وَأَنَا بِالدِّيوَانِ،

---

1) ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن على ولى الخلافة بعد ابيه سنة 558 هـ. ومات بالجزيرة الخضراء بالاندلس ودفن بتنمل سنة 580 هـ. 1184 م.

2) الحكم هو ابن عبد الرحمن الناصر، ولى بعد ابيه وكان مسالما مولعا بالادب، وكانت له خزانة كتب يضرب بها المثل مات بقرطبة سنة 976 م. وكانت مدة خلافته ستة عشر عاما .

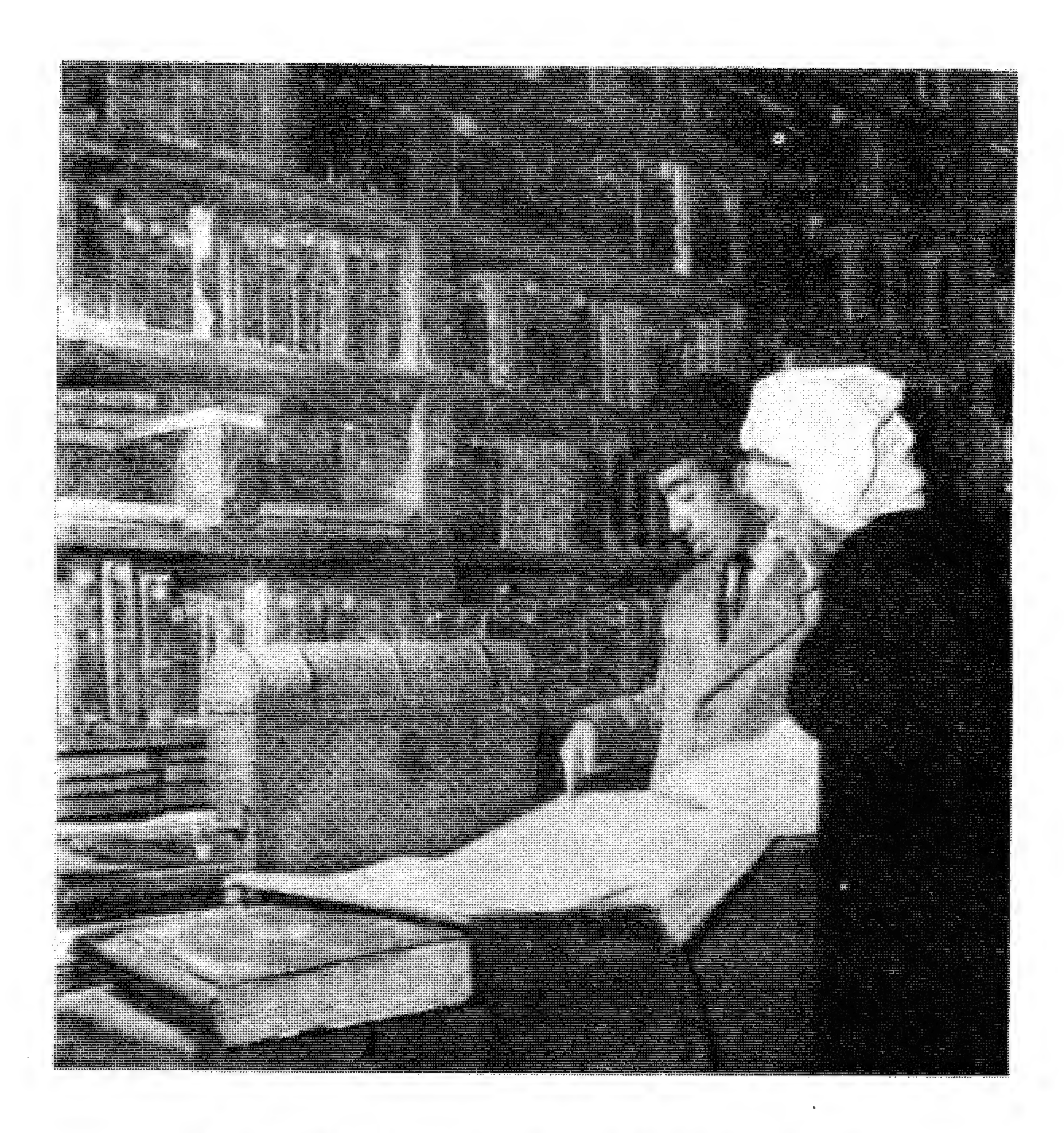
فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ اسْتِصْفَاءَ (3) أَمْوَالِي، فَرَكِبْتُ وَمَا مَعِي عَقْلِي ، حَتَّى أَتَيْتُ مَنْزِلِي فَإِذَا الخِصِيُّ كافور الحَاجب وَاقِفٌ عَلَى البَابِ، وَالكُتُبُ تُخْرَجُ إِلَيْه. فَلَمَّا رَآنِي وَتَبَيَّنَ ذُعْرِي، قَالَ لِي: لَا بَأسَ عَلَيْكَ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّ أَمِيرَ المؤمِنِينَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، وَأَنَّهُ ذَكَرَنِي بِخَيْرٍ، وَلَمْ يَزَلْ يَبَسِّطُنِي حَتَّى زَالَ مَا فِي نَفسِي ، ثُمَّ قَالَ لِي: سَلْ أَهْلَ بَيْتِكَ هَلْ رَاعَهُمْ أَحَدٌ ، أَوْ نَقَصَهُمْ شَيْئاً مِنْ مَتَاعِهِمْ . فَسَأَلْتُهُمْ فَقَالُوا لِي: لَمْ يَرُعْنَا أَحَدٌ وَلَمْ يَنْقُصنَا شَيْئاً، جَاءَ أَبُو المِسْكِ (4) حَتَّى اسْتَأْذَنَ عَلَيْنَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَخْلَيْنَا لَهُ الطَّرِيقَ، وَدَخَلَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى خِزَانَةِ الكُتُبِ، فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا . فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا القَوْلَ مِنْهُمْ زَالَ مَا كَانَ فِي نَفْسِي مِنَ الرَّوْعِ ..» . وَوَلَّوهُ، بَعْدَ أَخْذِهِمْ لِهَذِهِ الكُتُبِ مِنْهُ وِلَايَةً ضَخْمَةً، مَا كَانَ يُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهُ .

المعجب

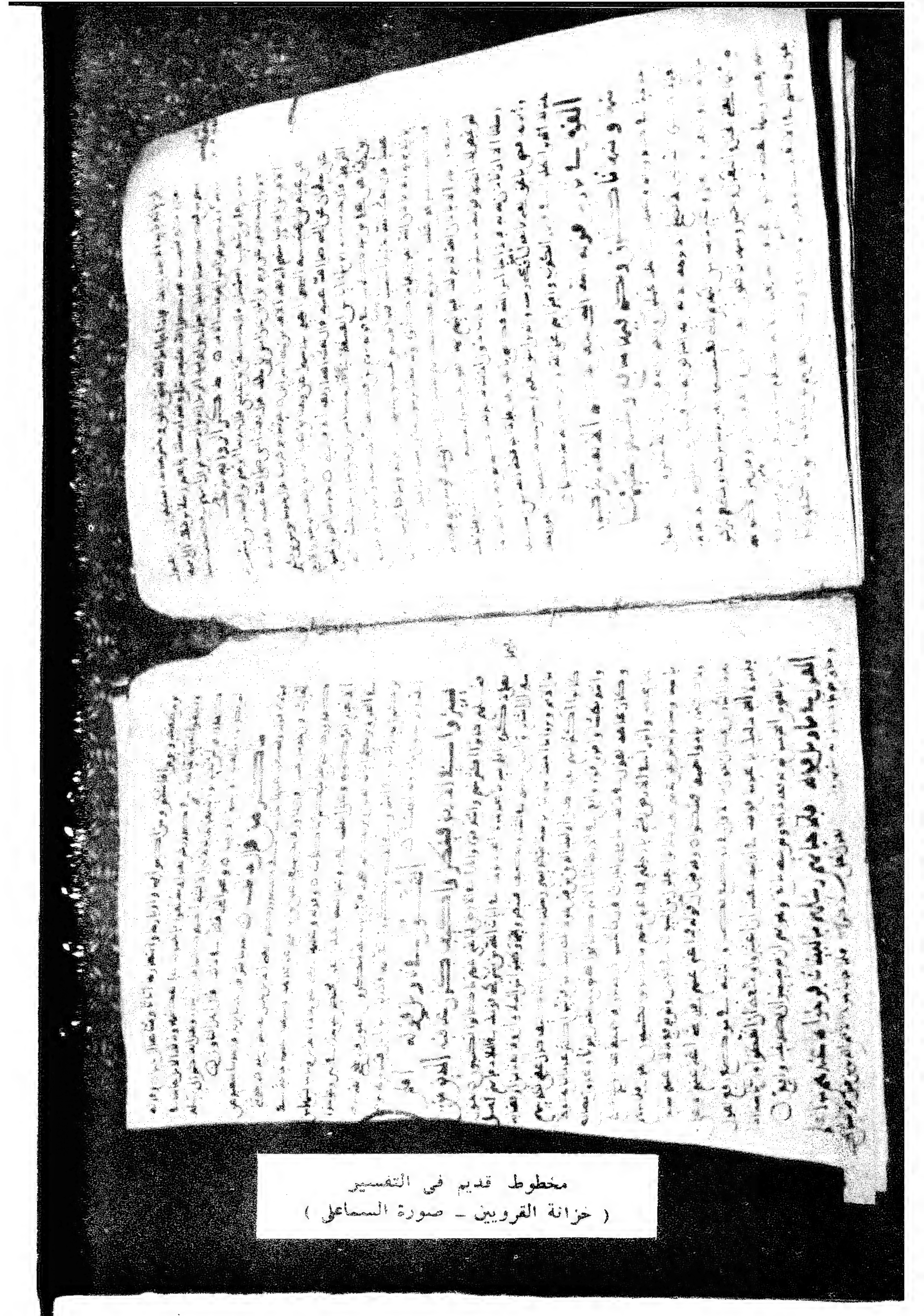
---

3) استصفى امواله : اخذها كلها عقابا له .

4) ابو المسك : لقب بهذا اللقب لانه كان اسود ـ وقد لقب به كذلك كافور صاحب مصر الذى قصده المتنبى فمدحه ثم هجاه .



جانب من خزانة القرويين حيث تحفظ المؤلفات الثمينة



مخطوط قديم في التفسير
(خزانة القرويين - صورة السماعلي)

109) مصحف بخط ابن مقلة

حَدَّثَ أَبُو الحَسَن عَلِيّ بن هِلاَلٍ، المَعْرُوف بِابنِ البَوّابِ (1) الكَاتِب، قَالَ : كُنْتُ أَتَصَرَّفُ فِى خِزَانَةِ الكُتُبِ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ بن عَضُدِ الدَّوْلَةِ (2) بِشِيرَاز عَلَى اخْتِيَارِى، وَأُرَاعِيهَا لَهُ، وَأَمْرُهَا مَرْدُودٌ إِلَىّ. فَرَأَيْتُ يَوْماً فِى جُمْلَةِ أَجْزَاءٍ مَنْبُوذَةٍ، جُزْءاً مُجَلَّداً بِأَسْوَدَ، قَدْرَ السُّكَّرِى فَفَتَحْتهُ وَإِذَا هُوَ جُزْءٌ مِن ثَلاَثِينَ جُزْءاً مِنَ القُرْآنِ بِخَطِّ أَبِى عَلِيّ بن مُقْلَةَ (3). فَأَعْجَبَنِى وَأَفْرَدتُهُ . فَلَمْ أَزَلْ أَظْفَرُ بِجُزْءٍ بَعْدَ جُزْءٍ مُخْتَلِطٍ فِى جُمْلَةِ الكُتُبِ، إِلَى أَنْ اجْتَمَعَ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ جُزْءاً ، وَبَقِى جُزْءٌ وَاحِدٌ اسْتَغْرَقَتْ تَفْتِيشُ الخِزَانَةِ عَلَيْهِ مُدَّةً طَوِيلَةً، فَلَمْ أَظْفَرْ بِهِ . فَعَلِمْتُ أَنَّ المُصْحَفَ نَاقِصٌ. فَأَفْرَدْتُهُ، وَدَخَلْتُ إِلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ، وَقُلْتُ : يَامَوْلاَنَا هَا هُنَا رَجُلٌ يَسْأَلُ حَاجَةً قَرِيبَةً لاَ كُلْفَةَ فِيهَا، وَهِىَ مُخَاطَبَةُ أَبِى عَلِىّ المُوَفَّقِ الوَزِير، عَلَى مَعُونَتِهِ فِى مُنَازَعَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمٍ لَهُ ، وَمَعَهُ هَدِيَةٌ ظَرِيفَةٌ تَصْلُحُ لِمَوْلاَنَا . قَالَ : أَىّ شَىْءٍ هِىَ ؟ قُلْتُ: مُصْحَفٌ بِخَطِّ أَبِى عَلِيّ بنِ مُقْلَةَ . قَالَ: هَاتِهِ وَأَنَا أَتَقَدَّمُ بِمَا يُرِيدُ . فَأَحْضَرْتُ الأَجْزَاءَ، فَأَخَذَ مِنْهَا وَاحِداً وَقَالَ : اذكُر أَنَّهُ كَانَ فِى الخِزَانَةِ مَا يُشْبِهُ هَذَا، وَقَدْ ذَهَبَ عَنِّى . قُلْتُ : هَذَا مُصْحَفُكَ ، وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ القِصَّةَ . وَقُلْتُ: هَكَذَا

---

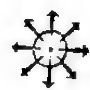
1) ابن البواب هو صاحب الخط المليح والاذهاب الفائق . كان فى اول امره مزوقا يصور الدور، ثم صور الكتب ثم اعتنى بالكتابة . مات سنة 413 هـ. فى خلافة القادر بالله .

2) عضد الدولة تقدمت ترجمته قطعة 18 .

3) ابو على محمد بن مقلة (272 ـ 328 هـ. 886 ـ 941م.) ولد ببغداد استوزره الامام المقتدر بالله (929م.) ، وهو صاحب الخط الحسن المشهور .

يطرح مُصحفٌ بخطّ أبي عليّ؟ فقال لي: فتمّمه لي. قلت: السّمعُ والطّاعةُ، ولكن على شريطةٍ أنّك إذا أبصرت الجزءَ النّاقصَ منها ولا تعرفه، أن تعطيني خِلعةً ومائة دينارٍ. قال: أفعل. فأخذتُ المصحف من بين يديه، وانصرفت إلى داري، ودخلتُ الخزانةَ، أقلّبُ الكاغدَ العتيقَ وما يُشابهُ كاغدَ المُصحفِ، وكان فيها من أنواع الكاغدِ السّمرقنديّ والصّيني والعتيق كُلّ ظريفٍ عجيبٍ، فأخذتُ من الكاغدِ ما وافقني، وكتبتُ الجزءَ، وذهّبتهُ، وعتّقتُ ذهبهُ، وقلعتُ جلداً من جزءٍ من الأجزاءِ فجلدتهُ به، وجلّدتُ الذي قلعتُ منهُ الجلد، وعتّقتهُ. ونسيَ بهاءُ الدّولةِ المصحفَ، ومضى على ذلكَ نحوُ السّنةِ، فلمّا كانَ ذاتَ يومٍ، جرى ذكرُ أبي عليّ بن مُقلةَ، فقال لي: ما كتبتَ ذلكَ؟ قلتُ: بلى. قال: فأعطنيهِ. فأحضرتُ المصحفَ كاملاً، فلم يزلْ يقلّبهُ جزءاً جزءاً، وهو لا يقفُ على الجزءِ الذي بخطّي، ثمّ قال لي: أيّما هوَ الجزءُ الذي بخطّكَ؟ قلتُ لا تعرفهُ فيصغرَ في عينكَ. هذا مُصحفٌ كاملٌ بخطّ أبي عليّ بنِ مُقلةَ، ونكتمُ سرّنا؟ قال: أفعلُ، وتركهُ في رَبعةٍ عندَ رأسِه ولم يُعِدْهُ إلى الخزانةِ. وأقمتُ مُطالباً بالخلعةِ والدّنانيرِ، وهو يمطلُني ويعدُني، فلمّا كان يوماً قلتُ: يامولانا في الخزانةِ بياضٌ (4) صينيٌّ، وعتيقٌ مقطوعٌ وصحيحٌ، فتعطيني المقطوعَ منهُ كُلّهُ دونَ الصّحيحِ بالخلعةِ والدّنانيرِ. قال: مُرّ وخذْهُ. فمضيتُ وأخذتُ جميعَ ما كانَ فيها من ذلكَ النّوعِ، فكتبتُ فيهِ سنينَ.

معجم الادباء



4) بياض: هنا كاغد ابيض غير مكتوب.

110) رجل مولع بجمع الخطوط المنسوبة

قَالَ يَاقُوتْ : مَاتَ ابن البَرَقْطِيّ (1) وَخَلَّفَ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ قِطْعَةً بِخَطِّ ابنِ البَوَّابِ ، لَمْ تجتَمِعْ فِي زَمَانِنَا عِنْدَ كَاتِبٍ . وَكَانَ تغَالَى فِي شِرَائِهَا . وَلَقَدْ حَدَّثَنِي قَالَ : بَلَغَنِي عَنْ رَجُلٍ مُعَلِّمٍ فِي بَعْضِ مَحَالِّ بَغْدَاد ، أَنَّ عِنْدَهُ جُزَازاً كَثِيراً وَرِثَهُ عَنْ أَبِيهِ . فَخُيِّلَ لِي أَنهُ لَا يَخْلُو مِنْ شَيْءٍ مِنَ الخُطُوطِ المنْسُوبَةِ. فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أحِبُّ أَنْ تُرِينِي مَا خَلَّفَ لَكَ وَالِدُكَ عَسَى أَنْ أَشْتَرِي مِنْهُ شَيْئاً . فَصَعِدَ بِي إِلَى غُرْفَةٍ ، وَجَلَسْتُ أُفَتِّشُ حَتَّى وَقَعَ بِيَدِي وَرَقَةٌ بِخَطِّ ابنِ البَوَّابِ فَضَمَمْتُ إِلَيْهَا شَيْئاً آخَرَ لَا حَاجَةَ بِي إِلَيْهِ . وَقُلْتُ لَهُ : بِكَمْ هَذَا؟ فَقَالَ لِي يَاسَيِدِي مَا صَلُحَ لَكَ فِي هَذَا كُلّه شَيء آخَرَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا السَّاعَةَ مُسْتَعجِلٌ وَلَعلِي أَعُودُ إِلَيكَ مَرَّةً أُخْرَى . فَقَالَ : هَذَا الذِي اخْتَرْتَهُ لَا قِيمَةَ لَهُ فَخُذْهُ هِبَةً مِنِّي . فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ وَأَعْطَيْتُهُ قِطعَةَ قُرَاضَةٍ (2) ، مِقْدَارُهَا نِصْفُ دَانِقٍ (3) . فَاسْتَكْثَرَهَا وَقَالَ . يَاسَيِدِي مَا أَخَذْتَ شَيئاً يُسَاوِي هَذَا المِقْدَارِ . فَخُذْ شيئاً آخَرَ . فَقُلْتُ : لَا حَاجَةَ لِي فِي شَيْءٍ آخَرَ ، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنْ غُرْفَتِهِ . فَاسْتَحْيَيتُ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذِهِ مُخَادَعَةٌ وَلَا شَكَّ أَنهُ بَاعَنِي مَا جَهِلَهُ ـ وَوَاللّهِ لَا جَعَلْتُ خَطَّ ابنَ البَوَّابِ أَنْ يُشْتَرَى بِالمخَادَعَةِ ! فَعُدْتُ إِلَيهِ وَقُلْتُ لَهُ ، يَاأَخِي هَذِهِ الوَرَقَةُ بِخَطِّ ابنِ البَوَّابِ . فَقَالَ : وَإِذَا كَانَتْ

---

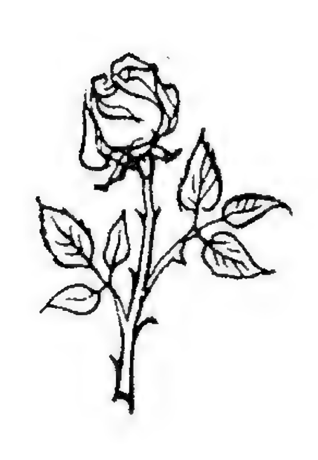
1) البرقطى : كان كاتبا جيد الخط ومحررا بالبلاط العباسى مات سنة 625 هـ. وانظر ترجمة ابن البواب فى القطعة السابقة .

2) القراض : ما سقط بالقرض كقراضة الذهب او الثوب .

3) الدانق : سدس الدرهم .

بخط ابنِ البَوّابِ أَيّ شيءٍ أَصْنَعُ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : قِيمتُها ثلاثة دَنانير إِمامِيَّةً ! فَقَالَ : يَاسَيِدِى لاَ تَسْخَرْ بِى وَلَعَلَّكَ قَدْ عَزَمْتَ عَلَى رَدِّهَـا ، فَخُذْهَا وَحُطَّ الذَّهَبَ . فَقُلْتُ : بَلْ أَحْضِرْ مِيزَاناً لِلذَّهَبِ . فَأَحْضَرَهُ فَوَزَنْتُ لَهُ ثلاثة دَنانِيرَ. وَقُلْتُ لَهُ : بِعْتَنِى هَذا بِهَذا ؟ قَالَ : بِعْتُكَ . فَأَخَذْتُهَا وَانْصَرَفْتُ .

معجم الادباء ج 17 ص 280



111) يسأل عن كتاب في موسم عرفات

قَالَ أَبُو حَيَّان : حَدَّثَنا عَلِي بن عِيسَى النَّحْوِى الشَّيْخُ الصَّالِحُ قَالَ : سَمِعْتُ ابنُ الأَخْشَاد شَيْخَنا أَبَا بَكْرٍ يَقُولُ : ذَكَرَ أَبُو عُثْمَانَ (1)، فِى أَوَّلِ كِتَابِ الحَيَوَانِ، أَسْمَاءَ كُتُبِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ كَالفِهْرِسِت، وَمَرَّ بِى فِى جُمْلَتِهَا «الفَرْقُ بَيْنَ النَّبِى وَالمتَنَبِّى» وَكِتَابُ «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»، وَقَدْ ذَكَرَهُمَا هَكَذَا عَلَى التَّفْرِقَةِ ، وَأَعَادَ ذِكْرَ «الفَرْقِ» فِى الجُزْءِ الرَّابِعِ، لِشَيْءٍ دَعَاهُ إِلَيه . فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَى الكِتَابَيْنِ وَلَمْ أَقْدِرْ إِلاَّ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَهُوَ كِتَابُ «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ»، وَرُبَّمَا لقب بِالفرق خَطَأً، فَهَمَّنِى ذَلِكَ وَسَاءَنِى فِى سُوءِ ظَفَرِى بِهِ. فَلَمَّا شَخصتُ مِنْ مِصْرَ ، وَدَخَلْتُ مَكَّةَ ـ حَرَسَهَا اللّهُ تَعَالَى ـ حَاجاً، أَقَمتُ مُنَادِياً بِعَرَفَاتٍ يُنَادِي ـ وَالنَّاسُ حُضُورٌ مِنَ الآفَاقِ، عَلَى اخْتِلَافِ بُلْدَانِهِمْ، وَتَنَازُحِ أَوْطَانِهِمْ ، وَتَبَايُنِ قَبَائِلِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ، مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَمِنْ مَهَبِّ الشَّمَالِ ، إِلَى مَهَبِّ الجَنُوبِ ، وَهُوَ المَنْظَرُ الذِى لَا يُشَابِهُهُ مَنْظَرٌ ـ: «رَحِمَ اللّهُ مَنْ دَلَّنَا عَلَى كِتَابِ «الفَرْقَ بَيْنَ النَّبِى وَالمتَنَبِّى» لأَبِى عُثْمَانَ الجَاحِظ عَلَى أَىِّ وَجْهٍ كَانَ» . قَالَ : فَطَافَ المُنَادِى فِى تَرَابِيعِ عَرَفَات، وَعَادَ بِالخَيْبَةِ، وَقَالَ : حَجَبَ النَّاسَ مِنّى (2) وَلَمْ يَعْرِفُوا هَذَا الكِتَابَ، وَلاَ اعْتَرَفُوا بِهِ». قَالَ ابنُ الأَخْشَاد : «وَإِنَّمَا أَرَدْتُ بِهَذَا أَن أُبَلِّغَ نَفْسِى عُذْرَهَا» .

معجم الادباء ج 16 ص 101

---

1) ابو عثمان هو الجاحظ انظر ترجمته فى آخر الكتاب .

2) منى : هو المكان الذى يقصده الحجاج بعد الوقوف بعرفات للمبيت فيه وليذبحوا به الضحايا يوم العيد .

البـــاب الرابـــع

الفصل الثالث

المناظرات ومجالس الاداب

قَالَ تعَالى : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ »

لَمْ يَكُنْ لِلمُسْلِمِينَ مَجَامِعَ لُغَوِيةَ أَوْ عِلمِيَّةَ رَسْمِيةَ، وَلَكِنْ كَانَ الأَكَابِر يَنظمُونَ المجَالِسَ لِلمُنَاظَرَاتِ ، وَيُشَجِّعُونَ عَلَى المجَادَلَةِ النَّافِعَةِ بَيْنَ حَمَلَةِ العِلْمِ وَقَادَةِ الفِكْرِ ، سَعْياً وَرَاءَ الحَقِيقَةِ وَزَجْراً لِلمدَّعِينَ . وَمَا كَانَ الأُدَبَاء وَلاَ العُلَمَاء لِيَخَافُوا لَوْمَةَ لاَئِمٍ عِنْدَ الدِّفَاعِ عَنْ مَذْهَبٍ أَو التَّأْيِيدِ لِفِكْرَةٍ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْلعُوا، فِي غَالِبِ الأَحْيَانِ، شِعَارَ الهُدُوءِ وَالبَشَاشَةِ .

هَذَا وَقَدْ اخْتَرْنَا قِطعاً قَصِيرَةً وَإِلاَّ فَإِنَّ المنَاظَرَات كَثِيراً مَا كَانَتْ تَسْتَغرِقُ عِدَّةَ لَيَالٍ وَيَنْتَقِلُ فِيهَا مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ مِثلَ مَا كَانَ يَقَعُ بَيْنَ يَدى المأْمُونِ، وَمَا وَقَعَ بَينَ أَبِى بَكْرِ الخَوَارِزْمِي وَبَدِيعِ الزَمَانِ الهَمْذَانِى .

بعض المراجع

1) ضحى الاسلام لاحمد أمين (ج. 2) .

2) النثر الفنى لزكى مبارك (ج. 1).

3) كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة ـ باب المناظرات

4) النبوغ المغربى ـ تاليف عبد الله كنون ج. 2 ص. 22

112) مناقشة أدبية في سوق عكاظ (*)

كَانَ النَّابِغَةَ الذُّبْيَانِى (1) حَكَماً ، يَحْتَكِمُ إِلَيْهِ الشُّعَرَاء فِى عُكَّاظٍ(2). فَكَانَ فِيمَنْ تَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الخَنْسَاءُ (3) وَحَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ (4). فَلَمَّا أَنْشَدَتْهُ قَصِيدَتَهَا التِى تَقُولَ فِيهَا : (بسيط)

وَإِنَّ صَخْراً لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَــا ... وَإِنَّ صَخْراً إِذَا نَشْتُو(5) لَنَحَّارُ
وَانَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهُــدَاةُ بِهِ ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِى رَأْسِهِ نَــارُ
حَمَّـــالُ أَلْوِيَةٍ هَبَّاطُ أَوْدِيَــةٍ ... شَهَّادُ أَنْدِيَــةٍ ، لِلْجَيْشِ جَرَّارُ

قَالَ لَهَا: لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِير (6) (الأَعْشَى الأَكْبَرِ) أَنْشَدَنِى قَبْلَكِ ، لَقُلْتُ إِنَّــكِ أَشْعَر أَهْــلِ الأَرْضِ . فَأَهَــاجَ ذَلِــكَ جَمْرَةَ الغَضَبِ فِى صَدْرِ حَسَّان ، وَقَالَ لِلنَّابِغَة : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ وَمِنْهَا وَمِنْ أَبِيكَ ! قَالَ النَّابِغَةَ :

---

*) لم تقع هذه المناقشة فى عهد الاسلام، ولكن اخترناها لطرافتها .

1) النابغة الذبياني : هو ابو امامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني. مات حوالى سنة 602 م.

2) عكاظ : سوق قرب الطائف كان يجتمع بها العرب ايام موسم الحج فيبيعون ويشترون ويتناشدون الاشعار .

3) الخنساء : الشاعرة المشهورة برثائها لاخيها صخر ـ ماتت فى اول خلافة عثمان .

4) حسان بن ثابت الانصارى ـ هو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم مات سنة 674 م.

5) نشتو : ندخل فى فصل الشتاء .

6) ابو بصير : او الاعشى الاكبر ـ كان من فحول الشعراء ، محبا للهو والخمر، يقصد الاشراف فيمدحهم . مات بعد ظهور الاسلام بقليل .

بماذا ؟ فقال : بقولي (طويل)

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

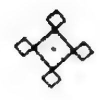
وَيَرْوُونَ أَنَّ النَّابِغَةَ قَالَ لِلْخَنْسَاءِ : خَاطِبِيهِ يَاخُنَاسُ . فَقَالَتْ لَهُ : أَضْعَفْتَ افْتِخَارَكَ، وأَنْزَرْتَهُ فِي ثَمَانِيةِ مَوَاضِعَ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَتْ لَهُ : قُلْتَ الجَفَنات، وَالجَفَنَاتُ مَا دُونَ العَشْرِ . وَقُلْتَ: الغُرّ ، وَلَوْ قُلْتَ البِيضَ لَكُنَّ أَكْثَرَ اتِّسَاعاً . وَقُلْتَ : يَلْمَعْنَ ، وَاللَّمعُ يَأْتِي شَيئاً بَعْدَ شَيءٍ ، وَلَوْ قُلْتَ يَشْرَقْنَ لَكُنَّ أَكْثَرَ، لأَنَّ الإِشْرَاقَ أَدْوَمُ مِنَ اللَّمَعَانِ . وَقُلْتَ : بالضُّحَى، وَلَوْ قُلْتَ بِالدُّجَى لَكَانَ أَكْثَرَ طُرَّاقاً . وَقُلْتَ : أَسْيَافنَا ، وَالأَسْيَافُ مَا دُونَ العَشَرَةِ . وَقُلْتَ : يَقْطُرْنَ ، وَلَوْ قُلْتَ يَسِلْنَ لَكَانَ أَكْثَرَ، وَقُلْتَ : مِنْ نَجْدَة، وَالنجدَاتُ أَكْثَرَ مِنْ نَجْدَة . وَقُلْتَ : دَماً وَالدِّمَاءُ أَكْثَرَ مِنَ الدمِ . فَلَمْ يَحِرْ حَسَّان جَوَاباً وَانْصَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ مُسْتَحِيياً .

عن شرح شواهد المغني

113) مناظرة في فائدة النحو

قَالَ الكِسَائِى (1) : اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَبُو يُوسُفَ (2) القَاضِى عِنْدَ هَارُون الرَّشِيد (3)، فَجَعَلَ أَبُو يُوسُفَ يَذُمّ النَّحْوَ ، وَيَقُولُ : «مَا النَّحْوُ ؟! فَقُلْتُ: وَأَرَدْتُ أَنْ أُعَلِّمَهُ فَضْلَ مَا يَذُمُّهُ ، مَا تَقُولُ يَا أَبَا يُوسُفَ فِى رَجُلٍ قَالَ لِآخَرَ: «أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ» ؟ وَقَالَ لَهُ آخَرُ : «أَنَا قَاتِلٌ غُلَامَكَ»، أَيُّهُمَا تَأْخُذُ بِهِ (4)؟ قَالَ : «آخُذُهُمَا جَمِيعاً» . فَقَالَ لَهُ هَارُون : «أَخْطَأْتَ» ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالنَّحْوِ. فَاسْتَحْيَا أَبُو يُوسُفَ وَقَالَ : كَيفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : الذى يُؤخَذُ بِقَتْلِ الغُلَامِ هُوَ الذِى قَالَ : «أَنَا قَاتِلُ غُلَامِكَ» بِالإِضَافَةِ ، لِأَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ، وَأَمَّا الذى قَالَ : «أَنَا قَاتِلٌ غُلَامَكَ» بِالنَّصْبِ، فَلا يُؤخَذُ، لأنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «وَ لَاتَقُولَنَّ لِشَىءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً» . فَلَوْلَا أَنَّ التَّنْوِينَ لِلْمُسْتَقْبَلِ مَا جَازَ فِيهِ (غَداً) . فَكَانَ أَبُو يُوسُفَ بَعْدَ ذَلِكَ يكثرُ فِى مَدْحِ النَّحْوِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى كُتُبِهِ حَتَّى أَجَادَ فَهْمَهُ .

معجم الادباء



---

1) الكسائى : تقدمت ترجمته قطعة 100 .

2) ابو يوسف : انظر قطعة 101 .

3) الرشيد : انظر قطعة 46 .

4) تاخذ به : اى تعاقبه على قتل الغلام .

114) الخارجي والمأمون

قَالَ يَحْيَى بنْ أَكْثَمْ (1): بَيْنَمَا المأْمُونْ (2) يَوْماً جَالِسٌ ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيّ بنُ صَالِحِ الحَاجِبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ رَجُلٌ وَاقِفٌ بِالبابِ . عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ غِلَاظٌ مُشَمَّرَةٌ ، وَيَطْلُبُ الدُّخُولَ لِلْمُنَاظَرَةِ . فَقَالَ المأمُونْ : ائذَنْ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيابٌ قَدْ شَمَّرَهَا ، وَنَعْلَهُ فِي يَدِهِ . فَوَقَفَ عَلَى طَرَفِ البِسَاطِ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . فَقَالَ المأمونُ : وَعَلَيْكَ السلامُ . فَقَالَ : أَتأْذَنُ فِي الدُّنُوِّ مِنْكَ ؟ قَالَ : ادْنُ . فَدَنَا . ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ فَجَلَسَ . ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ : أَتَأذن فِي كَلَامِكَ ؟ فَقَالَ : تَكَلَّمْ بِمَا تَعْلَمُ انَّ لِلَّهِ فِيهِ رِضَى . قَالَ : اخْبِرْنِي عَنْ هَذَا المجْلِسِ الذِي أَنْتَ قَدْ جَلَسْتَهُ. أَبِاجْتِمَاعٍ مِنَ المسْلِمِينَ عَلَيْكَ، وَرِضَى مِنْكَ، أَمْ بِالمغَالَبَةِ لَهُمْ ، بِالقُوَّةِ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانِكَ ؟ قَالَ : لَمْ أَجْلِسْهُ بِاجْتِمَاعٍ مِنْهُمْ وَلَا بِمُغَالَبَةٍ لَهُمْ ، إِنَّمَا كَانَ يَتَوَلَّى أَمْرَ المسْلِمِينَ سُلْطَانٌ قَبْلِي أَحْمَدَهُ المسْلِمُونَ ، أَمَا عَلَى رِضَى وَامَّا عَلَى كُرْهٍ، فَعقَدَ لِي وَلآخَرَ(3) مَعِي وَلَايَةَ هَذَا الأَمْرِ بَعْدَهُ، فِي أَعْنَاقِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ المسْلِمِينَ، وَأَخَذَ عَلَى مَنْ حَضَرَ بَيْتَ اللَّهِ الحَرَام مِنَ الحُجَّاجِ البَيْعَةَ لِي وَلآخَرَ مَعِي، فَاعطَوا ذَلِكَ امَّا طَائِعِينَ وَامَّا كَارِهِينَ، فَمَضَى الذِي عَقَدَ لَهُ مَعِي عَلَى السبِيلِ التِي مَضَى عَلَيهَا، فَلَمَّا صَارَ إِلَيَّ عَلِمْتُ أَنِّي أَحْتَاجُ إِلَى اجْتِمَاعِ كَلِمَةِ المسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا عَلَى الرضَى ، ثُمَّ

---

1) يحيى بن اكثم انظر قطعة 14 .
2) المامون : انظر نفس القطعة رقم 14 .
3) الآخر : يقصد بالآخر اخاه الامين .

نَظَرْتُ فَرَأَيتُ أَنِّي مَتَى تَخَلَّيْتُ عَنِ المُسْلِمِينَ ، اضْطَرَبَ حَبْلُ الإِسْلاَمِ ، وانتَقَضَتْ أَطْرَافُهُ ، وَغَلَبَ الهَرْجُ والفِتْنَةُ ، وَوَقَعَ التَّنَازُعُ ، فَتَعَطَّلَتْ أَحْكَامُ اللّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَمْ يَحُجَّ أَحَدٌ بَيْتَهُ ، وَلَمْ يُجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سُلْطَانٌ يَجْمَعُهُمْ وَيَسُوسُهُمْ، وَانقَطَعَتِ السُّبُلُ، وَلَمْ يُوخَذْ لِمَظْلُومٍ مِنْ ظَالِمٍ. فَقُمْتُ بِهَذَا الأَمْرِ حِيَاطَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، وَمُجَاهِداً لِعَدُوِّهِمْ، وَضَابِطاً لِسُبُلِهِمْ، وَآخِذاً عَلَى أَيْدِيهِمْ ، إِلَى أَنْ يَجْتَمِعَ المسلِمُونَ عَلَى رَجُلٍ تَتَّفِقُ كَلِمَتُهُمْ عَلَيْهِ عَلَى الرِّضَى بِهِ ، فَأُسَلِّمَ الأَمْرَ إِلَيْهِ ، وَأَكُونَ كَرَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ . وَأَنْتَ، أَيُّهَا الرَّجُلُ ، رَسُولِي إِلَى جَمَاعَةِ المُسْلِمِينَ . فَمَتَى اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَرَضُوا بِهِ، خَرَجْتَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الأَمْرِ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكُــمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ، وَقَامَ فَأَمَرَ المَأْمُونُ عَلِيَّ بنَ صَالِحٍ بِأَنْ يَنفُذَ فِي طَلَبِهِ مَنْ يَعْرِفُ مَقْصِدَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ـــ. ثُمَّ رَجَعَ المُرْسَلُ وَقَالَ : «وُجِّهْتُ، يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، إِلَى مَسْجِدٍ فِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً . فَقَالُوا لَهُ : لَقِيتَ الرَّجُلَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقَالُوا: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ : مَا قَالَ لِي إِلاَّ خَيْراً ، ذَكَرَ أَنَّهُ نَاظِرٌ فِي أُمُورِ المسلِمِينَ، إِلَى أَنْ تَأْمَنَ سُبُلُهُمْ، وَيَقُومَ بِالحَجِّ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللّهِ، وَيَأْخُذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، وَلاَ يُعطِّلَ الأَحْكَامَ فَإِذَا رَضِيَ المُسْلِمُونَ بِرَجُلٍ سَلَّمَ الأَمْرَ إِلَيْهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُ. قَالُوا : مَا نَرَى بِهَذَا بَأْساً . وَافْتَرَقُوا» . فَأَقْبَلَ المَأْمُونُ عَلَى يَحْيَى فَقَالَ : كُفِينَا مَؤُونَةَ هَؤُلَاءِ (4) بِأَيْسَرِ الخَطْبِ . فَقُلْتُ : الحَمْدُ لِلّهِ الذِي أَلْهَمَكَ ، يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ ، الصَوَابَ وَالسَّدَادَ فِي القَوْلِ .

مروج الذهب

---

4) هؤلاء : ان هؤلاء خوارج وسميت هذه الطائفة بهذا الاسم لخروجهم من صفوف على كرم الله وجهه اثر التحكيم الذى كان بعد واقعة صفين ورايهم فى الخلافة انه يستحقها من اجتمعت فيه الخصال المحمودة ولو كان عبدا حبشيا اى ان الخلافة لا تورث (انظر كتاب ضحى الاسلام ج. 3).

115) مناظرة في الشعر

وَصَلَ إِلَى حَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ (1) رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ يُعْرَفُ بِالمُبْحِثِ، وَكَانَ يُنقِّرُ عَلَى العُلَمَاءِ وَالشُّعَرَاءِ بِمَا لَمْ يَدْفَعْهُ الخَصْمُ وَلاَ يَنكُرُهُ الوَهْمُ. فَتَلَقَّاهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِاليمينِ، وَأُعْجِبَ بِهِ إِعْجَاباً شَدِيداً. فَقَالَ يَوْماً: أَخْطَأَ امْرُؤُ القَيْسِ (2) فِي قَوْلِهِ: (طويل)

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَــذَّةٍ ... وَلَمْ أَتَبَطَّن كَاعِبــاً ذَات خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْــدَ إِجْفَالِ

وَهَذَا مَعْدُولٌ عَنْ وَجْهِهِ لاَ شَكَّ فِيهِ. فَقِيلَ: وَكَيفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّمَا سَبِيلُهُ أَنْ يَقُولَ:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْــدَ إِجْفَالِ

وَلَمْ أَسْبَأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ لِلَــذَّةٍ ... وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبــاً ذَاتَ خَلْخَالِ

فَيَقْتَرِنَ ذِكْرُ الخَيْلِ بِمَا يُشَاكِلُهَا فِي البَيْتِ كُلِّهِ، وَيَقْتَرِنَ ذِكْرُ الشُّرْبِ وَاللَّهْوِ بِالنِّسَاءِ وَيَكُونُ قَوْلُهُ لِلَذَّةٍ فِي الشُّرْبِ أَطْبَعَ مِنْهُ فِي الرُّكُوبِ. فَبُهِتَ الحَاضِرُونَ وَاهْتَزَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَقَالَ: هَذَا التَّهَدِّي وَحَقِّ أَبِي!

---

1) سيف الدولة: هو ابو الحسن على بن عبد الله بن حمدان التغلبى صاحب حلب، كان ملكا شجاعا واديبا محبا لجيد الشعر، وقد مدحه المتنبى. مات سنة 352 هـ. 964 م

2) امرؤ القيس: هو الشاعر الجاهلى المشهور وصاحب المعلقة التى مطلعها: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .. الخ

3) سبأ الخمر: اشتراها ليشربها ـ والزق الروى: القربة المملوءة.

فَقَالَ بَعْضُ الحَاضِرِينَ مِنَ العُلَمَاءِ لِلْمُتَبَحِّثِ : أَنْتَ أَخْطَأْتَ ، وَطَعَنْتَ عَلَى القُرْآنِ إِنْ كُنْتَ تَعَمَّدْتَ؟ فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ : قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى، وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى»(4) ، وَعَلَى قِيَاسِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ : «إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَظْمَأَ وَلاَ تَعْرَى فِيهَا وَلاَ تَضْحَى» ، إِنَّمَا عَطَفَهُ امْرُؤُ القَيْسِ بِالْوَاوِ الَّتِي لاَ تُوجِبُ تَعْقِيباً وَلاَ تُرَتِّبُ تَرْتِيباً . فَخَجِلَ وَانْقَطَعَ .

ذيل زهر الادب



---

4) تضحى : ضحى : برز للشمس فاصابته ـ ضحيت المليلة : لم يكن فيها غيم .

116) بين اندلسي ومصري

قَالَ الزَّبِيدِيُّ (I) : حَدَّثَنِي قَاضِي القُضَاةِ بِالأَنْدَلُسِ، وَهُوَ المُنْذِرُ بنُ سَعِيدِ البَلُّوطِيُّ (2) قَالَ : أَتَيْتُ ابنَ النَّحَّاسِ (3) فِي مَجْلِسِهِ بِمِصْرَ، فَأَلْفَيْتُهُ يُمْلِي، فِي أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ، شِعْرَ قَيْسِ بنِ مُعَاذٍ المَجْنُونِ (4) حَيْثُ يَقُولُ: (طويل)

خَلِيلَيَّ هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ ... تُبَكِّي عَلَى نَجْدٍ لَعَلِّي أُعِينُهَا

قَدْ أَسْلَمَهَا البَاكُونَ إِلاَّ حَمَامَـةً ... مُطَوَّقَةً بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا

تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَـــةٍ ... يَكَادُ يُدَنِّيهَا مِـنَ الأَرْضِ لِينُهَا

فَقُلْتُ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَاذَا ـ أَعَزَّكَ اللَّهُ ـ بَاتَا يَصْنَعَانِ ؟ فَقَالَ: وَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ يَا أَنْدَلُسِي ؟ فَقُلْتُ : بَانَتْ وَبَانَ قَرِينُهَا . فَسَكَت، وَكُنْتُ ذَهَبْتُ إِلَى الانْتِسَاخِ مِنْ نُسْخَتِهِ «كِتَابُ العَيْنِ» (5). فَلَمَّا قَطَعَ بِي قِيلَ لِي : انْتَسِخْ مِنْ أَبِي العَبَّاسِ ابن وَلَّادٍ . فَقَصَدْتُهُ فَلَقِيتُ رَجُلاً كَامِلَ العِلْمِ حَسَنَ المُرُوءَةِ وَسَأَلْتُهُ الكِتَابَ فَأَخْرَجَهُ إِلَيَّ. ثُمَّ تَنَدَّمَ أَبُو جَعْفَر لَمَّا بَلَغَهُ إِبَاحَةُ أَبِي العَبَّاسِ الكِتَابَ لِي ، وَعَادَ إِلَى مَا كُنتُ أَعْرِفُ مِنْهُ .

معجم الادباء

I) الزبيدى : محمد بن الحسن الزبيدى الاشبيلي النحوى اللغوى ، سكن قرطبة وكان مؤدب اولاد الحكم بن عبد الرحمن الناصر . مات سنة 379 هـ.

2) المنذر بن سعيد البلوطى : تقدمت ترجمته فى قطعة رقم 39

3) ابن النحاس : احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من اهل مصر رحل الى بغداد فاخذ عن علمائها ثم رجع الى بلاده مات سنة 337 هـ.

4) قيس بن معاذ : ويقال قيس بن الملوح العامرى ، ويعرف بمجنون ليلى ـ يقال انه عاش فى عهد بنى امية ، وبعض اهل النقد يرون ان قصته موضوعة .

5) كتاب العين : قاموس وضعه الخليل انظر ـ ترجمته ص. II2 .

117) مناظرة بين مسلم ونصراني في الاعجاز

قَالَ أَبُو عَلِيّ الحَسَنُ بنُ عَلِيّ بنِ رَشِيقٍ (1)، فِي كِتَابِ الرَّسَائِلِ وَالوَسَائِلِ · كُنتُ بِمَدِينَةِ مُرْسِيَةَ ــ جَبَرَهَا اللّهُ ــ وَكَانَ قَدْ وَرَدَ عَلَيهَا ، مِنْ قِبَلِ طَاغِيَةِ الرُّومِ ، جَمَاعَةٌ مِنْ قِسِّيسِيهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ ، شَأْنُهُمْ الإِنْقِطَاعُ فِي العِبَادَةِ بِزَعْمِهِمْ، وَالنَّظَرِ فِي العُلُومِ ، مُشْرَئِبُّونَ لِلنَّظَرِ فِي عُلُومِ المُسْلِمِينَ وَتَرْجَمَتِهَا بِلِسَانِهِمْ ، وَلَهُمْ حِرصٌ عَلَى مُنَاظَرَةِ المُسْلِمِينَ لِقَصْدٍ ذَمِيمٍ فِي اسْتِمَالَةِ الضُّعَفَاءِ . وَكُنتُ أَجْلِسُ بَينَ يَدَي وَالِدِي، وَأَنَا كَهْلٌ، لِكَتْبِ الوَثَائِقِ وَعُقُودِ الأَحكَامِ . فَوَجَبَتْ لِمُسْلِمٍ عَلَى نَصْرَانِيّ يَمِينٌ، وَأُمِرْتُ أَنَا وَشَاهِدٌ آخَرُ بِالحُضُورِ لِيَتَقَاضَاهَا المُسْلِمُ مِنْهُ عَلَى مَا يَجِبُ ، حَيْثُ يُعَظِّمُ النَّصْرَانِي دِينَهُ . فَتَوَجَّهْنَا مَعَهُ لِكَنِيسَةٍ يُعَظِّمُونَهَا ، وَهِيَ مُجْتَمَعُ أُوْلَئِكَ الرُّهْبَان ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ قَصْدِنَا اسْتَدْعَانِي قِسِّيسٌ مِنْهُمْ ، فَصِيحُ اللِّسَانِ ، وَأَخَذَ مَعِي فِي الكَلَامِ وَالمُذَاكَرَةِ، إِلَى أَنْ آلَ الأَمْرُ إِلَى المُنَاظَرَةِ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ وَفِي بَيْتَي الحَرِيرِيّ(2) بِأَنَّهُمَا مِنَ الإِعْجَازِ، حَيْثُ لَمْ يُعَزَّزَا بِثَالِثٍ وَهُمَا : (سريع)

سِمْ سِمَةً تُحْمَدُ آثَارُهَا ... وَاشْكُر لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سِمْسِمَه(3)
وَالمَكْرَ مَهْمَا اسْطَعْتَ لَا تَأْتِهِ ... لِتَقْتَنِي السُّؤْدَدَ وَالمَكْرُمَه

---

1) ابن رشيق : ان ابن رشيق هذا غير ابن رشيق القيروانى صاحب كتاب «العمدة»، لان ابا هذا الاخير كان صياغا. ومات ابن رشيق القيروانى بصقلية سنة 456 هـ. قبل ولادة الحريرى .

2) الحريرى : هو ابو القاسم بن على الحريرى صاحب المقامات . مات سنة 516 هـ. 1122 م.

3) سمسمة : حبة الجلجلان والبيتان مذكوران فى المقامة الحلبية رقم 46

أَطَالَ الكَلَامَ بِتَأَدُّبٍ فِى إِعْجَازِ القُرْآنِ، وَفِى إِعْجَازِ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ. قَالَ: وَأَخَذْتَ أُبْدِى لَهُ الفَرْقَ ، بِطَرِيقِ البَرَاهِينِ الأُصُولِيَّةِ وَالأَقَاوِيلِ العِلْمِيـــةِ ـ وَخَاطِرِى مُشْتَغِلٌ بِالتَّفَرُّغِ لِلزِّيَادَةِ عَلَيْهِمَا ـ إِلَى أَنْ يَسَّرَ اللَّهُ بِزِيَادَةِ بَيْتٍ وَاحِدٍ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَعَ هَذَا فَقَدْ زَادَ النَّاسُ عَلَى البَيْتَينِ وَلَمْ يَغْفُلُوا عَنْهُمَا . فَقَالَ : أَيْنَ هَذَا :؟ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَداً ادَّعَى هَذَا وَلا ذَكَرَهُ. فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا أَذْكُرُ بَيْتاً ثَالِثاً لَا أَذْكُرُ الآنَ قَائِلَهُ ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ :

وَالمَهْرَ، مَهْرَ الحُورِ، وَهُوَ التُّقَى   بَادِرْ بِهِ البُكْرَةَ والمَهْرَمَه (4)

فَلَمَّا سَمِعَهُ وَأَعَدْتُهُ عَلَيْهِ حَتَّى فَهِمَهُ، فَكَأَنَّمَا القَمْتُهُ حَجَراً، وَرَأَيتُ فِيهِ مِنَ الإِنْكِسَارِ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ الحُجَجِ العَقْلِيةِ وَالمآخِذِ الأُصُولِيةِ. ثُمَّ أَخَذَ فِى الثَّنَاءِ عَلَىَّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ .

الحديقة ج 10 ص 210

⌘⌘⌘⌘

---

4) والمهرمة : الشيخوخة ، ومعنى البيت : اذا اردت ان يجازيك الله بالحور فأد مهرها، وهى التقوى وعجل بها ايام الصبا وايـــام الشيخوخة .

فائدة : فى كتاب «مجمع البحرين» لناصيف اليازجى ابيات لا تستحيل بالانعكاس أى تقرأ طردا وعكسا ولا تتغير معانيها.

118) في النبيذ

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ بنُ حَسَّانٍ اليَحْصُبِيِّ (1) : دَخَلْتُ عَلَى زِيَادَةِ اللَّهِ بنُ إِبْرَاهِيمَ الأَغْلَبِي (2) فَأَصَبْتهُ جَالِساً ، وَعِنْدَهُ أَسَدُ بنُ الفُرَاتِ (3)، وَأَبُو مُحْرِزٍ (3)، وَهُمَا يَتَنَاظَرَانِ فِي النَّبِيذِ المُسْكِرِ ، وَأَبُو مُحْرِزٍ يَذْهَبُ إِلَى تَحْلِيلِهِ، وَأَسَدُ يَذْهَبُ لِتَحْرِيمِهِ. فَلَمَّا قَعَدْتُ قَالَ لِي زِيَادَة اللَّهِ : مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُحَمَّد ؟ فَقُلْتُ : قَدْ عَلِمْتُ سُوءَ رَأْيِي فِيهِ ، وَقَاضِيَاكَ يَتَنَاظَرَانِ بِهِ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ لِي : نَاظِرْنِي أَنْتَ وَدَعْهُمَا . ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : اسْكُتَا ، وَقَالَ لِي: مَا تَقُولُ ؟ فَقُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الأَمِيرَ ، كَمْ دِيَّةُ العَقْلِ ؟ فَقَالَ: وَمَا هَذَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَقُلْتُ : بِجَوَابِكَ يَنْتَظِمُ سُؤَالِي . فَقَالَ: دِيَّةُ العَقْلِ أَلْفُ دِينَارٍ،

---

1) عبد الله بن حسان اليحصبي : كان ممن سمعوا الحديث عن عبد الرحمن بن زياد ومالك بن انس . مات سنة 229 هـ. 843 م

2) زيادة الله بن ابراهيم الاغلبي : هو ابن ابراهيم بن الاغلب الذى ارسله هارون الرشيد واليا على افريقية. وكان لبنى الاغلب شبه استقلال، وعاصمتهم القيروان . مات سنة 201 هـ. 817 م

3) اسد بن الفرات : اعجمى الاصل ، قدم افريقية مع والده وسنه لا يتجاوز الاربعة اعوام – تعلم بالقيروان وتونس ، وام المشرق فسمع من الامام مالك بالمدينة، ومن اصحاب ابى حنيفة بالعراق . وعرج فى رجوعه على مصر، ولى القضاء بالقيروان مشتركا فى ذلك مع القاضى ابى محرز الكنانى ، وكان بينهما شنآن كبير وخلاف جسيم وصحب جند المسلمين الى صقلية . لبى داعى ربه هناك فى ربيع الثانى سنة 213 هـ. (828 م.)

قُلْتُ : أَصْلَحَ اللَّهُ الأَمِيرَ يَعْهَدُ الرَّجُلَ إِلَى مَا قِيمَتُهُ أَلْفَ دِينَارٍ فَيَبِيعُهُ بِزُجَيْجَةٍ تُسَاوِي نِصْفَ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : يَاأَبَا مُحَمَّد إِنَّهُ يَزُولُ وَيَرْجِعُ . فَقُلْتُ: بَعْدَ مَا ذَا، أَصْلَحَ اللَّهُ الأُمِيرَ ؟ بَعْدَ أَنْ قَاءَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَكَشَفَ سَوْأَتَهُ وَقَتَلَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا . قَالَ لِي : صَدَقْتَ وَاللَّهِ صَدَقْتَ !

طبقات علماء افريقية ص. 88 ورياض النفوس ج. 1 ص 202



119) كل ومذهبه ! أو فائدة الغناء

قَالَ إِسْحَاقَ المَوْصِلِي (1) : كُنْتُ يَوْماً عِنْدَ أَحْمَد بنْ يُوسُفَ الكَاتِب، فَدَخَلَ أَحْمَد بنْ خَالِدِ الكَاتِبُ، وَنَحْنُ فِى الغِنَاءِ . فَقَالَ : وَاللّهِ مَا أَجِدُ شَيْئاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ . قَالَ إِسْحَاقُ : فَهَانَ عَلَيَّ وَخَفَّ فِى عَيْنِي . فَقُلْتُ لَـهُ كالمُسْتَهْزِىءِ بِهِ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قَصَدْتَ إِلىَّ أَرَقَّ شَيءٍ خَلَقَهُ اللّهُ وَأَلْيَنِهُ عَلَى الأُذْنِ وَالقَلْبِ ، وَأَظْهَرِهِ لِلسُّرُورِ وَالفَرَحِ ، وَأَنْفَاهُ لِلْهَمِّ وَالحُزْنِ ، وَمَا لَيْسَ لِلْجَوَارِحِ مِنْهُ مُؤْنَةٌ غَلِيظَةٌ ، وَإِنَّمَا يَقْرَعُ السَّمْعَ وَهُوَ مِنْهُ عَلَى مَسَافَةٍ ، فَتَطْرَبُ لَهُ النَّفْسُ، فَذَمَمْتَهُ !؟ وَلَكِنَهُ كَانَ يُقَالُ : لاَ يَجْتَمِعُ فِى رَجُلٍ شَهْوَةُ كُلِّ لَذَّةٍ. وَبَعْدُ فَإِنَّ شَهْوَةَ كُلِّ رَجُلٍ عَلَى قَدْرِ تَرْكِيبِهِ وَمَزَاجِـهِ . قَالَ : أَجَلْ أَمَّا أَنَا فَالطَّعَامُ الرَّقِيقُ أَعْجَبَ إِلىَّ مِنَ الغِنَاءِ ، فَقُلْتُ : أَى وَاللّهِ وَلَحْمُ البَقَرِ وَالجَوَامِيسِ وَالتُّيُوسِ الجَبَلِيَّةِ بِالبَادنْجَانِ المبَزّرِ أَيضاً تُقَدِّمُهُ !؟ فَقَالَ : الغِنَاءُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ وَقَدْ كَرِهَهُ أَقْوَامٌ. فَقُلْتُ : فَالمخْتَلَفُ فِيهِ أَطْلِقْهُ لَنَا حَتَّى تُجْمِعُوا عَلَى تَحْرِيمِهِ . أَعْلَمْتَ، جُعِلْتُ فَدَاكَ، إِنَّ الأَوَائِلَ كَانَتْ تَقُولُ : مَنْ سَمِعَ الغِنَاءَ عَلَى حَقِيقَتِهِ مَاتَ . قَالَ : اللّهُمَّ لاَ تُسْمِعْنَاهُ عَلَى الحَقِيقَةِ إِذَنْ فَنَمُوتَ. فَاسْتَظْرَفْتَهُ فِى هَذِهِ اللَّفْظَةِ . وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ الطَّعَامَ فَشُغِلَ عَنْ ذَمِّ الغِنَاءِ .

الامتاع والمؤانسة ج 3 ص 80

---

1) اسحاق الموصلى : (150 – 230 هـ. 768 – 850 م.) مغنى الرشيد ، وكان من العلماء باللغة والاشعار واخبار الشعراء وايام الناس – وكان له يد طولى فى الحديث والفقه وعلم الكلام – وكان المامون يقول : «لولا ما سبق لاسحاق على السنة الناس واشتهاره بالغناء ، لوليته القضاء فانه اولى واعف من هؤلاء القضاة» .

الباب الرابع

الفصل الرابع

الاحتفاء برجال العلم والادب

قَالَ تَعَالَى : «وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»

مِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ قَوْلُهُمْ : «لَا يَجْتَمِعُ الأَدَبُ وَالذَّهَبُ» . حَقّاً إِنَّنَا نَجِدُ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ تَرَاجِم أُدَبَاء وَعُلَمَاء، حَالَفَهُمْ الخُمُولُ وَالبُؤْسُ وَالفَقْرُ المدقِعُ، وَأَخْبَار شُعَرَاء أُهْمِلُوا وَحُطِّمُوا أَوْ كَانَ السِّجْنُ مَأْوَاهُمْ، لِعَثْرَة بِاللِّسَانِ أَوْ وِشَايَة مِنْ حَاسِدٍ . وَلَكِنْ لَا ينكرُ مُنْكِرٌ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ اتَّصَلُوا بِذَوِي الجَاهِ حُظَوْا عِنْدَهُمْ، فَأُغْدِقَتْ عَلَيْهِمْ الأَمْوَالُ، وَزُيِّنَتْ بِهِمْ المَجَالِس، وَأُقِيمَتْ لَهُمْ حَفَلَاتُ التَّكْرِيمِ فَعَاشُوا بِفَضْلِ أَدَبِهِمْ أَوْ عِلْمِهِمْ، مَقْبُولَة إِرْشَادَاتهُمْ، مَسْمُوعَة تَشَفُّعَاتهِمْ، مَطْلُوبَةٌ مُؤَلَّفَاتهُمْ، رَاتِعِينَ فِي بُحْبُوحَةِ الهَنَاءِ وَالسُّرُورِ، مُتَمَتِّعِينَ بِأَطَايِيبِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، رَاضِينَ مُرْضِيِّينَ «وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَ».

المراجع

كتب الطبقات وكتب الآداب وبالاخص :

1) تاريخ الآداب لجرجى زيدان

2) تاريخ الآداب العربية تأليف لفيف من الاساتذة اليسوعيين.

3) مجموعة الروائع لفؤاد افرام البستانى

4) ادباء العرب لبطرس البستانى .

وعلى من يريد ان يعرف الادباء الذين اصبحوا «لصروف الدهر هدفا» ان يقرا كتاب «البؤساء فى عصور الاسلام» بقلم محمود كامل فريد . وكتاب «ادباء السجون» لعبد العزيز الحليفى .

120) حماد الراوية وهشام بن عبد الملك

رُوِىَ عَنْ حَمّاد (1) أَنّهُ قَالَ . كُنْتُ مُنْقَطِعاً إِلَى يَزِيدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ(2)، وَكَانَ أَخُوهُ هِشَامٌ (3) يَجْفُونِى. فَلَمَّا مَاتَ يَزِيد وَأَفْضَتِ الخِلَافَةُ إِلَى هِشَامٍ خِفْتُهُ فَمَكَثْتُ فِى بَيْتِى سَنَةً .. ثُمَّ خَرَجْتُ وَصَلَّيْتُ الجُمُعَةَ فِى الرُّصَافَةِ ، وَإِذَا شُرطِيَّانِ قَدْ وَقَفَا عَلَىَّ. فَقَالاَ : يَاحَمَّادُ أَجِبِ الأَمِيرَ يُوسُفَ بن عُمَرَ (4). فَاسْتَسْلَمْتُ، وَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الأَمِير رَمَى إِلَىَّ كِتَاباً فِيهِ: «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللّهِ هِشَام أَمِيرِ المؤمِنِينَ إِلَى يُوسُفَ بنْ عُمَر. أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِى هَذَا فَابْعَثْ إِلَى حَمَّاد الرَّاوِيَة مَنْ يَأتِيكَ بِهِ غَيْرُ مُرَوَّع وَلَا مُتَعْتَع (مُكْرَهٍ)، وَادْفَعْ إِلَيْهِ خَمْسَمائة دِينَارٍ، وَجَمَلاً مَهْرِياً يَسِيرُ عَلَيْهِ اثْنَتَى عَشَرَةَ لَيْلَة إِلَى دِمِشْق» . فَأَخَذْتُ الدَّنَانِيرَ ، وَنَظَرْتُ فَإِذَا جَمَلٌ مَرْحُولٌ (5) ، فَرَكِبْتُهُ وَسِرْتُ اثْنَتَى عَشَرَةَ لَيْلَة حَتَّى وَافَيْتُ بَابَ هِشَامٍ. فَاسْتَأذَنْتُ، فَأذِنَ لِى، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ فى دَارٍ قَوْرَاءَ(6) ، مَفْرُوشَةً بِالرُّخَامِ، وَهُوَ فِى مَجْلِس مَفْرُوشٍ بِالرُّخَامِ، بَينَ كُلِّ رُخَامَتَينِ قَضِيب ذَهَب. وَهِشَامٌ جَالِسٌ عَلَى طِنْفِسَةٍ حَمْرَاءَ، وَعَلَيهِ ثِيَابُ خزّ حُمْرٍ، وَقَدْ تَضَمَّخَ بِالمِسْكِ وَالعَنْبَرِ، وَبينَ يَدَيْهِ

---

1) حماد بن ميسرة بن المبارك الكوفى المعروف بالراوية لسعة علمه بايام العرب واخبارها واشعارها مات فى 151 هـ. وقيل 155 .

2) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز توفى سنة 105 هـ. 724 م.

3) هشام بن عبد الملك ولى بعد يزيد اخيه مات سنة 125 هـ. 743 م.

4) يوسف بن عمر : هو امير الكوفة اذ ذاك

5) مرحول : عليه الرحل

6) قوراء : واسعة .

مِسْكٌ مَفْتُوتٌ، فِى أَوَانِى ذَهَب، يُقَلِّبُهُ بِيَدِهِ فَيَفُوحُ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالخِلاَفَةِ. فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَام وَاسْتَدْنَانِى، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَبَّلْتُ رِجْلَهُ، فَإِذَا جَارِيَتَانِ لَمْ أرَ مِثْلَهُمَا قَطُّ، وَفِى أُذْنَي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حَلَقَتَانِ ، فِيهِمَا لُؤْلُؤَتَانِ تَتَقِدَانِ فَقَالَ لِى: أَتَدْرِى فِيمَا بَعَثْتُ لَكَ؟ قُلْتُ لاَ. قَالَ: بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِسَبَبِ بَيْتٍ خَطَرَ بِبَالِي، لاَ أَعْرِفُ قَائِلهُ، وَهُوَ (خفيف)

وَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْماً فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِى يَمِينِهَا إِبْرِيقُ

فَقُلْتُ : هَذَا يَقُولُهُ عَدِي بنُ زَيْد العَبَادِى (7) فِى قَصِيدَةٍ . قَالَ : فَأنْشِدْنِيهَا . فَأنْشَدْتُ :

فَكرَ العَاذِلُونَ فِى وَضَحِ الصُّبْـ ـحِ يَقُولُونَ لِى أَلاَ تَسْتَفِيقُ ؟ الخ

فَطَرِبَ هِشَامٌ، ثُمَّ قَالَ : سَلْ حَاجَتَكَ . قُلْتُ : كَائِنَةً مَا كَانَتْ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قُلْتُ : إِحْدَى الجَارِيَتَيْنِ . فَقَالَ : هُمَاجَمِيعاً لَكَ بِمَا عَلَيْهِمَا وَمَالَهُمَا . وَزَادَ مَالاً كَثِيراً ، فَأَخَذْتُ الجَمِيعَ وَانْصَرَفْتُ إِلَى أَهلِي .

معجم الادباء



7) عدى بن زيد: انظر قطعة 59 .

121) الحث على طلب العلم وتشجيع أهله

لما خَرَجَ الرَّشِيدُ (1) إلى الحَجِّ، اصْطَحَبَ مَعَهُ عَبْدَ اللّهِ بنَ المبارك(2)، وَلما فَرَغَ مِنْ مَنَاسِكِهِ، رَغِبَ أَنْ يَرَى الفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ (3)، وَكَانَ يَتَبَاعَدُ عَنْ رِجَالِ الحُكْمِ. فَتَلَطَّفَ ابنُ المبَارَكِ حَتَّى جَمَعَ بَيْنَهُمَا. وَجَرَى بَيْنَهُمَا حَدِيثٌ طَلِيٌّ (4) يُطَيِّبُ النُّفُوسَ العَظِيمَةَ . ثُمَّ قَامَ هَرُونَ لِلخُرُوجِ، فَقَالَ الفُضَيْلُ: يَا أَمِيرَ المؤمِنِينَ إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَكُونَ العِلْمُ قَدْ ضَاعَ قِبَلَكَ (5) كَمَا ضَاعَ عِنْدَنَا. فَقَالَ الرَّشِيدُ : أَجَل إِنَّهُ كَمَا قُلْتَ. فَلَمَّا قَدِمَ الرَّشِيدُ العِرَاقَ، كَانَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ فِيهِ النَّظَرَ أنْ كَتَبَ إِلَى الأَمْصَارِ كُلِّهَا وَإِلَى أُمَرَاءِ الأَجْنَادِ :

«..أَمَّا بَعْدُ فَانْظُرُوا مَنْ التزَمَ الآذَانَ عِنْدَكُمْ فَاكْتُبُوهُ فِي أَلْفِ دِينَارٍ مِنَ العَطَاءِ، وَمَنْ جَمَعَ القُرْآنَ، وَأَقْبَلَ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ، وَعَمَّرَ مَجَالِسَ العِلْمِ، وَمَقَاعِدَ الأَدَبِ فَاكْتُبُوهُ فِي أَلْفَي دِينَارٍ مِنَ العَطَاءِ ، وَمَنْ جَمَعَ القُرْآنَ وَرَوَى الحَدِيثَ وَتَفَقَّهَ فِي العِلْمِ، وَاسْتَبْحَرَ فَاكْتُبُوهُ فِي أَرْبَعَةِ آلافِ دِينَارٍ مِنَ العَطَاءِ. وَلِيَكُنْ ذَلِكَ بِامْتِحَانِ الرِّجَالِ السَّابِقِينَ لِهَذَا الأَمْرِ، مِنَ المعْرُوفِينَ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِمْ ، وَفُضَلَاءِ دَهْرِهِمْ. فَاسْمَعُوا قَوْلَهُمْ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُمْ. فَإِنَّ اللّهَ تعالى يَقُولُ : «أَطِيعُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ» وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ. قَالَ ابنُ

---

1) الرشيد تفدمت ترجمته قطعة 46 .

2) عبد الله بن المبارك: كان يلقب بفقيه المشرق والمغرب ـ عاصر الامام مالك .

3) الفضيل بن عياض : كان عالما ورعا زاهدا .

4) الطلى : اللذيذ .

5) قبلك : فى الناحية التى انت فيها اى فى العراق .

المبَارَك: فَمَا رَأَيْتَ عالِماً ، وَلاَ قَارِئاً لِلْقُرْآنِ ، وَلاَ سَابِقاً لِلْخَيْرَاتِ، وَلاَ حَافِظاً لِلمُحَرَّمَاتِ، فِى أَيَّامٍ بَعْدَ أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَيَّامَ الخُلَفَاءِ وَالصَّحَابَةِ، أَكْثَرَ مِنْهُمْ فِى زَمَنِ الرَّشِيدِ وَأَيَّامهِ. لَقَدْ كَانَ الغُلاَمُ يَجْمَعُ القُرْآنَ وَهُوَ ابنُ ثَمَانِى سِنِينَ . وَلَقَدْ كَانَ الغُلاَمُ يَسْتَبْحِرُ فِى الفِقْهِ وَالعِلْمِ ، وَيَرْوِى الحَدِيثَ ، وَيَجْمَعُ الدَّوَاوِينَ ، وَيُنَاظِرُ المعَلِّمِينَ ، وَهُوَ ابنُ إِحْدَى عَشَرَةَ سَنَة.

اخلاق العلماء ص. 152



122) الكسائى وولدا الرشيد

كَانَ الكِسَائى (1) يُؤَدِّبُ الأَمِينَ (2) وَالمأمُونَ (3) ابْنَى هَارُون الرَّشِيد. فَأَرَادَ يوماً النُّهُوضَ مِنْ عِندهِمَا، فَابْتَدَرَا إِلَى نَعْلِه لِيُقَدِّمَاهَا لَهُ. فتَنَازَعَا أَيُّهُمَا يُقَدِّمُهَا لَهُ، ثُمَّ اصْطَلَحَا عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا. فَلَمَّا رُفِعَ الخَبَرُ إِلَى الرَّشِيدِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ الكِسَائِىُّ، قَالَ لَهُ: مَنْ أَعَزُّ النَّاسِ ؟ قَالَ : لَا أَعْلَمُ أَعَزَّ مِنْ أَمِيرِ المؤمِنِينَ. قَالَ : بَلَى، بَلْ أَعَزُّ النَّاسِ مَنْ إِذَا نَهَضَ تَقَاتَلَ عَلَى تَقْدِيمِ نَعْلِهِ لَهُ وَلِيَا عَهْدِ المسلِمِينَ، حَتَّى يَرْضَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يُقَدِّمَ نَعْلاً. فَأَخَذَ الكِسَائِىُّ يَعْتَذِرُ حَاسِباً أَنهُ أَخْطأَ. فقَالَ الرَّشِيدُ: لَوْ مَنَعْتَهُمَا ذَلِكَ لأَوْجَعْتُكَ لَوْماً وَعَتْباً وَأَلْزَمْتُكَ ذَنْباً . وَمَا وَضَعَ مَا صَنَعَا مِنْ شَرَفِهِمَا ، بَلْ رَفَعَ مِنْ قَدْرِهِمَا، وَبيَّن عَنْ جَوْهَرِهِمَا . فَلَيسَ يَكْبُرُ المرءُ، وَإِن كَانَ كَبِيراً، عَنْ ثَلَاث: تَوَاضُعُهُ لِسُلْطَانِه، وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِمعَلِّمِه . ثُمَّ قَالَ : وَقَدْ عَوَّضْتُهُمَا مَا فَعَلَا عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَكَ عَشَرَةَ آلَافٍ عَلَى حُسْنِ أَدَبِكَ لَهُمَا.

السمير المهذب

---

*) يروى صاحب «معجم الادباء» نفس هذه الحكاية عن الفراء وابنى المأمون.

1) الكسائى : تقدمت ترجمته قطعة 100 .

2) الامين : ولى الخلافة بعد ابيه ـ اشتهر بحبه للهو ـ وقعت بينه وبين اخيه منازعة ادت الى فتن عظيمة ـ مات مقتولا .

3) المأمون : تقدمت ترجمته قطعة 14 .

123) مجمع علمي

لَمّا أَعَادَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ (1) لِبَغْدَادَ عِمَارَتَهَا، بَسطَ رُسُوماً لِلْفُقَرَاءِ ، وَالفُقهَاءِ، وَالمفسّرينَ، وَالمتَكلّمينَ (2)، وَالمحَدّثينَ، وَالنسَّابِينَ وَالشُّعَرَاءِ، وَالنَّحْوِيّينَ، وَالعَرُوضِيّينَ، وَالأَطِبَّـاءِ، وَالمنَجّمِينَ، وَالحسّاب، وَالمهَنْدِسِينَ . وَأَفْرَدَ فِي دَارِهِ لأَهْلِ الخُصُوصِ وَالحُكَمَاءِ مِنَ الفَلاسِفَةِ، مَوْضِعاً يَقْرُبُ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَهُوَ الحُجْرَةُ التِي يَخْتَصُّ بِهَا الحُجّابُ. فَكَانُوا يَجْتَمِعُـونَ فِيهَا لِلْمُفَاوَضَة، آمِنِينَ مِنَ السُّفَهَاءِ وَرِعَاعِ العَامَّةِ . وَأُقِيمَتْ لَهُمْ رُسُومٌ تَصِلُ إِلَيْهِمْ، وَكَرَامَات تَتّصِلُ بِهِمْ . فَعَاشَتْ هَذِهِ العُلُومُ وَكَانَتْ مَوَاتاً، وَرَغِبَ الأَحْدَاث فِي التَّأَدُّبِ وَالاشْيَاخ فِي التّأْدِيبِ، وَانْبَعَثَتْ القَرَائِـحُ، وَنفقَتْ أَسْوَاقُ الفَضْلِ وَكَانَتْ كَاسِدَةً، وَأُخْرِجَ مِنْ بَيْتِ المَالِ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ، صُرِفَتْ فِي هَذِهِ الأَبْوَابِ وَفِي غَيْرِهَا مِنَ الصّدَقَاتِ، عَلَى ذَوِي الحَاجَاتِ مِنْ أَهْلِ المِلّةِ (3)، وتجاوزتهم إِلَى أَهْلِ الذّمَةِ. وَأَذِنَ لِلْوَزِيرِ نصر بنُ هَارُون فِي عِمَارَةِ البِيَعِ (4) وَالأَدْيِرَةِ ، وَاطْلاَقِ الأَمْوَالِ لِفُقَرَائِهِمْ .

من كتاب تجارب الامم

---

1) عضد الدولة : تقدمت ترجمته قطعة 18 .

2) المتكلمون : انظر قطعة رقم 103 .

3) اهل الملة : المسلمون .

4) البيع : معابد اليهود مفردها بيعة .

124) حبس أرضا للشعراء الغرباء

حَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ حَبُوس (I) الفَاسِي، شَاعِرُ أمِيرِ المؤمِنينَ عَبدُ المؤمِنِ بن على» (2)، قَالَ : «دَخَلْتُ مَدِينَةَ شَلْب مِنْ بِلَادِ الأَنْدلُسِ، وَلِي يَوْمَ دَخَلْتُهَا، ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَطْعَمْ فِيهَا شَيْئاً، فَسَأَلْتُ عَمَّنْ يُقْصَدُ فِيهَا، فَدَلَّنِي بَعْضُ أَهْلِهَا عَلَى رَجُلٍ يُعْرَفُ بِابنِ الملح. فَعَمَدْتُ إِلَى بَعْضِ الوَرَّاقِينَ فَسَأَلتهُ سِحَاءَةً (3) وَدَوَاةً، فَأَعْطَانِيهِمَا، فَكَتَبْتُ أَبْيَاتاً امْتَدَحْتُهُ بِهَا، وَقَصَدْتُ دَارَهُ فَإِذَا هُوَ فِي الدِّهْلِيزِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَحَّبَ بِي، وَرَدَّ عَلَيَّ أَحْسَنَ رَدٍّ، وَتَلَقَّانِي أَحْسَنَ لِقَاءٍ . وَقَالَ : أَحْسِبُكَ غَرِيباً ؟ قُلْتُ: نَعَمْ . فَقَالَ لِي: مِنْ أَيِّ طَبقَاتِ النَّاسِ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ انِّي مِنْ أَهْلِ الأَدَبِ مِنَ الشُّعَرَاءِ ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ الأَبْيَاتَ التِي قُلْتُ. فَوَقَعَتْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ، فَأَدْخَلَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ، وَقَدَّمَ إِلَيَّ الطَّعَامَ، وَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي، فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مُحَاضَرَةً مِنْهُ. فَلَمَّا آنَ الإِنْصِرَافُ، خَرَجَ ثُمَّ عَادَ وَمَعَهُ عَبْدَانِ يَحْمِلَانِ صُنْدُوقاً حَتَّى وَضَعَهُ بينَ يَدَيَّ. فَفَتَحَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ سَبْعَمائة دِينَارٍ مُرَابِطِيَّةٍ (4)، فَدَفَعَهَا إِلَيَّ وَقَالَ: هَذِهِ لَكَ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيَّ صُرَّةً فِيهَا أَرْبَعُونَ دِينَاراً، وَقَالَ: هَذِهِ مِنْ عِنْدِي. فَتَعَجَّبْتُ مِنْ كَلَامِهِ، وَأَشْكَلَ عَلَيَّ جِدّاً، وَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ كَانَتْ هَذِهِ لِي ؟ فَقَالَ لِي: إِنِّي أَوْقَفْتُ أَرضاً مِنْ

I) ابن حبوس الفاسي : كان عالما محققا وشاعرا مفلقا مات سنة 570 هـ.
2) عبد المومن بن علي : تقدمت ترجمته قطعة 73 .
3) السحاءة من الكتاب : ما يشد به ج اسحية والواحدة سحاءة .
4) مرابطية : نسبة الى دولة المرابطين .

جُمْلَةِ مَالِي لِلشُّعَرَاءِ، غِلَّتُهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةُ دِينَارٍ، وَمُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ لَمْ يَأْتِنِي أَحَدٌ لِتَوَالِي الفِتَنِ التِي دَهَمَتِ البِلَادَ، فَاجْتَمَعَ هَذَا المَالُ حَتَّى سَبَقَ إِلَيْكَ. وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ حُرِّ مَالِي ،يَعْنِي الأَرْبَعِينَ دِينَاراً. فَدَخَلْتُ عَلَيهِ جَائِعاً فَقِيراً، وَخَرَجْتُ عَنْهُ شَبْعَاناً غَنِيّاً !» (5)

المعجب ط سلا ص 128



---

(5) شبعانا : الاصح شبعان بدون تنوين لانه ممنوع من الصرف وقد نون هنا للازدواج وقد قال تعالى . «غضبان أسفا» .

125) الحكم بن الناصر والفقيه أبو ابراهيم

حَكَى الفَقِيهُ أَبُو القَاسِمُ مُفَرِّج بنُ مُحَمَّد بنُ مُفرِّج المشَاوِر (1) فَقَالَ كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى الفَقِيهِ أَبِى إِبْرَاهِيم (2) رَحِمَهُ اللَّهُ، فِيمَنْ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ لِلتَّفَقُّهِ وَالرِّوَايَةِ . فَأَتَى لِعِنْدَهُ بِالمَسْجِدِ المَنْسُوبِ لِأَبِى عُثْمَانَ بِجَوفِيِّ قَصْرِ قُرْطُبَةَ، وَمَجْلِسهُ حَافِلٌ بِجَمَاعَةِ الطَّلَبَةِ، وَذَلِكَ بَينَ الصَّلاَتَينِ (3)، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ خِصِّيٌّ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسَائِلِ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ الحَكَم (4). فَوَقَفَ وَسَلَّمَ، وَقَالَ لَهُ : يَافَقِيهٌ أَجِبْ أَمِيرَ المؤمِنِينَ أَبقَاهُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ يَنْتَظِرُكَ، وَقَدْ أُمِرْتُ بِإِعْجَالِكَ . فَقَالَ لَهُ : سَمعاً وَطَاعَةً لِأَمِيرِ المؤمِنِينَ، وَلاَ عجلة، فَارْجِعْ إِلَيهِ، وَفَّقَهُ اللَّهُ ، وَعَرِّفْهُ عَنِّى أَنَّكَ وَجَدْتَنِى فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَعَ طُلاَّبِ العِلْمِ، أُسْمِعُهُمْ حَدِيثَ ابن عَمِّهِ رَسُول اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَهُمْ يُقَيِّدُونَهُ عَنِّى، وَلَيْسَ يُمْكِنُنِى تَرْكُ مَا أَنَا فِيهِ حَتَّى يَتِمَّ المَجْلِسُ المَعْهُودُ لَهُمْ فِى طَاعَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، فَذَلِكَ أَوْكَدُ مِنْ مَسِيرِى إِلَيهِ السَّاعَةَ . فَإِذَا انقَضَى أَمْرُ مَنْ اجْتَمَعَ إِلَىَّ مِنْ هَؤُلاَءِ المحْتَسِبِينَ (5) فِى ذَاتِ اللَّهِ، السَّاعِينَ فِى مَرْضَاتِهِ ، مَشيتُ إِلَيْهِ إِن شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَمَضَى الخِصِّيّ يُهَيْنِمُ مُتَضَاجِراً مِن تَوَقُّفِهِ، ثُمَّ عَادَ سَاكِنَ الطَّيْشِ، فَقَالَ: يَافَقِيهُ، أَنهَيْتُ قَوْلَكَ إِلَى أَمِيرِ المؤمِنِينَ أَبقَاهُ اللَّهُ، فَأَصْغَى إِلَيهِ وَهُوَ يَقُولُ لَكَ: جَازَاكَ اللَّهُ خَيْراً عَنِ الدِّينِ،

---

1) المشاور : فقيه يشاوره القضاة فى المعضلات والنوازل الصعبة

2) ابو ابراهيم : كان من اكابر علماء المالكية .

3) الصلاتين : صلاة الظهر وصلاة العصر .

4) الحكم : انظر قطعة 125 .

5) المحتسبون : الذين يعلمون او يتعلمون حسبة اى راجين جزاءهم من الله

وَعَنْ أمِيرِ المؤمنينَ، وَجَمَاعَةِ المسْلِمِينَ ، وَأَمتِعْهُمْ بكَ ، وَإِذَا أَنْتَ أَوْعَيْتَ فَامْضِ إِليهِ رَاشِداً، إِنْ شَاءَ اللّهُ تعَالَى. وَقَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَبقَى مَعَكَ حَتَّى يَنْقضِى شُغْلُكَ. فَقَالَ لَهُ: حَسَنٌ جَمِيلٌ ، وَلَكِنِّى أَضْعُفُ عَنِ المشْيِ إِلَى بَابِ السُّدَّةِ، وَيَصْعُبُ عَلَيَّ رُكُوبُ دَابَّةٍ لِشَيْخُوخَتِى، وَضُعْفِ أَعْضَائِى، وَبَابُ الصِّنَاعَةِ الذِى يَقْرُبُ إِلَيَّ مِنْ أَبْوَابِ القَصْرِ المكَرَّمِ أَحْوَطُ لِي، وَأَرْفَقُ بِى، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ المؤمِنِينَ، أَيَّدَهُ اللّهُ تعَالَى، أَنْ يَأْمُرَ بِفَتْحِهِ لأَدْخُلَ إِلَيهِ مِنْهُ، هَوَّنَ عَلَيَّ المَشْىَ، وَأُحِبُّ أَنْ تعُودَ فَتُنْهِىَ ذَلِكَ عَنِّى، حَتَّى تَعْرِفَ رَأْيَهُ فِيهِ، وَكَذَلِكَ تعُودُ إِلَيَّ. فَإِنِّى أَرَاكَ فَتىً شَدِيداً، فَكُنْ عَلَى الخَيْرِ مُعِيناً. فَمَضَى ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ حِينٍ وَقَالَ: يَافَقِيهُ أَجَابَكَ أَمِيرُ المؤمِنِينَ إِلَى مَا سَأَلتَهُ. ثُمَّ جَلَسَ الخِصِيّ جَانِباً حَتَّى أَكْمَلَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ مَجْلِسَهُ بِأكْمَلِ وَأَفْسَحِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُ .. فَلَمَّا انْفَضَضْنَا عَنْهُ قَامَ إِلَى دَارِهِ، وَأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الخَلِيفَةِ الحَكَمِ... فَتَعَمَّدْنَا تِلْكَ العَشِيةَ، المرُورَ بِهَذَا البَابِ المعْهُودِ إِغْلاَقُهُ، فَوَجَدْنَاهُ مَفْتُوحاً قَدْ حَفَّهُ الخَدَمُ وَالأَعْوَانُ مُنْزَعِجِينَ ، مَا بَينَ كَنَّاسٍ وَفَرَّاشٍ ، فَاشْتَدَّ عَجَبُنَا لِذَلِكَ وَطَالَ تَحَدُّثُنَا عَنْهُ .

ازهار الرياض ج I ص 285

126) ابن عبدون عند الوزير أبي مروان

قَالَ الوَزِيرُ الأَجَلّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ بنُ الوَزِيرِ أَبِى مَرْوَانَ (1) عَبْدِ المَلِكِ بنِ أَبِى العَلَاءِ : بَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ فِى دِهْلِيزِ دَارِنَا، وَعِنْدِى رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِى كِتَابِ الأَغَانِى، فَجَاءَ النَّاسِخُ بِالكَرَارِيسِ التِى كَتَبَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: أَينَ الأَصْلُ الذِى كَتَبْتَ مِنْهُ لأُقَابِلَ مَعَكَ بِهِ ؟ قَالَ : مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِى . فَبَيْنَمَا أَنَا مَعَهُ فِى ذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ الدِّهْلِيزَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بَذِىءُ (2) الهَيْئَةِ ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ أَكْثَرهَا صُوفٌ، وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ قَدْ لَاثَهَا بِغَيْرِ إِتْقَانٍ لَهَا، فَحَسِبْتُهُ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ . فَسَلَّمَ وَقَعَدَ، وَقَالَ : يَابُنَىَّ، اسْتَأْذِنْ لِى عَلَى الوَزِيرِ أَبِى مَرْوَانَ. فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ نَائِمٌ . هَذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْتُ جَوَابَهُ غَايَةَ التَّكَلُّفِ ، حَمَلَنِى عَلَى ذَلِكَ نَزْوَةُ الصِّبَا ، وَخُشُونَةُ هَيْئَةِ الرَّجُلِ . ثُمَّ سَكَتَ عَنِّى سَاعَةً وَقَالَ : مَا هَذَا الكِتَابُ الذِى بِأَيْدِيكُمَا ؟ فَقُلْتُ لَهُ : مَا سُؤَالُكَ عَنْهُ ؟ فَقَالَ : أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ اسْمَهُ فَإِنِّى كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ الكُتُبِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ الأَغَانِى . قَالَ: إِلَى أَيْنَ بَلَغَ الكَاتِبُ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا، وَجَعَلْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُ عَلَى سَبِيلِ السُّخْرِيَةِ وَالضَّحِكِ . فَقَالَ : وَمَا لِكَاتِبِكَ لَا يَكْتُبُ ؟ قُلْتُ : طَلَبْتُ مِنْهُ الأَصْلَ الذِى يَكْتُبُ مِنهُ لأُعَارِضَ بِهِ هَذِهِ الأَوْرَاقَ، فَقَالَ لِى: لَمْ أَجِىءْ بِهِ مَعِى . فَقَالَ : يَابُنَىَّ خُذ كَرَارِيسَكَ وَعَارِضْ، فَإِنِّى كُنْتُ

---

1) ابو بكر محمد : هو من عائلة بنى زهر المشهورة وقد كان اكثر افرادها حكماء واطباء اجلاء ووزراء فضلاء . وأبو بكر أول من اشتهر من هذا البيت الكريم ، كان عالما بالرأى فاضلا جامعا للدراية والرواية، توفى بطلبيرة سنة 1030 م.

2) بذىء الهيئة : قبيحها .

أَحْفَظُ هَذَا الكِتَابَ فِى مُدَّةِ صِبَاىَ. فَتَبَسَّمْتُ مِنْ قَوْلِهِ، فَلَمَّا رَأى تَبَسُّمِى قَالَ: يَابُنَى أَمْسِكْ عَلَىَّ. فَأَمْسَكْتُ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ، فَوَاللَّهِ مَا أَخْطَأ وَاواً وَلاَ فَاءً . قَرَأ هَكَذَا نَحْواً مِنْ كُرَّاسَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذْتُ لَهُ فِى وَسَطِ السِّفْرِ وَآخره، فَرَأَيْتُ حِفْظَهُ فِى ذَلِكَ كُلِّهِ سَوَاءً. فَاشْتَدَّ عَجَبِى، وَقُمْتُ مُسْرِعاً حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَبِى، فَأخبَرْتَهُ بِالخَبَرِ، وَوَصَفْتُ لَهُ الرَّجُلَ. فَقَامَ كَمَا هُوَ مِنْ فَوْرِهِ، وَكَانَ مُلْتَفّاً بِرِدَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ، وَخَرَجَ حَاسِرَ الرَّأْسِ، حَافِىَ القَدَمَيْنِ، لاَ يرفُقُ عَلَى نَفْسِهِ وَأنَا بَينَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يُوسِعُنِى لَوماً حَتَّى تَرَامَى عَلَى الرَّجُلِ وَعَانَقَهُ، وَجَعَلَ يُقَبِّلُ رَأسَهُ وَيَدَيهِ، وَيَقُولُ: يَامَوْلاَىَ اعْذِرْنِى، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمَنِى هَذَا الجِلْفَ إِلاَّ السَّاعَةُ، وَجَعَلَ يَسُبُّنِى وَالرَّجُلُ يُخَفِّضُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: مَا عَرَفَنِى وَأبِى يَقُولُ : هَبْهُ مَا عَرَفَكَ ، فَمَا عُذْرُهُ فِى حُسْنِ الأَدَبِ ؟ ثُمَّ أَدْخَلَهُ الدَّارَ، وَأَكْرَمَ مَجْلِسَهُ ؛ وَخَلاَ بِهِ مُتَحَدِّثاً طَوِيلاً ، ثُمَّ خَرَجَ الرَّجُلُ ؛ وَأَبِى بَينَ يَدَيْهِ حَافِياً ، حَتَّى بَلَغَ البَابَ وَأَمَرَ بِدَابَتِهِ التِى يَرْكَبها ؛ فَأُسْرِجَتْ ؛ وَحَلَفَ عَلَيْهِ لِيَرْكَبَنَهَا ثُمَّ لاَ ترجِعُ إِلَيهِ أَبَداً . فَلَمَّا انْفَصَلَ قُلْتُ لأَبِى : مَنْ هَذَا الرَّجل الذِى عَظَّمْتَهُ هَذَا التَّعْظِيمَ ؟ قَالَ لِى : اسْكُتْ وَيْحَكَ ! هَذَا أَدِيبُ الأَنْدَلُسِ، وَإِمَامُهَا وَسَيِّدُهَا فِى عِلْمِ الأَدَبِ . هَذَا أَبُو مُحَمَّدُ عَبْدُ المَجِيدِ بن عَبْدُون (3)، أيْسَر مَحْفُوظَاتهُ كِتَاب الأغَانِى ؛ وَمَا حفظَهُ فِى ذَكَاءِ خَاطِرِهِ وَجَوْدَة قَرِيحَتِهِ .

المعجب ص 5

---

3) ابو محمد عبد المجيد بن عبدون : وصفه صاحب المعجب بقوله : «الوزير الكاتب الابرع ذو الوزارتين» ـ له قصائد كثيرة فى بنى المظفر الذين ملكوا مغرب الاندلس بعد انقراض الدولة الاموية بها .

127) أنصفها لجودة شعرها

وَفدَتْ حَسَّانَةُ (١) التَّمِيمِيَّةُ بِنْتُ أَبِى الحُسَيْنِ الشَّاعِـر ، عَلى عَبْـدُ الرَّحْمَن بنْ الحَكَم (٢) بِشِكَايَةٍ مِنْ عَامِلِهِ ، جَابِرُ بنْ لَبِيد ، وَالِي البِيرَةَ . وَكَانَ الحَكَمُ قَدْ وَقَّعَ لَهَا ، بِخَطِّ يَدِهِ ، تَحْرِيرَ أَملاكِهَا فَلَمْ يفدهَا . وَدَخَلَتْ إِلَى الإِمَام عَبْدُ الرَّحْمَن ؛ فَأَقَامَتْ بِفَنَائِهِ ، وَتَلَطَّفت مَعَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، حَتَّى أَوْصَلَتْهَا إِلَيْهِ . فَعَرَفَهَا وَعَرَفَ أَبَاهَا ثُمَّ أَنشَدَتْهُ : (طويل)

إِلَى ذِى النَّدَى وَالمَجْدِ سَارَتْ رَكَائِبِى ... عَلَى شَحَطٍ(3) تَصْلَى(4) بِنَارِ الهَوَاجِرِ

لِيَجْبُرَ صَدْعِى ، انهُ خَيْرُ جَابِـرِ ... وَيَمْنَعُنِى مِنْ ذِى الظُّلاَمَةِ جَابِـرِ

فَإِنِّى وَأَيتَامِـى بِقَبْضَـةِ كَفِّـهِ ... كَذِى رِيشٍ أَضْحَى فِى مَخَالِبِ كَاسِرِ

جَدِيرٌ لِمِثْـلِى أَنْ يُقَالَ مُرَوَّعَـه ... لِمَوْتِ أَبِىالعَاصِى(5) الذِى كَانَ نَاصِرِى

سَقَاهُ الحَيَا(6) لَوْ كَانَ حَيّاً لَما اعْتَدَى ... عَلَىَّ زَمَـانٌ بَاطِشٌ بَطْشَ قَـادِرِ

أَيَمْحُو الذِى خَطَّتْهُ يُمْنَاهُ جَابِـرُ ... لَقَدْ سَامَ بِالأَمْلاكِ إِحْدَى الكَبَائِـرِ

---

١) حسانة : قال عنها صاحب نفح الطيب : تأدبت وتعلمت الشعر . فلما مات ابوها كتبت الى الحكم تمدحه وتشكو اليه حالها وهى اذ ذاك بكر لم تتزوج . فلما وقف على شعرها استحسنه وامر لها باجراء مرتب وكتب الى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن .

2) الحكم الاول : تقدمت ترجمته (قطعة 15)

3) على شحط : على بعد

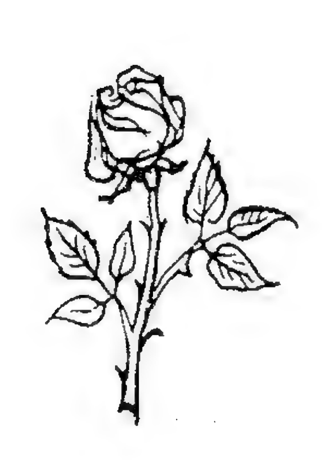
4) تصلى : تحرق والهواجر ج هاجرة وهى اشتداد الحرارة فى وسطالنهار

5) ابو العاصى : هو الحكم

6) الحيا هنا : المطر

وَلمَّا فَرَغَتْ رَفَعَتْ إِلَيهِ خَطَّ وَالِدِهِ وَحَكَتْ جَمِيعَ أَمرِهَا ، فَرَقَّ لَهَا وَأَخَذَ خَطَّ أَبِيهِ فَقَبَّلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ . وَقَالَ «تَعَدَّى ابنُ لَبِيدٍ طَورَهُ حَتَّى رَامَ نَقضَ رَأيِ الحَكَم ، وَحَسْبُنَا أَنْ نَسْلُكَ سَبِيلَهُ بَعْدَهُ ، وَنَحْفَظَ ، بَعْدَ مَوْتِهِ ، عَهدَهُ . انْصَرِفِي يَاحَسَّانَةَ ، فَقَدْ عَزَلتُهُ لَكِ». ثُمَّ وَقَّعَ لَهَا بِمِثْلِ تَوْقِيعِ أَبِيهِ الحَكَم . فَقَبَّلَتْ يَدَهُ ، وَأَمَرَ لَهَا بِجَائِزَةٍ ، فَانْصَرَفَتْ وَبَعَثَتْ لَهُ بِقَصِيدَةٍ تَمْدَحهُ فِيهَا . (*)

نفح الطيب



---

*) ذكر المقرى عدة نساء من الاديبات فى كتابه: نفح الطيب .

128) أبو بكر بن زهر ويعقوب المنصور

كَانَ أبُو بَكْرٍ(1) مُحَمَّدُ بنُ عَبْد المَلِكِ بنْ زُهْرٍ الطَّبِيب بِمَرّاكُش، وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ صَغِيرٌ بإشْبِيلِيَة فَقَالَ مُتَشَوِّقاً إلَيْهِ : (متقارب)

وَلِي وَاحِدٌ مِثْلُ فَرْخِ القَطَـا صَغِيرٌ تَخَلَّفَ قَلْبِي لَدَيْـهِ

وَأفْرِدْتُ عَنْـهُ ، فَيَا وَحْشَتِي لِذَاكَ الشُّخَيْصِ وَذَاكَ الوُجَيهِ !

تَشَوَّقَنِـي وَتَشَوَّقْتُـهُ فَيَبْكِي عَلَيَّ وَأبْكِي عَلَيْـهِ

وَقَدْ تَعِبَ الشَّوْقُ مَا بَيْنَنَـا فَمِنْـهُ إلَيَّ وَمِنِّي إلَيْـهِ

فَسَمِعَ أمِيرُ المُؤمِنِينَ يَعقُوبُ المَنْصُورُ (2) بِهَذِهِ الأبْيَـاتِ ، فَأرْسَلَ المهَنْدِسِينَ إلَى إشْبِيلِيَةَ ، وَأمَرَهُمْ أنْ يَحْتَاطُوا عِلماً بِبَيْتِ ابنِ زُهْرٍ وَحَارَتِه، ثُمَّ يَبنُوا مِثلَهُ بِحَضْرَةِ مَرّاكُش . فَفَعَلُوا مَا أمَرَهُمْ فِي أقْرَبِ مُدَّةٍ وَبَنَوْا الدَّارَ وَفَرَشُهَا بِمِثْلِ فَرْشِهِ ، وَجَعَلَ فِيهَا مثلَ آلاتِهِ ، ثُمَّ أمَرَ بِنَقْلِ عِيَالِ ابنِ زُهْرٍ وَأولادِهِ وَحَشَمِهِ وَأسْبَابِهِ إلَى تِلْكَ الدَّارِ ، ثُمَّ احْتَالَ عَلَيهِ حَتَّى جَاءَ إلَى ذَلِكَ الموضِع، فَرَآهُ أشْبَهَ شَيء بِبَيْتِهِ وَحَارَتِهِ ، فَاحْتَارَ لِذَلكَ ، وَظَنَّ أنَّهُ نَائِمٌ ، وَأنَّ ذَلِكَ أحْلامٌ فَقِيلَ لَهُ : ادْخُلِ البَيْتَ الذِي يُشْبِهُ بَيْتَكَ . فَدَخَلَهُ فَإذَا وَلَدَهُ الذِي تَشَوَّقَ إلَيْهِ يَلْعَبُ فِي البَيْتِ ، فَحَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ مَا لا مَزِيدَ عَلَيهِ. وَلاَ يُعَبِّرُ عَنْهُ . هَكَذَا هَكَذَا وَإلاَّ فَلاَ لاَ !!

نفح الطيب

---

1) ابو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (انظر قطعة 126) وهو عين ذلك البيت الشهير ومصباحهم المنير ولد باشبيلية ونشأ بها وتميز فى العلوم وبالخصوص فى الطب ـ حظى عند الموحدين ـ وكانت اخته وبنته عالمتين بالطب وكانتا تدخلان الى نساء المنصور وتعالجهن ـ يقال انه مات مسموماً سنة 596 هـ 1199 م.

2) يعقوب المنصور الموحدى تقدمت ترجمته (قطعة 63)

129) لمن هذا الكلام الذى اعذوذب مورده

كَانَ المُعْتَمِدُ بنُ عَبَّادٍ (1) ـ وَهوَ أَميرٌ ـ فَرَّطَ فِى أَمْرِ مَالِقَةَ (2)، فَخَذَلَهُ أَصْحَابهُ وَأَخْرَجَ مِنْهَا. فَلَجَأَ إِلَى رَنْدَةَ (3)، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً تَحْتَ مَوْجِدَةِ (4) أَبِيهِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ، يَسْتَعْطِفُهُ، قَصِيدَةً حَسَنَةً قَالَ فِيهَا: (بسيط)

إِنْ كُنْتَ فِى حَيْرَةٍ مِنْ جُرْمِ مُجْتَرِمٍ فَإِنَّ عُذْرَكَ فِى ظَلْمَائِهَا قَمَرُ
فَوِّضْ إِلَى اللّٰهِ فِيمَا أَنْتَ خَائِفُهُ وَثِقْ بِمُعْتَضِدٍ (1) بِاللّٰهِ يَغْتَفِرُ.. الخ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عِيسَى بنُ مُحَمَّدٍ اللَّخْمِى، المَعْرُوفُ بابنِ اللَّبَانَةِ(5): انَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَةَ، كَانَ يَحْفَظُ هَذَا الشِّعْرَ، خَرَجَ مِنْهَا، لِنِيَّةٍ مِنْهُ، إِلَى أَقْصَى حَيٍّ فِى العَرَبِ، فَأَوَى إِلَى خَيْمَةٍ وَلاَذَ بِذِمَّةِ رَاعٍ مِنْ رُعَاتِهِمْ. فَلَمَّا تَوَسَّطَ القَمَرُ، وَهَجَعَ السَّامِرُ (6)، تَذَكَّرَ الدَّوْلَةَ العَبَّادِيَةَ (1) وَرَوْنَقَهَا،

---

1) المعتمد بن عباد : ابو القاسم محمد بن عباد صاحب اشبيلية تولى الامر بعد ابيه المعتضد بالله الذى كان قاضيا على تلك المدينة ثم استقل بها أيام ملوك الطوائف. كان المعتمد أندى ملوك الاندلس راحة وأرحبهم ساحة، فقصده الادباء والشعراء أفواجا ـ وله شعر حسن، وهو الذى اعتقله الامير يوسف بن تاشفين بأغمات قرب مراكش فتوفى بها سنة 488 هـ. (1096 م.)

2) مالقة : مرسى فى الجنوب الشرقى من الاندلس .

3) رندة : قرية غرب مالقة .

4) موجدة : من وجد يجد عليه : غضب .

5) ابن اللبانة : اصله من دانية ـ كان المعتمد يستعذب شعره ولما نكب المعتمد وفى له ابن اللبانة ورحل اليه يؤنسه بشعره ويؤانسه، ولما مات رثاه بقصيدة موجعة توفى فى 496 هـ. 1103 م.

6) السامر : من سمر ، لم ينم وتحدث ليلا . ويقال له ايضا السمير .

فَطفقَ يُنْشِدُ القَصِيدَةَ بِأَحْسَنِ صَوْتٍ وَأَشْجَاه. فَمَا أَكْمَلَهَا حَتَّى رُفِعَ رِوَاقُ خَيْمَة عَنْ رَجُلٍ وَسِيمٍ ضَخْمٍ تَدلّ سِيمَا فَضْلِهِ عَلى أَنَّهُ سَيدُ أَهْلِهِ. فَقَالَ : يَاحَضَرِى حَيَّاكَ اللَّهُ ! لِمَنْ هَذَا الكَلاَمُ الذى اعْذَوْذَبَ (7) مَوْرِدُهُ وَاخْضَوْضَلَ (8) مَنْبِتُه، وَتحلّتْ بِقِلاَدَةِ الحَلاَوَةِ بِكْرُهُ، وَهَدَرَ بِشَقْشَقَةِ الجَزَالَةِ بَكْرُهُ (9)، فَقَالَ : هُوَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلوكِ الأَنْدَلُسِ، يُعْرَفُ بِابنِ عَبَّادٍ. فَقَالَ العَرَبِى : أَظُنُّ أَنَّ هَذَا المَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ المُلْكِ إلاَّ حَظٌّ يَسِيرٌ وَنَصِيبٌ حَقِيرٌ، فَمِثْلُ هَذَا الشِّعْرِ لَا يَقُولُهُ مَنْ شُغِلَ بِشَىءٍ دُونَهُ . فَعَرَّفَهُ الرَّجُلُ بِعظَمِ رِيَاسَتِهِ، وَوَصَفَ لَهُ بَعضَ جَلاَلَتِهِ. فَتَعَجَّبَ العَرَبِى مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ : مِمَّنِ الملكُ إنَّ كُنْتَ تَعْلَمُ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : هُوَ فِى الصَّمِيمِ مِنْ لَخْمٍ، وَالذُؤَابَةُ مِنْ يَعْرُبَ. فَصَرَخَ صَرْخَةً أَيْقَظَ الحَىَّ بِهَا مِنْ هَجْعَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَلُمُّوا ! هَلُمُّوا ! فَتَبَادَرَ القَوْمُ إِلَيْهِ يَنْثَالُونَ عَلَيْهِ. فَقَالَ : مَعْشَرَ قَوْمِى، اسْمَعُوا مَا سَمِعْتُهُ ، وَعُوا مَا وَعَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَفَخْرٌ طَلَبَكُمْ، وَشَرَفٌ تَلاَصَقَ بِكُمْ !!.. فَأَنْشَدَهُمُ الرَّجُلُ القَصِيدَةَ وَعَرَّفَهُمْ نَسَبَ المُعْتَمِد، فَخَامَرَتْهُمُ السَّرَاء وَدَاخَلَتْهُمُ العِزَّةُ، وَرَكِبُوا مِنْ طَرَبِهِمْ، مُتُونَ الخَيْلِ وَجَعَلُوا يَتَلاَعَبُونَ عَلَيْهَا، بَاقِى اللَّيْلِ. فَلَمَّا أَرْسَلَ اللَّيْلُ نَسِيمَهُ، وَشَقَّ الصُّبْحُ ، أَوْ كَادَ أَدِيمُهُ ، عَزَمَ عَمِيدُ القَوْمِ إِلَى عِشْرِينَ مِنَ الإِبلِ فَدَفَعَهَا إِلَى الرَّجُلِ، وَفَعَلَ الجَمِيعُ مِثْلَ مَا فَعَلَ. فَمَا رَأَدَ الضُّحَى إِلاَّ وَعِنْدَهُ هُنَيْدَةً مِنَ الإِبلِ. ثُمَّ خَلَطُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَجَعَلُوهُ مَقَرَّ سُرُورِهِمْ وَتَأَنُّسِهِمْ.

دوزى: اخبار ابن عباد

---

7) اعذوذب : اى صار عذبا .

8) اخضوضل : من خضل ندى وابتل .

9) البكر بالكسر : اول من يولد من الاولاد، وهنا : الجارية التى لم تتزوج . والبكر بالفتح : الفتى من الابل .

10) الذؤابة : شعر فى مقدمة الرأس . وذؤابة كل شىء : اعلاه. ويعرب: هنا العرب . ويعرب احد اجداد العرب .

الباب الرابع

الفصل الخامس

الاطباء والصيادلة

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً »

يَعْتَبِرُ الإِسْلَامُ الإِعْتِنَاءَ بِالصِّحَةِ مِنْ أَهَمِّ وَاجِبَاتِ الرَّاعِي وَالرَّعِيَةِ، إِذْ يَتَعَذَّرُ عَلَى السَّقِيمِ القِيَامَ بِالفَرَائِضِ الدِّينِيَّةِ وَالحَاجِيَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، كَمَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّمَتُّعُ بِمَا يُوتَى مِنْ رِزْقٍ وَعَقْلٍ . وَلِذَا كَانَ الخُلَفَاءُ وَالمُلُوكُ يُسَارِعُونَ إِلَى تَشْجِيعِ تَرْجَمَةِ كُتُبِ اليُونَانِ، وَمِنْ بَيْنِهَا المُؤَلَّفَاتُ الطِّبِّيَّةِ، وَيُقَرِّبُونَ ذَوِي الخِبْرَةِ وَالإِخْلَاصِ مِنَ الأَطِبَّاءِ، مُسْلِمِينَ كَانُوا أَوْ نَصَارَى أَوْ يَهُودُ، وَيُكرِمُونَ مَثْوَاهُمْ، وَيُمَهِّدُونَ لَهُمُ السُّبُلَ لِيَتَفَرَّغُوا لِلْبَحْثِ، وَالتَّدْوِينِ، وَالتَّفْكِيرِ، وَالتَّدْرِيسِ، مُخْتَلِفِينَ إِلَى المَنَازِلِ وَالمُسْتَشْفَيَاتِ، لِتَخْفِيفِ آلَامِ بَنِي الإِنْسَانِ. أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَى الجَمِيعِ وَمَا جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانِ .

بعض المراجع المهمة

1) حضارة العرب: لغسطاف لبون (ترجمة عادل زعيتر) الباب الخامس الفصل السادس .
2) تاريخ التمدن الاسلامى : لجرجى زيدان ج 3 ص 181 .
3) تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجى زيدان (فصول فى الطب والاطباء فى مختلف العصور) .
4) مفكرو الاسلام : لكارا ذى فو بالفرنسية ج 2
5) الطب العربى لبراون الانجليزى ترجمه الى الفرنسية الدكتور رونو.
6) مظاهر الاسلام : Visages de L'islam لجورج ريفوار بالفرنسية ص 145 وما بعدها .
7) عيون الانباء فى طبقات الاطباء : لابن ابى أصيبعة .
8) معجم الاطباء من 650 هـ. الى يومنا هذا : للدكتور احمد عيسى بك طبعة 1942 .
9) الطب عند العرب : للدكتور لوكلارء بالفرنسية .

130) تجربة طبية كيماوية

حَدَّثَ سُلَيْمان الخُرَسانِى مَوْلَى الرَّشيدِ (1)، أَنَّهُ كَانَ وَاقِفاً عَلَى رَأْسِ الرَّشِيدِ بِالحِيرَةِ وَهُوَ يَتَغَذَّى، إِذْ قُدِّمت لَهُ صَحْفَة فِيهَا سَمَكَةٌ مَنْعُوتَة السِّمَنِ فَحَاوَلَ الرَّشِيدُ أَكْلَ شَىءٍ مِنْهَا فَمَنَعَهُ طَبِيبُهُ جِبْرِيل بن بَخْتَيْشُوع(2)، وَأَشَارَ إِلَى صَاحِبِ المَائِدَةِ أَنْ يُشِيلَهَا عَنِ المَائِدَةِ، وَيعْزِلَهَا لَهُ. فَفَطِنَ لَهُ الرَّشِيدُ، فَلَمَّا رُفِعَتْ المَائِدَةُ، وَغَسَلَ الرَّشِيدُ يَدَيْهِ، وَخَرَجَ جِبْرِيلُ، أَمَرَنِى الرَّشِيدُ بِاتِّبَاعِهِ وَأَنْ أَكْبِسَهُ فِى مَنْزِلِهِ وَهُوَ يَأْكُلُ، فَأَرْجِعُ إِلَيْهِ بِخَبَرِه. فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِى بِه. وَأَحْسِبُ أَنَّ أَمرِى لَمْ يَخْفَ عَلَى جِبْرِيل. فَلَمَّا أَحْضَرَ لَهُ الطَّعَامَ وَفِيهِ السَّمَكَةُ، دَعَا بِأَقْدَاحٍ ثَلَاثَة، فَجَعَلَ فِى وَاحِدٍ مِنْهَا قِطْعَةً مِنَ السَّمَكِ وَصَبَّ عَلَيْهَا مِنْ خَمرِ طَبَرْيَانَ (قَرْيَةٌ بَيْنَ الكُوفَةِ والقَادِسِيَّة)، وَقَالَ : «هَذَا أَكْلُ جِبْرِيل» وَجَعَلَ فِى قَدَحٍ آخَرَ قِطْعَةً مِنْهَا وَصَبَّ عَلَيْهَا مَاءً بِثَلْجٍ شَدِيدِ البُرُودَةِ، وَقَالَ : «هَذَا أَكْلُ أَمِيرِ المؤمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ إِذَا لَمْ يَخْلِطِ السَّمَكَ بِغَيْرِه» ، وَجَعَلَ فِى القَدَحِ الثَّالِثِ قِطَعاً مِنَ اللَّحْمِ مِنْ أَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ شِوَاءٍ، وَحَلْوَى، وَبَوَارِدَ، وَبُقُول وَمِنْ سَائِرِ مَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مِنَ الأَلْوَانِ، مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا جُزْءاً يَسِيراً، مثلُ اللُّقْمَةِ واللُّقْمَتَيْنِ، وَصُبَّ عَلَيْهَا مَاءً بِثَلْجٍ وَقَالَ : «هَذَا أَكْلُ أَمِيرِ المؤمِنِينَ إِنَّ خَلَطَ السَّمَكِ بِغَيْرِه» . وَدَفَعَ الأَقْدَاحَ الثَّلَاثَةَ إِلَى صَاحِبِ المَائِدَةِ

---

1) الرشيد : انظر ترجمته في قطعة رقم 46

2) جبريل بن بختيشوع : آل بختيشوع من النصارى النساطرة وقد نبغ منهم فى الطب عدة افراد خدموا بنى العباس نحو ثلاثة قرون . وجبريل اخذ الطب عن والده وخدم جعفر بن يحيى البرمكي والرشيد والامين والمأمون ونال من سخائهم الاموال الطائلة مات 213 هـ 828م.

وَقَالَ : «احْتَفِظْ بِهَا إِلَى أَنْ يَنْتَبِهَ أَمِيرِ المؤمنينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى السَّمَكَةِ فَأَكَلَ مِنْهَا حَتَّى تَضَلَّعَ، وَكَانَ كُلَّمَا عَطِشَ دَعَا بِقَدَحٍ مِنَ الخَمْرِ الصِّرْفِ فَشَرِبَهُ. ثُمَّ قَالَ: فَلَمَّا انْتَبَهَ الرَّشِيدُ أَخْبَرْتُهُ بِالخَبَرِ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الأَقْدَاحِ. فَوَجَدَ مَا فِي القَدَحِ الأَوَّلِ قَدْ تَفَتَّتَ وَانْمَاعَ وَاخْتَلَطَ ، وَمَا فِي القَدَحِ الثَّانِي قَدْ رَبَا وَصَارَ عَلَى النِّصْفِ مِمَّا كَانَ، وَنَظَرَ إِلَى القَدَحِ الثَّالِثِ وَإِذَا مَا بِهِ قَدْ تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ ، وَحَدَثَتْ لَهُ سَهُوكَةٌ (3)، كَادَ الرَّشِيدُ أَنْ يَتَقَيَّأَ حِينَ قَرُبَ مِنْهُ. فَأَمَرَ بِحَمْلِ خَمْسَةَ آلافِ دِينَارٍ إِلَى جِبْرِيلَ وَقَالَ : «مَنْ يَلُومُنِي عَلَى مَحَبَّةِ هَذَا الرَّجُلِ الذِي يُدَبِّرُنِي بِهَذَا التَّدْبِيرِ ؟» فَأَوْصَلْتُ لَهُ المَالَ .

مروج الذهب ج 3 ص 264

3) سهوكة : ريح كريهة تجدها ممن عرق ومن اللحم المنتن او من السمك غير الطري .

131) اختبار المتوكل لطبيبه

دَعَا المتوَكِّلُ (1) الطَّبِيبَ النَّصْرَانِى حنين بن إسْحَاقَ (2)، فَأَقْطَعَهُ إقْطَاعاً سَنِياً، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ أشْيَاءٍ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءً يَقْتُلُ عَدُوّاً نُرِيدُ قَتْلَهُ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ إعْلَانُ هَذَا ، وَنُرِيدُهُ سِتْراً . فَقَالَ حنين : مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ، وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ المؤمنين يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا. ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَّدَهُ وَأَحْضَرَ سَيْفاً وَنَطْعاً ، فَقَالَ حنين : قَدْ قُلْتُ لأَمِيرِ المؤمنين مَا فِيهِ الكِفَايَة . فَقَالَ الخَلِيفَة : فَإنَّنِى أَقْتُلُكَ . قَالَ حنين : لِى رَبٌّ يَأْخُذُ لِى حَقِّى غَداً فِى المَوْقِفِ الأَعْظَمِ. فَتَبَسَّمَ المتوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ: طِبْ نَفْساً، فَإنَّنَا أَرَدْنَا امْتِحَانَكَ، وَالطُّمَأْنِينَةَ إلَيْكَ. فَقَبَّلَ حنين الأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ. فَقَالَ الخَلِيفَة : مَا الذِى مَنَعَكَ مِنَ الإجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيتَهُ مِنَ الأَمْرِ مِنَّا فِى الحَالَيْنِ؟ فَقَالَ حنين : شَيْئَانِ ، هُمَا الدِّينُ وَالصِّنَاعَةُ . أَمَّـــا الدِّينُ فَإنَّهُ يَأْمُرُنَا بِاصْطِنَاعِ الجَمِيلِ مَعَ أَعْدَائِنَا، فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالأَصْدِقَاءِ ؟! وَأَمَّا الصِّنَاعَةُ فَإنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ أَبْنَاءِ الجِنْسِ، وَمَقْصُورَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ. وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَ فِى رِقَابِ الأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِأَيْمَانٍ مُغَلَّظَةٍ أَنْ لَا يُعْطُوا دَوَاءً قَتَّالاً (3) . فَقَالَ الخَلِيفَة : إنَّهُمَا شَرْعَانِ جَلِيلَانِ . وَأَمَرَ بِالخُلَعِ فَأُفِيضَتْ عَلَيْهِ . فَخَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالاً وَجَاهاً .

مجاني الادب ج 4 ص 301 (عن ابي الفرج الملطي)

---

1) المتوكل : تقدمت ترجمته قطعة 85 .

2) حنين بن اسحاق : يعد من النقلة اذ ترجم كتبا كثيرة من اليونانية الى العربية وهو طبيب نصراني كان ابوه صيدلانيا بالحيرة، مات سنة 260 هـ. 874 م.

3) لا زال الاطباء الى اليوم يقسمون بيمين يسمى بيمين أبقراط .

132) المعالجة بالطرب

كَانَ بِجِوَارِ الفَيْلَسُوفِ الكِنْدِى (1) رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ التُجَارِ، لَهُ ابن قَدْ كَفَاهُ أَمرَ بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، وَضَبْطِ دَاخِلِهِ وَخَارِجِهِ. فَعَرَضَ لابْنِهِ هَذَا سَكْتَةٌ(2) فُجْأَةً. فجَزَعَ التَّاجِرُ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَدْرِى مَا الذِى فِى أَيْدِى النَّاسِ وَمَا لَهُمْ عَلَيْهِ. وَحَيْثُ أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الازْدِرَاءِ عَلَى الكِنْدِى، وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَدع بِمَدِينَةِ السَّلَامِ(3) طَبِيباً، إِلَّا رَكِبَ إِلَيْهِ وَاسْتَرْكَبَهُ لِيَنْظُرَ ابْنَهُ، وَيُشِيرَ عَلَيْهِ فِي العِلَاجِ، فَلَمْ يُجِبْهُ كَثِيرٌ مِنَ الأَطِبَّاءِ لِكِبَرِ العِلَّةِ وَخَطَرِهَا، وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْهُمْ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ كَبِيرَ غَنَاءٍ. فَقِيلَ لَهُ: أَنْتَ فِى جِوَارِ فَيْلَسُوفِ زَمَانِهِ، وَأَعْلَمِ النَّاسِ بِعِلَاجِ هَذِهِ العِلَّةِ، فَلَوْ قَصَدْتَهُ لَوَجَدْتَ عِنْدَهُ مَا تُحِبُّهُ، فَدَعَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ تَحَمَّلَ عَلَى الكِنْدِى بِأَحَدِ إِخْوَانِهِ، فَثَقَّلَ عَلَيْهِ فِى الحُضُورِ، فَأَجَابَ وَصَارَ إِلَى مَنْزِلِ التَّاجِرِ. فَلَمَّا رَأَى ابْنَهُ وَأَخَذَ مَجَسَّهُ، أَمَرَ بِأَنْ يَحْضُرَ إِلَيْهِ مِنْ تَلَامِيذِهِ، فِى عِلْمِ المُوسِيقَى (1) ، من قَدْ أمعنَ فِى الحَذقِ بِضَرْبِ العُودِ، وَعَرَفَ الطَّرَائِقَ المحْزِنَةَ، وَالمزْعِجَةَ، وَالمقَوِّيَةَ لِلْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ. فَحَضَرَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يدِيمُوا الضَّرْبَ عِنْدَ رَأسِهِ، وَأَنْ يَأْخُذُوهُ فِى طَرِيقَةٍ أَوْقَفَهُمْ عَلَيْهَا، وَأَرَاهُمْ مَوَاقِعَ النَّغَمِ بِهَا، مِنْ أَصَابِعِهِمْ عَلَى الدَّسَاتِيرِ وَنَقْلِهَا. فَلَمْ يَزَالُوا

---

1) الكندى: هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى الملقب بفيلسوف العرب وله القدم الراسخة فى الطب والفلسفة والمنطق والموسيقى والهندسة، وتبلغ تآليفه فى هذه العلوم نحو مائتى كتاب او رسالة علت مكانته عند المامون والمعتصم . مات سنة 246 هـ. 860 م

2) سكتة : اى سكتة قلبية .

3) مدينة السلام : بغداد .

يضربُونَ فِى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ ، وَالكِنْدِى آخِذٌ مَجَسَّ الغُلَامِ، وَهُوَ فِى خِلَالِ ذَلِكَ يَمْتَدُّ نَفَسُهُ، وَيَقْوَى نَبْضُهُ، وَيَتَرَاجَعُ إِلَيْهِ نَفَسُهُ شَيْئاً فَشَيْئاً إِلَى أَنْ تَحَرَّكَ ثُمَّ جَلَسَ وَتَكَلَّمَ، وَأُوْلَئِكَ يَضْرِبُونَ فِى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ دَائِماً لاَ يَفْتُرُونَ. فَقَالَ الكِنْدِى لأَبِيهِ : سَلْ ابْنَكَ عَنْ عِلْمِ مَا تَحْتَاجُ إِلَى عَمَلِهِ، مِمَّا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، وَأَثْبِتْهُ. فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَسْأَلُهُ، وَهُوَ يُخْبِرُهُ. فَلَمَّا أَتَى عَلَى جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، غَفَلَ الضَّارِبُونَ عَنْ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ الَّتِى كَانُوا يَضْرِبُونَهَا، وَفَتَرُوا، فَعَادَ الصَّبِيُّ إِلَى الحَالِ الأُولَى، وَغَشِيَهُ السُّكَاتُ. فَسَأَلَهُ أَبُوهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِمُعَاوَدَةِ مَا كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهِ، فَقَالَ: هَيْهَاتَ ، إِنَّمَا كَانَتْ صَبَابَةٌ قَدْ بَقِيَتْ مِنْ حَيَاتِهِ، وَلَا سَبِيلَ لِي وَلَا لأَحَدٍ مِنَ البَشَرِ إِلَى الزِّيَادَةِ فِى مُدَّةٍ مِن انْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ، إِذْ قَدْ اسْتَوْفَى العَطِيَّةَ وَالقَسَمَ الذِى قَسَّمَ اللَّهُ لَهُ .

اخبار العلماء ص 246



133) ملاحظة طبية لطيفة

جاءَ فِى كِتَابِ ابن القِفْطِى(1) أنَّ ثَابِتَ بنَ قُرَّةَ (2)، اجْتَازَ يَوْماً، مَاضِياً إِلَى دَارِ الخَلِيفَةِ. فَسَمِعَ صِيَاحاً وَعَوِيلاً. فَقَالَ: مَاتَ القَصَّابُ الذِى كَانَ فِى هَذَا الدُّكَّانِ ؟ فَقَالُوا : أَيْ وَاللَّهِ يَاسَيِّدَنَا، البَارِحَةَ فُجْأَةً. فَقَالَ : مَا مَاتَ، خُذُوا بِنَا إِلَيْهِ، فَعَدَلَ النَّاسُ وَحَمَلُوهُ إِلَى دَارِ القَصَّابِ. فَتَقَدَّمَ إِلَى النِّسَاءِ بِالإِمْسَاكِ عَنِ اللَّطْمِ وَالصِّيَاحِ، وَأَمَرَهُنَّ بِأَنْ يَعْمَلْنَ مُزَوَّرَةً (3) وَأَوْمَأَ إِلَى بَعْضِ غِلْمَانِهِ أَنْ يَضْرِبَ القَصَّابَ عَلَى كَعْبِهِ بِالعَصَا، وَجَعَلَ يَدَهُ فِى مَجَسِّهِ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ يَضْرِبُ كَعْبَهُ إِلَى أَنْ قَالَ: حَسْبُكَ، وَاسْتَدْعَى قَدَحاً، وَأَخْرَجَ مِنْ كُمِّهِ دَوَاءً، خَلَطَهُ فِى القَدَحِ بِقَلِيلٍ مِنَ المَاءِ، وَفَتَحَ فَمَ القَصَّابِ، وَسَقَاهُ إِيَّاهُ، فَأَسَاغَهُ، وَوَقَعَتْ الصَّيْحَةُ وَالزَّعْقَةُ فِى الدَّارِ وَالشَّارِعِ، بِأَنَّ الطَّبِيبَ قَدْ أَحْيَا المَيِّتَ. فَتَقَدَّمَ ثَابِتٌ بِغَلْقِ البَابِ، وَفَتَحَ القَصَّابُ عَيْنَيْهِ، فَأَطْعَمَهُ مُزَوَّرَةً، وَأَجْلَسَهُ، وَقَعَدَ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَإِذَا بِأَصْحَابِ الخَلِيفَةِ قَدْ جَاءُوا يَدْعُونَهُ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ، وَالدُّنْيَا قَدْ انْقَلَبَتْ، وَالعَامَّةُ حَوْلَهُ يَتَعَادَوْنَ، إِلَى أَنْ دَخَلَ دَارَ الخِلَافَةِ. وَلَمَّا مُثِّلَ بَيْنَ يَدَيِ الخَلِيفَةِ قَالَ لَهُ : يَاثَابِتُ مَا هَذِهِ المَسِيحِيَّةُ (4)

---

1) ابن القفطى : انظر ترجمته فى آخر الكتاب

2) ثابت بن قرة : هو الطبيب الحكيم الرياضى المترجم ـ خدم الخليفة المعتضد، وقد جعله هذا فى جملة المنجمين، وكان يقبل عليه. يحادثه محادثة الخلان. مات سنة 288 هـ. 902 م

3) مزورة : طبيخ يتخذ من الحبوب او البقول بغير لحم .

4) ما هذه المسيحية ؟ : اشارة الى ما فعل سيدنا عيسى عليه السلام ، فانه احيا الميت باذن الله .

التي بلغتنا عنك ؟ قال: يامولاى كنت أجتاز على هذا القصاب وألحظه يشرح الكبد ويطرح عليها الملح، ويأكلها، فكنت أستقذر فعله أولاً، ثم قدرت أن سكتة ستلحقه فصرت أراعيه، وإذ علمت عاقبته انصرفت، وركبت دواء للسكتة أستصحبه معى فى كل يوم. فلما علمت أن السكتة لحقته، دخلت إليه، ولم أجد له نبضاً، فضربت كعبه إلى أن عادت حركة نبضه، وسقيته الدواء، ففتح عينيه وأطعمته مزورة والليلة يأكل رغيفاً بدراج (5). وفى غد يخرج من بيته .

من كتاب اخبار العلماء



(5) دراج : طير .

134) أطباء في البيمارستان

قَالَ ابنُ أَبِى أُصَيبعةَ (1) : مُهَذِّبُ الدِّينِ بن عَلِىّ، هُوَ شَيْخنَا الكَبِيرُ، العَالِمُ الفَاضِلُ. كَانَ فِى مَبْدَأ أَمْرِهِ كَحَّالًا (2)، وَخَدَمَ بِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ فِى البِيمَارِسْتَان بِدِمِشْقَ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالطِّب، وَقَرأَ، وَنَسَخَ كُتُباً عَدِيدَةً، مِنْهَا كِتَابُ القَانُون لابنِ سِينَاء (3). فَأَطلَقَ لَهُ الصَّاحِبُ صَفِىُّ الدِّينِ بن شُكْر ، وَزِيرُ المَلِكِ العَادِلِ (4)، أَبِى بَكْرٍ بنِ أَيُّوب جَامِكيَّة (5) عَلَى الطِّب، وَارْتَقَى أَمرهُ إِلَى أَنْ صَارَ رَئِيسَ أَطِبَّاء دِيَارِ مِصْرَ بِأَسْرِهَا، وَأَطِبَّاء الشَّامِ. وَفَوَّضَ إِلَيْهِ المَلِكُ العَادِلُ النَّظَرَ فِى أَمْرِ الكَحَّالِينَ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ ابْنُهُ المَلِكُ المعَظَّمُ جِرَايَةً، وَرَسَمَ لَهُ أَنْ يُقِيمَ بِدِمِشْقَ مَسْقِط رَأْسِهِ، وَيَتَرَدَّدَ إِلَى البِيمَارِسْتَان، وَيُعَالِجَ المَرْضَى بِهِ. فَشَرَعَ هُنَاكَ فِى تَدْرِيسِ صِنَاعَةِ الطِّب. وَأَقَمْتُ أَنَا

---

1) ابن ابى أصيبعة : انظر ترجمته فى آخر الكتاب .

2) كحالا : يداوى العيون .

3) ابن سيناء : هو الشيخ الرئيس ابو على الحسين بن عبد الله بن سيناء استاذ حكماء عصره، وامام اطباء دهره، ويسميه الافرنج «أفسان». ولد قرب بخارى ــ قرأ العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية، وغاص على اسرارها حتى وقف على حقائقها ودقائقها. وعانى اسفارا متعددة، ولقى من الامراء والرؤساء اعزازا وحفاوة. وله نحو مائة تصنيف اشهرها «كتاب القانون» فى الطب و«كتاب الشفاء» يحتوى على 18 مجلدا جمع فيه العلوم الفلسفية. مات سنة 429 هـ. 1037 م،

4) الملك العادل : هو الرابع من ملوك بنى ايوب، تولى الامر على مصر سنة 596 هـ. 1200 م. وكانت مدته تسع عشرة سنة ، حارب الصليبيين وكان شجاعا خبيرا بالحيل .

5) جامكية : مرتب خدام الدولة من العسكرية والملكية .

بدمشق لأجْلِ القِرَاءَةِ عَلَيْهِ. فَقرأْتُ عَلَيْهِ كُتُبَ جيلانوسْ (6)، وَلاَزمْته فِي وَقْتِ مُعَالَجَتِه لِلْمَرْضَى، فَتَدَرَّبْتُ مَعه فِي ذَلِكَ. وَكَانَ مَعَهُ فِي البيمارِسْتَان الحَكِيمُ عِمْرَانُ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ الأَطِبَّاءِ، فَتَضَاعَفَتُ الفَوائِدَ المُقْتَبَسَةَ مِنْ اجْتِمَاعِهِمَا، وَمِمَّا كَانَ يَجْرِي بَيْنَهُمَا مِنَ الكَلاَمِ فِي الأَمْرَاضِ وَمُدَاوَاتِهَا، وَمِمَّا كَانَ يصفانه لِلْمَرْضَى مِنَ المحْمُومِينَ، والممْرُورِينَ (7) وَغَيْرِهِم . وَكَانَ بالبيمَارِسْتَان الشَّيْخُ رَضِيّ الدّين الرَّحْبِيّ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الأَطِبَّاءِ سِنّاً ، وَأَشْهَرِهِمْ ذِكْراً. فكَانَ يَجْلِسُ عَلَى دَكَّةٍ، وَيكْتُبُ لمنْ يأتي إِلَى البيمَارِسْتَان، وَيَسْتَوْصِفُ مِنْهُ لِلْمَرْضَى أَوْرَاقاً يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا، وَيَأْخُذُونَ بِهَا مِنَ البِيمَارِسْتَان الأَشْرِبَةَ وَالأَدْوِيةَ التِي يَصِفُهَا. فَكُنْتُ أَجْلِسُ مَعَهُ فَأُعَايِنُ كَيْفِيَةَ اسْتِدْلاَلِهِ عَلَى الأَمْرَاضِ، أَبْحَثُ مَعَهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرَاضِ وَمُدَاوَاتِهَا . وَكَانَ الشَّيْخُ مُهَذَّب الدِّينِ ، إِذَا تَفَرَّغَ مِنَ البِيمَارِسْتَان وَافْتَقَدَ المرْضَى مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ وَأَكَابِرِهَا وَغَيْرِهِمْ، يَأْتِي إِلَى دَارِه، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي القِرَاءَةِ وَالدَّرْسِ وَالمطَالَعَةِ، فإِذَا فَرَغَ أَذِنَ لِلْجَمَاعَةِ فَيَدْخُلُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْتِي قَوْمٌ بَعْدَ قَوْمٍ مِنَ الأَطِبَّاءِ وَالمشْتَغِلِينَ، وَكَانَ يُقْرِىءُ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَرْسَهُ، وَيَبْحثُ مَعَهُ فِيهِ، وَيُفَهِّمُهُ إِيَّاهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ، وَيَبْحَثُ فِي ذَلِكَ مَعَ المتَسَيِّرِينَ مِنْهُمْ، إِنْ كَانَ المَوْضُوعُ يَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ بَحْثٍ، أَوْ فِيهِ إِشْكَالٌ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيرٍ، وَكَانَ أَبَداً لَا يُفَارِقُهُ إِلَى جَانِبِهِ، مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الكُتُبِ الطِّبِّيَةِ، وَمِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ.. مَاتَ رَحِمَهُ اللّٰهُ سَنَةَ 628 هـ فِي 15 صَفر .

من كتاب عيون الانباء (231 ـ 244) باختصار

❋

---

6) جيلانوس : طبيب يوناني .

7) الممرورين : الذين غلبت عليهم المرة وهاجت ـ المرة خلط من اخلاط البدن وهو الصفراء او السوداء .

135) الاعتناء لمعالجة المسجونين
وأهل السواد

كانتْ مَنْزِلَةُ سِنَان (1) كَبِيرَة عِنْدَ الأُمَرَاءِ وَالوُزَرَاءِ. فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الوَزِيرَ عَلِى بنَ عِيسَى بنْ الجَرّاح (2) وَقَعَ إِلَيْهِ فِى سَنَة، كَثُرَتْ فِيهَا الأَمْرَاضُ وَالأَوْبَاءُ، تَوْقِيعاً نُسْخَتُهُ : «..فَكَّرْتُ - مَدَّ اللَّهُ عُمُرَكَ - فِى أَمْرِ مَنْ فِى الحُبُوسِ، وَأنَّهُمْ لَا يَخْلُونَ، مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، وَجَفَاءِ أَمَاكِنِهِمْ، أَنْ تَنَالَهُمُ الأَمْرَاضُ وَهُمْ مُعَوّقُونَ عَنِ التَصَرُّفِ فِى مَنَافِعِهِمْ ، وَلِقَاءِ مَنْ يُشَاوِرُونَهُ مِنَ الأَطِبَّاءِ فِى أَمْرَاضِهِمْ، فَيَنْبَغِى - أكْرَمَكَ اللهُ - ان تُفْرِدَ لَهُمْ أَطِبَّاءَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ فِى كُلِّ يَوْمٍ، وَيَحْمِلُونَ مَعَهُمْ الأَدْوِيَةَ وَالأَشْرِبَةَ، وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ المَزَوَّرَاتِ (3)، وَتَتَقَدَّمُ إِلَيْهِمْ بِأَنْ يَدْخُلُوا سَائِرَ الحُبُوسِ، وَيُعَالِجُوا مَنْ فِيهَا مِنَ المَرْضَى، وَيُزِيحُوا عِلَلَهُمْ، فِيمَا يَصِفُونَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» فَفَعَلَ سِنَان، ثُمَّ وَقَعَ إِلَيْهِ تَوْقِيعاً آخَرَ : «فَكَّرْتُ فِيمَنْ بِالسَّوَادِ (4) مِنْ أَهْلِهِ،

---

1) سنان بن ثابت بن قرة السابق الذكر : تخرج عن ابيه ولحق به في الحذق والتمهر - خدم المقتدر والقاهر والراضى - وكان يشارف بامر المقتدر مارستانات بغداد ومكلفا بامتحان الاطباء - له رسائل ومصنفات عديدة فى الطب والهندسة والهيئة وسائر العلوم الرياضية - توفى ببغداد سنة 331 هـ. 943 م.

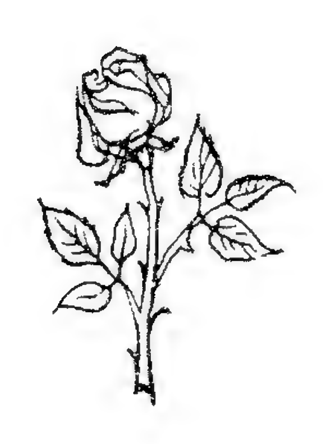
2) على بن عيسى بن الجراح البغدادى الكاتب الوزير، وزر للمقتدر والقاهر - كان فاضلا ورعا متزهدا - كانت ايامه احسن ايام وزير. توفى سنة 334 هـ. 946 م.

3) المزورة : طبيخ يتخذ من الحبوب والبقول بغير لحم ويعطى للمرضى.

4) السواد : المناطق القريبة من بغداد وسميت بالسواد لكثرة نخيلها وخصب اراضيها .

وَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَرْضَى لَا يُشْرِفُ مُتَطَبِّبٌ عَلَيْهِمْ، لِخُلُوِّ السَّوَادِ مِنَ الأَطِبَّاءِ. فَتَقَدَّمْ ـ مَدَّ اللَّهُ عُمُرَكَ ـ بِإِنْفَاذِ مُتَطَبِّبِينَ، وَخِزَانَةٍ مِنَ الأَدْوِيَةِ وَالأَشْرِبَةِ، يَطُوفُونَ فِي السَّوَادِ، وَيُقِيمُونَ فِي كُلِّ صَقْعٍ مِنْهُ مُدَّةً مَا تَدْعُو الحَاجَةُ إِلَى مَقَامِهِمْ، وَيُعَالِجُونَ فِيهِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى غَيْرِهِ» . فَفَعَلَ سِنَانُ.

كتاب اخبار الحكماء



136) امتحان الصيادلة

قَالَ زَكَرِياء الطَّيْفُورِيّ الإِسْرَائِلِي، مُتَطَبِّبُ الفَتْح بنُ خَاقَان (1) : كُنْتُ مَعَ الأَفْشِين (2)، فِي مُعَسْكَرِه، وَهُوَ فِي مُحَارَبَةِ بَابك (3). فَلَمَّا بَلَغَتْ القِرَاءَةُ (4) بِالقَارِىءِ إِلَى مَوْضِعِ الصَيَادِلَةِ، قَالَ لِي: يَازَكَرِيَاءُ، ضَبْط هَؤُلَاءِ الصَيَادِلَةِ عِنْدِي أَوْلَى مِمَّا تَتَقَدَّم فِيهِ، فَامْتَحِنْهُمْ حَتَّى تعرِّف مِنْهُمْ النَّاصِحَ، وَمَنْ لَهُ دِينٌ، وَمَنْ لَا دِينَ لَهُ. فَقُلْتُ : أَعزَّ اللَّهُ الأَمِير، إِنَّ يُوسُفَ لَقْوَةَ الكِيمَائِيَ (5)، كَانَ يَدْخُل عَلَى المأْمُونِ (6) كَثِيراً، وَيَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ يَوْماً : وَيْحَكَ يَايُوسف، لَيْسَ فِي الكِيمِيَّاءِ شَيءٌ ! فَقَالَ : بَلَى يَاأَمِيرَ المؤمِنِينَ، الصَيْدَلَانِي لَا يطْلبُ مِنْهُ شَيءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ، كَانَ عِنْدَهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ، إِلَّا أَخْبَرَ أَنَّهُ عِنْـدَهُ ... فَإِنْ رَأَى أَمِير المؤمِنِينَ أَنْ يَضَعَ اسْماً مِـنَ الأَسْمَاءِ

---

1) الفتح بن خافان: وزير المعتصم فالمتوكل ـ وقتل مع هذا الاخير اثر مؤامرة دبرها ابن الخليفة

2) الافشين حيدر بن كاوس التركى . كان فى مقدمة قواد المعتصم ـ وقد سجنه هذا لما تحقق بكفره (يقال انه كان يظهــر الاسلام ويخفى المجوسية) وخيانته، حتى مات. فاخرجت جثته وصلبت ثم احرقت.

3) بابك الخرمي: خرج على المامون سنة 201هـ فى شمال بلاد فارس وانتهت الفتنة التى اثارها سنة 221 فى عهد المعتصم .

4) القراءة : هنا قراءة الجرائد والازمة التى بها أسماء الرجال الذين صحبوا الجيش من أطباء وصيادلة وكتاب وغيرهم .

5) الكيمائى: الذى يشتغل بعلم الكيمياء، وكانت غاية المغرمين بهذا العلم البحث عن «الحجرة الكريمــة»: ولهــذا قال المأمــون ليس فى الكيمياء شىء .

6) المامون : تقدمت ترجمته قطعة 14 .

لا يعرفُ، وَيُوَجِهُهُ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّيَادِلَةِ فِي طَلَبِهِ لابْتِيَاعِهِ، فَلْيَفْعَلْ. قَالَ المأمُونُ : قَدْ وَضَعْتُ الإِسْمَ وَهُوَ «شَفطيثاً» (وَشَفْطِيثاً ضِيعَةٌ مِنَ الضِيَّاعِ قُرْبَ مَدِينَةِ السَّلاَمِ)، فَسَيَّرَ المأمُونُ جَمَاعَةً مِنَ الغِلْمَانِ إِلَى الصَّيَادِلَةِ، يَسْأَلُونَهُمْ عَنْ «شَفطيثاً». فَكُلٌّ ذَكَرَ أَنَّهَا عِنْدَهُ، وَأَخَذَ الثَّمَنَ، وَدَفَعَ شَيْئاً مِنْ حَانُوتِهِ . فَصَارُوا إِلَى المأمُونِ بِأَشْيَاءَ مُخْتَلِفَة، فَمِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِقِطْعَةِ حَجَرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَى بِقِطْعَةِ وَتَدٍ، وَمِنْهُمْ مَنَ أَتَى بِبَعْضِ البُزُور. فَاسْتَحْسَنَ المأمُونُ نُصْحَ يُوسُفَ لَقْوَةَ عَنْ نَفْسِهِ. قَالَ زَكَرِيَاء لِلأفْشِين : فَإِنْ رَأَى أَمِير المؤمِنِينَ أَنْ يَمْتَحِنَ الصَّيَادِلَةَ بِمِثْلِ مِحْنَة المأْمُونِ فَلْيُفْعَلْ. فَامْتَحَنَهُمْ الأفْشِين، وَأَذِنَ لِمَنْ ظَهَرَ صِدْقهُ بِالمقَامِ فِي مُعَسْكَرِهِ، وَكَتَبَ إِلَى المعْتَصِمِ يَلْتَمِسُ مِنْهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ صَيَادِلَةَ لَهُمْ أَدْيَانٌ، وَمُتَطَبِّبِينَ مِثل ذَلِكَ. فَاسْتَحْسَنَ المعْتَصِمُ فِعْلَهُ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمنْ سَأَلَ .

كتاب اخبار العلماء ص129



الباب الرابع

الفصل السادس

العلوم

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ بِالعِلْمِ ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالعِلْمِ ، وَمَنْ أَرَادَهُمَا مَعًا فَعَلَيْهِ بِالعِلْم » وَقَالَ : (يُوزَنُ يَوْمَ القِيَّامَةِ مِدَادُ العُلَمَاءِ وَدَمُ الشُّهَدَاءِ ، فَيُرَجَّحُ مِدَادُ العُلَمَاءِ عَلَى دَمِ الشُّهَدَاءِ) .

إِنَّهُ لَمِنَ الصَّعْبِ أَنْ نَلِمَّ فِي كَلِمَةٍ وَجِيزَةٍ بِجَمِيعِ مَا قَامَ بِهِ المُسْلِمُونَ، وَمَنِ انْضَوَى إِلَيْهِمْ مِنْ حُكَمَاءِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ، فِي المَيْدَانِ العِلْمِي، وَأَنْ نُعَدِّدَ الأَعْلَامَ الأَمَاثِلَ مِنَ المُنَجِّمِينَ، وَالفَلَكِيِّينَ، وَالمُهَنْدِسِينَ، وَالفَلَاسِفَةِ، وَالجُغْرَافِيِّينَ الخ. الذِينَ شَمَّرُوا عَلَى سَاقِ الجِدِّ لِلنَّقْلِ، وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّبْوِيبِ وَالتَّنْقِيحِ، وَالاسْتِنْبَاطِ، فِي جَوٍّ كَثِيراً مَا سَادَتْهُ الحُرِّيَّةُ الفِكْرِيَّةُ. بَلْ يَكْفِينَا أَنْ نَقُولَ إِنَّهُمْ «جَمَعُوا خُلَاصَةَ عُلُومِ الأَقْدَمِينَ، مِنْ يُونَانٍ، وَفُرْسٍ، وَسِرْيَانٍ وَهُنُودٍ، وَانْبَاطٍ، ومصريين، وغيرهم .. وَعَنَوْا بِهَا مُدَّةً مِنَ الدَّهْرِ ، وَعَنْهُمْ اقْتَبَسَهَا الأَفْرَنْجُ، حِينَ تَنَبَّهَتْ هِمَمُهُمْ مِنْ سُبَاتِهَا، فِيمَا يُسَمُّونَهُ بِعَصْرِ الانْبِعَاثِ» ، وَينعى عَلَى هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ مَسَخُوا الكَثِيرَ مِنْ أَسْمَاءِ العُلَمَاءِ حَتَّى صَارَ مِنَ المُتَعَذِّرِ عَلَى المُتَعَلِّمِينَ رَدَّهَا إِلَى أَصْلِهَا .

وَلَقَدْ اكْتَفَيْنَا هُنَا بِاخْتِيَارِ قِطَعٍ تَتَجَلَّى فِيهَا بَعْضُ مَظَاهِرِ هَذِهِ الحَرَكَةِ المُبَارَكَةِ، مُحِيلِينَ البَاحِثِينَ عَلَى المَرَاجِعِ المُفِيدَةِ وَأَقْرَبِهَا لِلطَّلَبَةِ .

1) تاريخ التمدن الاسلامي : لجرجي زيدان (ج 2 العرب والعلوم الدخيلة).

2) تاريخ الآداب العربية : لبلاج (العلماء ص 387).

3) حاضر العالم الاسلامي : تعريب عجاج نويهض وتعاليق الامير شكيب ارسلان ج. 1 ص 137 . (الحركة العلمية في الحضارة العربية)

4) الاسلام والحضارة العربية : لكرد علي (ج 1 اثر العلوم في الغرب)

5) مفكرو الاسلام : لكارا ذي فو بالفرنسية – ج 2 .

6) العالم الاسلامي : لمايركوف بالفرنسية .

7) منتخبات من آثار الجغرافيين : للاستاذ بلاشير .

8) كتاب الفهرست : لابن النديم .

9) طبقات الامم : لابن صاعد (ترجمه الاستاذ بلاشر الى الفرنسية)

137) عالم مخترع

مِنْ حِكَايَاتِ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ فِى الذَّكَاءِ، وَاسْتِخْرَاجِ العُلُومِ، وَاسْتِنْبَاطِهَا، أَنَ أَبَا القَاسِمِ عَبَّاس بنْ فِرْنَاس (1)، حَكِيم الأَنْدَلُسِ، أَوَّلُ مَنِ اسْتَنْبَطَ بِبِلَادِ الأَنْدَلُسِ، صِنَاعَةَ الزُّجَاجِ مِنَ الحِجَارَةِ (2)، وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا كِتَاب العَرُوضِ لِلْخَلِيلِ (3)، وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الموسِيقَى، وَصَنَعَ الآلَةَ المَعْرُوفَةَ بِالمِنْقَالَة(4) لِيَعْرِفَ الأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَلَا مِثَالٍ(5). وَاحْتَالَ فِى تَطْيِيرِ جُثْمَانِهِ، وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ، وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ، وَطَارَ فِى الجَوِّ مَسَافَةً بَعِيدَةً، وَلَكِنَهُ لَمْ يُحْسِنِ الاحْتِيَالَ فِى وُقُوعِهِ، فَتَأَذَّى فِى مُؤَخِّرِهِ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِّهِ (6) ، وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنَباً .

وَقَدْ صَنَعَ فِى بَيْتِهِ هَيْئَةَ السَّمَاءِ، وَخَيَّلَ لِلنَّاظِرِ فِيهَا النُّجُومَ، وَالغُيُومَ وَالبُرُوقَ وَالرُّعُودَ. وَكَانَ كَثِيرَ الاخْتِرَاعِ حَتَّى نُسِبَ إِلَيْهِ السِّحْرُ وَعَمَلَ الكِيمِيَّاء وَكَثُرَ عَلَيْهِ الطَّعْنُ فِى دِينِهِ .

كتاب نفح الطيب، وكتاب المغرب فى حلى المغرب

---

1) ابن فرناس : هو قرطبى المولد والنشأة، وبيته من برابر تاكرونا كان يعيش فى عهد الحكم الربضى ثالث سلاطين بنى امية بالاندلس.

2) يصنع الزجاج من الحجارة : اى من الرمل والطباشير .

3) الخليل : تقدمت ترجمته قطعة 102 .

4) المنقالة : فى بعض النسخ النقالة وفى اخرى المثقال .

5) على غير رسم : اى من غير ان يرى رسما لها او مثالا .

6) زمك : ذنب الطير او أصل ذنبه .

138) التشريح (*)

قَالَ يُوسُفَ بنْ إِبْرَاهِيم : قَدِمَ جُرْجَةُ بنَ زَكَرِيَاء (1)، فِى شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ 221، إِلَى سُرَّ مَنْ رَأَى، وَأَهْدَى إِلَى المُعْتَصِمِ (2) هَدَايَا فِيهَا قِرْدَةٌ. فَإِنِّى عِنْدَ يُوحَنَا (3)، فِى اليَوْمِ الثَّانِى مِنْ شَوَّال مِنْ هَذِهِ السَّنَة، وَأَنَا أُعَاتِبُهُ عَنْ تَخَلُّفِهِ عَنْ حُضُورِ الدَّارِ فِى ذَلِكَ الوَقْتِ ، لأَنِّى رَأَيْتُ سَلْمَوَيْهِ (4) ، وَبُخْتِيشُوع(4)، وَالجَرِيشَ(4) المُتَطَبِّبِينَ وَقَدْ وَصَلُوا ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا غُلَامٌ مِنَ الأَتْرَاكِ الخَاصَّةِ، وَمَعَهُ قِرْدٌ مِنَ القُرُودِ التِى أَهْدَاهَا مَلِك النَّوْبَةِ، لَا أَذْكُرُ أَنِّى رَأَيْتُ أَكْبَرَ مِنْهُ جُثَّةً، وَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَمِير المُؤمِنِينَ زَوِّجْ هَذَا القِرْدَ مِنْ حُمَاحِم قِرْدَتِكَ . وَكَانَ لِيُوحَنَا قِرْدَةٌ يُسَمِّيهَا حُمَاحِمُ، كَانَ لَا يَصْبِرُ عَنْهَا

---

*) فائدة: كان اطباء العرب يصنعون خيط الجراح من امعاء القط حتى اذا خيط الجرح التأم، وهضم الجسم الخيط دون حاجة الى نزعه . ولا زال هذا الخيط مستعملا فى الجراحة الى يومنا هذا .

1) جرجة أو جرجيس بن زكرياء : ملك النوبة .

2) المعتصم: هو ابن الرشيد ، ولى الخلافة بعد اخيه المأمون (218هـ. 227.) وتوفى بسر من راى

3) يوحنا بن ماسوية: الطبيب النصرانى الشهير ترجم كتبا للرشيد وخدم الامين والمامون والمعتصم والمتوكل، وعلت منزلته عندهم وله كتاب فى الجذام، لم يسبقه احد الى مثله، وكتاب فى الماليخوليا واسبابها وعلاجها، مات سنة 243 هـ. 857 م.

4) سلمويه، والجريش، وبختيشوع : من الاطباء واشتهر منهم هذا الاخير وكان من آل بختيشوع المشهورة بالطب والذى خدم منهم المعتصم هو بختيشوع ابن جبريل الذى نال منه ومن الواثق والمتوكل من بعده الهبات الواسعة مات سنة 257 هـ. 870 م. وكان هؤلاء الاطباء الثلاثة من المقربين عند المعتصم حتى كان يسمى سلمويه : ابى .

سَاعَةً . فَوَجَم لِذَلِكَ ثُمَّ قَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لِأَمِيرِ المؤمِنِينَ إِنَّ اتِّخَاذِي لِهَذِهِ القِرْدَةِ غَيْرُ مَا تَوَهَّمَهُ أَمِيرُ المؤمِنِينَ، وَإِنَّمَا دَبَّرْتُ تَشْرِيحَهَا، ووضع كِتَابٌ عَلَى مَا وَضَعَ جيلانوس(5) فِي التَّشْرِيحِ، يَكُونُ جَمَالٌ وَضْعِي إِيَّاهُ لِأَمِيرِ المؤمِنِينَ، وَكَانَ فِي جِسْمِهَا قِلَّةٌ، تَكُونُ العُرُوقُ فِيهَا وَالأَوْرَادُ، وَالعصبُ دِقَاقاً ! فَلَمْ أَطْمَعْ فِي اتِّضَاحِ الأَمْرِ فِيهَا مِثْل اتِّضَاحِهِ فِيمَا عَظُمَ جِسْمُهُ، فَتَرَكْتُهَا لِتَكْبُرَ، وَيغلُظَ جِسْمُهَا. فَأَمَّا إِذْ قَدْ وَافَى هَذَا القِرْدُ فَسَيَعْلَمُ أَمِيرُ المؤمِنِينَ أَنِّي سَأَضَعُ لَهُ كِتَاباً لَمْ يُوضَعْ فِي الإِسْلَامِ مِثْلُهُ. ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ بِالقِرْدِ، فَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ كِتَابٌ حَسَنٌ، اسْتَحْسَنَهُ أَعْدَاؤُهُ فَضْلاً عَنْ أَصْدِقَائِهِ .

عيون الانباء ج 1 ص 178



5) جيلانوس : طبيب يوناني .

139) معمل كيمائي

قَالَ الوَزِيرُ الكَاتِبُ ، أَبُو عَامِرٍ أَحْمَد بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنْ شُهَيْدٍ (1) : كُنْتُ، أَيَّامَ اخْتِلَافِنَا إِلَى الزَّاهِرَةِ ، صَحِبْتُ رَجُلاً (2)، وَكُنَّا كَثِيراً مَا نَتَدَارَسُ ضُرُوبَ العِلْمِ مِنْ أَدَبٍ، وَخَبَرٍ، وَفِقْهٍ، وَطِبٍّ، وَصِنَاعَةٍ، وَحِكْمَةٍ، عَلَى أَنَّهُ فِي العِلْمِ «وَاوُ عَمْرٍو»(3)، وَكَانَ ـ وَلَا أَشْعُرُ ـ يُدَالِسُ وَيُوَالِسُ(4)، قَدْ اسْتَهْتَرَ عَلَى الفُلُوسِ، وَاسْتَهْلَكَ عَلَى التَّدْلِيسِ (4).. فَقَصَدْتُهُ يَوْماً عَلَى جَهْلٍ بِتِلْكَ الخَلِيقَةِ مِنْهُ، لِأَسْتَرِيحَ إِلَيْهِ.. فَأَلْفَيْتُهُ قَدْ خَلَا بَابُهُ، وَغَابَ بَوَّابُهُ، فَوَلَجْتُ، فَثَارَ إِلَيَّ صَبِيٌّ غَرِيرٌ، أَصَبْتُهُ هُنَاكَ قَائِلاً لِي: طَالَ انْتِظَارُنَا لَكَ!. فَتَقَدَّمَنِي وَسِرْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَارٍ ذَاتَ أَجْوَانٍ(5)، قَدْ غَشِيَهَا دُخَانٌ كَقِطَعِ العَنَانِ(6)، تَعْبَقُ مِنْهَا صُنَانٌ مِنْ زِرْنِيخٍ، وَكِبْرِيتٍ، وَزَنْجَفُور (7) وَأَنْزَرُوت (8). فَتَذَكَّرْتُ

---

1) ابن شهيد: كان جده احمد بن عبد الملك وزير عبد الرحمن الناصر. ولد بقرطبة ايام الحاجب ابن أبي عامر ، اتصل بالمظفر ابنه ثم باخيه الناصر وغيرهما من ملوك الطوائف . له ديوان شعر وكتاب التوابع والزوابع . مات سنة 426 هـ.

2) رجلا : إن هذا الرجل هو الوزير الكاتب خالد بن يزيد الكيمائي ابو عبد الله الفرضي وكان الاشتغال بالكيمياء يومئذ غير محمود عندهم.

3) واو عمرو : اى لا فائدة فيه فهو زائد. وقد زيدت الواو للتميز بين عمر وعمرو .

4) يوالس : يخادع . والتدليس : الغش , ويدالس : يخادع كذلك.

5) اجوان ج جون مفردها جونة واصلها الهمز : وهي سفط مغشى بجلد. ويطلق على الخابية .

6) العنان بالفتح : السحاب .

7) زنجفور : معدن متفتت يعمل منه الحبر الاحمر ويتبخر به لنوع من القمل يتشبث بالجلد .

8) الانزروت : صمغ فارسي ويقال له إيضا عنزروت .

قَوْلَهُ تعالَى : «يَوْمَ تَأتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ. هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ»، فاسْتَشعَرْتُ الشرَ، وَارَدْتُ الفَرّ، ثمَّ التفتُّ فإذَا أنَا بِاكداسِ جَمْرٍ، وَآلاتِ تِبْرٍ؛ وَأَشْخَاصٍ سُودٍ وَصُفْرٍ، ثُمَّ أَفْضَيتُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ عِدَّةُ أَشْبَاحٍ كَأَنَّهَا قُبَاضُ الأَرْوَاحِ، غَرَابِيبُ (9) بِأَيْدِيهِمْ كَلاَلِيبُ، زَرادِق (9)، قَدْ تَقَلَّدَتْ مَطَارِقَ . فَلَمَّا رَأَوْنِى صَاحُوا : «فَضَحكُمُ الوَاغِلُ (10)، فَامْحَقُوهُ مِنْ عَاجِلٍ». فَلَمَّا نَظَرْتَ إِلَى المنِيَّةِ، وَخَشِيتُ فَضْحَ القَضِيَّةِ، ضَحِكْتُ إِلَيْهِمْ وَقُلْتُ: «تَخَطَّتْكُمْ النِّعْمَةُ ! وَلاَ هُدِيتُم سَبِيلَ الحِكْمَةِ ! أَهَكَذَا تَعْجَلُونَ وَلاَ تَدْرُونَ مَنْ تُرِيدُونَ!؟ قَالُوا : وَمَنْ أنتِ ؟ قُلْتُ : مَنْ أَخَذَ الطَّلْقَ (11)، فَسَحَقَهُ بِالمدَقِّ، وَشَقَّ، بِيَدِ الذكَاءِ، عَنْ زَهْرَةِ الأَشْيَاءِ فَبَشَّرَ الآبَاءَ بِالأَبْنَاءِ. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: بِنَارٍ أَوْ بِمَاءٍ ؟ قُلْتَ : بِهِمَا جَمِيعاً، وَبِهَوَاءٍ . فَأَوْمَضُوا (12) إِلَيَّ ضَاحِكِينَ، وَاسْتَقْبَلُونِى مُعْتَذِرِينَ. قُلْتُ: وَأَيْنَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالُوا: انْفَرَدَ يُرَقِّقُ مَاءَ بَيْضٍ، وَيُصَفِّقُ دَمَ حَيْضٍ، وَغَرَضُهُ اسْتِخْرَاجُ دُهْنِ الحَجَرِ الكَرِيمِ(13). فَقُلْتُ: نَفْسٌ (14) حَدِيثٌ أَوْ قَدِيمٌ ؟ فَنَادَوْا أَوَاه أَوَاه ! عَلَى الخَبِيرِ سَقَطْتُمْ ! ثُمَّ تَلَطَّفْتُ وَخَرَجْتُ تَطِيرُ بِى رِجْلاَيَ، وَقَدْ حَقَنَ اللَّهُ دَمِى بِعَطْفِهِ .

ذخيرة ابن بسام ج 1 ص 186

---

9) الغرابيب : ج غريب وهو الاسود اللون والشيخ يسود شيبه بالخضاب. والزرادق : صفوف الناس .

10) الواغل : الداخل على القوم فى طعامهم وشرابهم من غير استئذان.

11) الطلق : نبات له حب كالعدس واصل غليظ ملآن لبنا. يسهل البطن، واستعمال لبنه خطر ـ وقد يخلط بالعقاقير ويصنع منه دواء.

12) اومضوا : اشاروا

13) الحجر الكريم : اى الحجر الفلسفى Pierre Philosophale الذى يحول المعادن ذهبا .

14) النفس : الحيض من نفست المراة كسمع اى حاضت

140) النباتات والادوية المفردة

كَانَ رَشِيد الدِّين الصُّورِى (وُلِدَ بِمدِينَةِ صُور سَنَةَ 573 هـ) وَحِيدَ زَمَانِهِ ، فِى مَعْرِفَةِ الأَدْوِيةِ المُفْرَدَةِ ، وَماهِيَاتِهَا ؛ وَاخْتِلاَفِ أَسْمَائِهَا وَصِفَاتِهَا. قَدْ خَدَمَ المِلكَ العَادِلَ (1) أَبَا بَكْرِ بنِ أَيُّوبِ ، فَابْنَهُ المِلكَ المُعَظَّمَ ، فَحَفِيدَهُ المِلكَ النَّاصِرَ . وَلَهُ كِتَابُ فِى هَذِهِ الأَدْوِيَةِ ؛ بَدأَ فِى عِلْمِهِ أَيَّامَ المُعَظَّمِ ... وَكَانَ يَسْتَصْحِبُ مُصَوِّراً ، وَمَعَهُ الأَصْبَاغُ وَاللِّيَقَ عَلَى اخْتِلاَفِهَا وَتَنَوُّعِهَا ؛ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى المَوَاضِعِ التِى بِهَا النَّبَات ، مِثْلُ جِبَال لُبْنَان ؛ وَغَيْرِهِ مِنَ المَوَاضِعِ التِى قَدْ اخْتَصَّ كُلٌّ مِنْهَا بِشَىءٍ مِنَ النَّبَاتِ ، فَيُشَاهِدُ النَّبَاتَ ، ثُمَّ يُحَقِّقُهُ ؛ وَيُرِيهِ لِلْمُصَوِّرِ ؛ فَيَعْتَبِرُ لَوْنَهُ ، وَمِقْدَارَ وَرَقِهِ وَأَغْصَانِهِ وَأُصُولِهِ ، وَيُصَوِّرُ بِحَسْبِهَا ؛ وَيَجْتَهِدُ فِى مُحَاكَاتِهَا . ثُمَّ إِنَّهُ سَلَكَ فِى تَصْوِيرِ النَّبَاتِ مَسْلَكاً مُفِيداً ؛ وَذَلِكَ انَّهُ كَانَ يُرِى النَّبَاتَ لِلْمُصَوِّرِ فِى إِبَّانِ نَبَاتِـهِ وَطَرَاوَتِـهِ ، فَيُصَوِّرُهُ ؛ ثُمَّ يُرِيهِ إِيَّاهُ أَيْضاً وَقْتَ كَمَالِهِ وَظُهُورِ بِزْرِهِ فَيُصَوِّرُهُ تِلْوَ ذَلِكَ ؛ وَيُرِيهِ إِيَّاهُ أَيْضاً فِى وَقْت ذَوِّيهِ وَيُبْسِهِ فَيُصَوِّرُهُ ؛ فَيَكُونُ الدَّوَاءُ الوَاحِـدُ يَشَاهِدُهُ النَّاظِرُ إِلَيْهِ فِى الكِتَاب ، وَهُوَ عَلَى انحاءِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَرَاهُ بِهِ فِى الأَرْضِ ، فَيَكُونُ تَحْقِيقُهُ لَهُ أَتَمَّ وَمَعْرِفَتُهُ لَهُ أَبْيَنَ .

عيون الانباء ج 2 ص 219

(1) الملك العادل : تقدمت ترجمته (قطعة رقم 134)

141) الفلسفة

قَالَ أَبُو الوَلِيد بنْ رُشْدٍ (1) : «لما دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ المؤمِنِينَ، أَبِى يَعْقُوب يُوسُفَ (2) بن عَبْد المؤمِنِ، وَجَدْتُهُ هُوَ وَأَبُو بَكْرِ بن طُفَيْلٍ (3)، لَيْسَ مَعَهُمَا غَيْرُهُمَا. فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ يُثْنِى عَلَىَّ ،وَيذكُرُ بَيْتِى وَسَلَفِى، وَيَضُمُّ بِفَضْلِهِ إِلَى ذَلِكَ أَشْيَاءَ لَا يَبْلُغُهَا قَدْرِى. فَكَانَ أَوَّلُ مَا فَتَحَنِى بِهِ أَمِيرُ المؤمِنِينَ، بَعْدَ أَنْ سَأَلَنِى عَنْ إِسْمِى، وَاسْمِ أَبِى، وَنَسَبِى، أَنْ قَالَ لِى: مَا رَأْيُهُمْ فِى السَّمَاءِ - يَعْنِى الفَلَاسِفَةَ - أَقَدِيمَةٌ هِى أَمْ حَدِيثَةٌ ؟. فَأَدْرَكَنِى الحَيَاءُ وَالخَوْفُ (4)، فَأَخَذْتُ أَتَعَلَّلُ، وَأُنْكِرُ اشْتِغَالِى بِالْفَلْسَفَةِ، وَلَمْ أَدْرِ مَا قَرَّرَ مَعَهُ ابْنُ طُفَيْلٍ. فَفَهِمَ مِنِّى أَمِيرُ المؤمنينَ الرَّوْعَ وَالحَيَاءَ، فَالْتَفَتَ إِلَى ابنِ طُفَيْلٍ، وَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ عَلَى المَسْأَلَةِ التِى سَأَلَنِى عَنْهَا، وَيَذْكُرُ مَا قَالَهُ أَرسطُوطَاليس(5) وَأَفْلَاطُون (6)، وَجَمِيع الفَلَاسِفَةِ، وَيَذْكُرُ مَعَ ذَلِكَ احْتِجَاجَ أَهْلِ الإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ. فَرَأَيْتُ مِنْهُ

1) ابن رشد: ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد، ولد بقرطبة، وكان أبوه وجده قاضيين - ضاع الكثير من كتبه وبقى بعض ما ترجم منها الى اللاتينية والعبرية. مات سنة 595 هـ. 1198 م

2) ابو يعقوب يوسف الموحدى انظر قطعة 63 .

3) ابو بكر بن طفيل: ولد بوادى آش بالاندلس، وتعلم على ابن باجة وعلم الطب بغرناطة، وكان قاضيا بمراكش وطبيب ابى يعقوب . له كتاب «حى بن يقظان» .

4) خاف ابن رشد لانه كان الاشتغال بالفلسفة يعد ايام المرابطين، عند بعض الناس من الزندقة ، وقد احرق الكثير من كتبهم .

5) ارسطوطاليس : هو العالم اليونانى الشهير .

6) أفلاطون : تلميذ ارسطو وقد ترجم المسلمون جل كتبهما واستفادوا منها وانتقدوها .

غَزَارَةَ حَظٍّ لَمْ أَظُنُّهَا فِى أَحَدٍ مِنَ المُسْتَقِلِّينَ بِهَذَا الشَّأْنِ المتَفَرِّغِينَ لَهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَبْسُطِنِى حَتَّى تَكَلَّمْتُ فَعَرَفَ مَا عِنْدِى مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا انْصَرَفْتُ أَمَرَ لِى بِمَالٍ وَخِلْعَةٍ وَمَرْكَبٍ .

وَقَالَ : «اسْتَدْعَانِى أَبُو بَكْرٍ بنُ الطُّفَيْلِ يَوْماً فَقَالَ لِى: سَمِعْتُ اليَوْمَ أَمِيرَ المؤمِنِينَ يَتَشَكَّى مِنْ قَلَق عِبَارَةِ ارُسُوطَالِيس، أَوْ عِبَارَةِ المتَرْجِمِينَ عَنْهُ، وَيَذْكُرُ غُمُوضَ أَغْرَاضِهِ، وَيقُولُ: لَوْ وَقَعَ لِهَذِهِ الكُتُبِ مَنْ يُلَخِّصُهَا، وَيقَرِّبُ أَغْرَاضَهَا، بَعْدَ أَنْ يَفْهَمَهَا فَهْماً جَيِّداً، لَقَرُبَ مَأْخَذهَا عَلَى النَّاسِ. فَإِنْ كَانَ فِيكَ فَضْلُ قُوَّةٍ لِذَلِكَ فَافْعَلْ. وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ تَفِىَ بِهِ لِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ جَوْدَةِ ذِهْنِكَ، وَصَفَاءِ قَرِيحَتِكَ، وَقُوَّةِ نُزُوعِكَ إِلَى الصِّنَاعَةِ (7).. فَكَانَ هَذَا الذِى حَمَلَنِى عَلَى تَلْخِيصِ مَا لَخَّصْتهُ مِنْ كُتُبِ الحَكِيمِ أرسطوطَالِيس .

المعجب ص 147



7) الصناعة : هنا الفلسفة .

142) الجغرافيا

قَالَ ابنُ جُبيْرٍ(١)، عَنْ مَلِكِ صِقِلِّيَةَ، رُوجر الثّانى 3 : وَشَأْنُ مَلِكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِى حُسْنِ السِّيرَةِ وَاسْتِعْمَالِ المُسْلِمِينَ.. وَرِجَالُهُ مِنَ المُسْلِمِينَ يَلُوحُ عَلَيْهِمْ رَوْنَقُ مَمْلَكَتِهِ، لأنَّهُمْ مُتَمَتِّعُونَ فِى المَلاَبِسِ الفَاخِرَةِ، وَالمَرَاكِبِ الفَارِهَةِ..» (الرحلة)

قَالَ الإدْرِيسى (3) : «إنَّ المَلِكَ رُوجر، المُعْتَزَّ بِاللَّهِ، المُقْتَدِرُ بِقُدْرَتِهِ، مَلِكُ صِقِلِّيَةَ وَإِيطَالِيَةَ وَأَنْكَرْدَةَ وَقلورِيَةَ لما اتَّسَعَ سُلْطَانُهُ، أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفِيَةَ بِلاَدِهِ، وَيَعْلَمَ أَشْكَالَهَا وَحُدُودَهَا، وَمَسَاكِنَهَا بَرّاً وَبَحْراً، فَطَلَبَ الكُتُبَ التى أُلِفَت فِى الجَغْرَافِيَةِ وَالأقَالِيمِ، فَلَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فِيهَا مَشْرُوحاً مُفَصَّلاً. فَأَحْضَرَ لَدَيْهِ العَارِفِينَ بِهَذَا الشَّأْنِ، وَبَاحَثَهُمْ فِيهَا، فَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ رَأْيُهُمْ وَصَحَّ عِنْدَهُ نَقْلُهُمْ أَبْقَاهُ، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ارجَاهُ. أَقَامَ فِى ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. فَلَمَّا تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ، أَمَرَ أَنْ يُفْرَغَ لَهُ، مِنَ الفِضَّةِ الخَالِصَةِ، دَائِرَةً عَظِيمَةً(*)

---

*) **فائدة:** المشهور ان الادريسى هو الذى وقف على صنع هذه الدائرة. وعلى كل حال فقد جاء كتابه واصفا لما فى اشكال الدائرة، وصورها، وقد ظل هذا الكتاب عمدة اوربا فى الجغرافية، وخاصة فيما يتعلق بالبلاد الشرقية، مدة طويلة .

١) ابن جبير : انظر ترجمته فى آخر الكتاب .

2) روجر الثانى: ملك صقلية من سنة ١١٠١ الى ١١٥4 م.

3) الادريسى : ابو عبد الله محمد الشريف ولد بسبتة، وتعلم بقرطبة، وسافر كثيرا، واقام ببلاط روجر مدة طويلة، وهناك وضع كتابه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» وحلاه بعدة خرائط. مات سنة 560 هـ. ١١66 م.

الجِرْمِ، ضَخْمَةَ الجِسْمِ، فِى وَزْنِ أَرْبَعمائة رِطْلٍ، فِى كُلِّ رِطْلٍ مِنْهَا مِائة وَإِثْنَا عشَر دِرْهماً، ثُمَّ أَمرَ الفَعَلَةَ أَنْ يَنْقُشُوا عَلَيْهَا صُوَرَ الأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ بِبِلاَدِهِ، وَأَطْوَالِهَا وَأَقْطَارِهَا، وَسُبُلِهَا، وَرِيفِهَا وَخُلْجَانِهَا وَبِحَارِهَا، وَمَجَارِيهَا وَنَوَابِعِ أَنْهَارِهَا، وَغَامِرِهَا وَعَامِرِهَا، وَمَا بَيْنَ كُلِّ بَلَدٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الطُّرُقَاتِ المَطْرُوقَةِ، وَالأَمْيَالِ المَحْدُودَةِ ، وَالمَسَافَاتِ، وَالمَرَاسِى ، وَلاَ يُغَادِرُوا فِيهَا شَيْئاً»

نزهة المشتاق



صورة ابن سينا التى أمكن التقاطها من اللوحة المرسومة على حائط مكتبة بأكسفورد (عن مجلة المستمع العربى)



143) الزلازل

قَال الشّيخُ ابنُ سِينَا (I) فى كِتَابِه الشّفاء : «أمّا الزّلْزَلَةَ فإنّها حَرَكَةٌ تُعْرِضُ لِجُزْءٍ مِنْ أَجْزاءِ الأَرْضِ، بِسَبَبِ مَا تَحْتَه، وَلَا مَحالَةَ أنّ ذَلِكَ السّبَبَ يُعرِضُ لَهُ أَنْ يَتحرّكَ ثمّ يُحرّكَ مَا فَوْقَهُ. وَالجِسْمُ الذِى يُمْكِنُ أَنْ يَتحرّكَ تَحْتَ الأَرْضِ وَيُحرّكَ الأرْضَ إمّا جِسْمٌ بُخارى دُخّانيّ قَوِيّ الإنْدفاع كَالرّيحِ الذِى يَشُقّ الخَوَابِى إذَا تَولّدَ فِى العَصِيرِ، وَإمّا جِسْمٌ مَائِي سَيّالٌ ، وَإمّـا جِسْمٌ هَوَائِى، وَإمّا جِسْمٌ نَارِي. وَإمّا جِسْمٌ أرْضِي. وَأَمّا الجِسْمُ النّارى فإنّهُ لَا يَحْدُثُ تَحْتَ الأَرْضِ وَهُوَ نَارٌ صِرْفَةٌ، بَلْ يَكُونُ لَا مَحَالَةَ فِى حُكْمِ الدُّخَانِ القَوِيّ، وَفِى حُكْمِ الرّيحِ المُشْتَعِلَةِ.... وَالجِسْمُ الأرْضِيّ لَا تعرضُ لَهُ الحَرَكَةُ أيْضاً إلاّ بِسَبَبِ مِثْلَ الذى عَرَضَ لِهَذا الجِسْمِ النّارِي، فَيَكُونُ السّبَبُ الأوّلُ الفَاعِلُ لِلزّلْزَلةِ ذَلكَ. وَأمّا الجِسْمُ الرّيحى نَارِياً كَانَ أوْ غيْرَ نَارِي، فإنّهُ يجبُ أنْ يَكُونَ هُـوَ المُنبعِثُ تَحْتَ الأرْضِ الموجب لِتَموّجِ الأرْضِ فِى أكْثرِ الأمْرِ». (*)



---

*) **فائدة:** «على هذا النحو من التحرى تقررت فى كتاب ابن سينا فوائد قيمة، عن تكوين الجبال والمعادن والحجارة، واجتمعت له ملاحظات عن الظواهر الجوية كالسحب والرياح وقوس قزح الخ» .

سلسلة «اقرأ» ج 46

I) الشيخ ابن سينا : تقدمت ترجمته فى قطعة رقم I34

144) بناء مرصد

لما قدم شريف الدولة (1) إلى بغداد، أمر في سنة 378، برصد الكواكب السبعة في مسيرها وتنقلها في بروجها، على مثل ما كان المأمون فعله في أيامه، وعوّل على ابن سهل ويجن بن رستم الكوفي (2) في القيام بذلك، وكان حسن المعرفة بالهندسة وعلم الهيئة. فبنى بيتاً في دار المملكة، في آخر بستان، مما يلي باب الحطابين، وأحكم أساسها وقواعدها لئلا يضطرب بنيانها، أو يجلس شيء من حيطانها . وعمل فيها آلات استخرجها، ورصد ما كتب به محضران، فيهما خطوط الحاضرين بما شهدوا. واتفقوا عليه ، وهذه نسخة المحضر الأول .

«بسم الله الرحمن الرحيم. اجتمع من ثبت خطه وشهادته في أسفل هذا الكتاب، من القضاة ووجوه أهل العلم، والكتاب والمنجمين والمهندسين، بموضع الرصد الشريف الميمون، عظم الله بركته وسعادته، في البستان من دار مولانا السيد الأجل .. شاهنشاه شريف الدولة .. بالجانب الشرقي من مدينة السلام، من يوم السبت، لليلتين بقيتا من صفر سنة 378، وهو اليوم السادس عشر من حزيران 1299 للاسكندر، فتقرر الأمر فيما شاهدوه من الآلة التي أخبر عنها أبو سهل ويجن بن رستم الكوفي، على أن دلت

---

1) شريف الدولة : هو ابو الفوارس ابن عضد الدولة ـ خلف اباه في ايام الخليفة العباسي الطائع لله. عرف بالعطف على الرعية. مات ببغداد سنة 379 هـ.

2) ابو سهل الكوفي: هو المنجم الفاضل العالم بعلم الهيئة وصنع الآلات له مصنفات كثيرة في الهندسة والتنجيم، منها كتاب الاصول على تحريكات اقليدس، وكتاب الزيادات على ارشيماد .

عَلَى صِحَّةِ مَدْخَلِ الشَّمْسِ رَأْسَ السَّرَطان، بَعْدَ مُضِيِّ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مُعْتَدِلَةٍ سَوَاءً، مِنَ اللَّيْلَةِ المَاضِيَةِ، التِى صَبَاحهَا المْذكُورُ فِى صَدْرِ هَذَا الكِتَاب، وَاتَّفَقُوا جَمِيعاً عَلَى التَّيَقُّنِ لِذَلِكَ، وَالثِّقَةِ بِهِ، بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ جَمِيع مَنْ حَضَرَ مِنَالمنَجِّمِينَ وَالمهَنْدِسِينَ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ لَهُمْ تَعَلُّقٌ بِهَذِهِ الصِّنَاعَةِ وَخِبْرَةً بِهَا، تَسْلِيماً لاَ خِلاَفَ فِيهِ بَيْنَهُمْ ، إِنَّ هَذِهِ الآلَة جَلِيلَةُ الخَطَرِ، بَدِيعَةَ المعْنَى، مُحَكَّمَةَ الصَّنْعَةِ، وَاضِحَةَ الدِّلاَلَةِ، زَائِدَة فِى التَّدْقِيقِ عَلَى جَمِيعِ الآلاَتِ التِى عرفَتْ وعهدتْ، وَأَنَّهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى أَبْعَدِ الغَايَاتِ فِى الأَمْرِ المرْصُـــودِ، وَالغَرَضِ المقْصُودِ، وَأَدَّى الرَّصْدُ بِهَا إِلَى أَنْ يَكُونَ بُعْدُ سَمْتِ الرَّأْسِ مِنْ مَدارِ رَأْسِ السَّرَطان سَبْع دَرَجٍ وَخَمْسِينَ دَقِيقَةً، وَأَنْ يَكُونَ المَيْلُ الأَعْظَمُ الذِى هُوَ غَايَةُ بُعْدِ مَنْطَقَةِ فَلَكِ البُرُوجِ عَنْ دَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ، ثَلاَثاً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَإِحْدَى وَخَمْسِينَ دَقِيقَةً وَثَانِيةً، وَأَنْ يَكُونَ عَرْضُ الموْضِعِ الذِى تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَوَقَعَ الرَّصْدِ فِيهِ كَذَا وَكَذَا، وَذَلِكَ هُوَ ارْتِفَاعُ قُطْبِ مُعَدَّل النَّهَارِ عَنْ أُفُقِ هَذَا المَوْضِعِ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ» .

وَنُسْخَةُ المحْضَرِ الثَّانِى هِىَ :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .. ثُمَّ اجْتَمَعَ فِى يَوْمِ الثَّلاَثَاءِ، لِثَلاَثِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الأَخِيرَةِ سَنَةَ 378 .. وَالثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ ايلول سَنَةَ 1299 لِلأَسْكَنْدَر، جَمَاعَة مِمَّنْ ثَبتَ خَطّهُ مِنَ القُضَاةِ وَالشُّهُودِ وَالمنَجِّمِينَ وَالمهَنْدِسِينَ وَأَهْلَ العِلْمِ بِالهَنْدَسَةِ وَالهَيْئَةِ، بِحَضْرَةِ الآلَةِ المقَدَّمِ ذِكْرُهَا فِى صَدْرِ هَذَا الكِتَابِ، عَلَى أَنْ رَصَدُوا مَدْخَلَ الشَّمْسِ رَأْسَ المِيزَانِ بِهَذِهِ الآلَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مُضِىّ أَرْبَع سَاعَات مِنَ اليَوْمِ المقَدَمِ ذِكْرُهُ، وَهُوَ يَوْمُ الثَّلاَثَاءِ . فَكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَطَّهُ بِصِحَّةِ مَا شَاهَدَهُ مِنْ ذَلِكَ، فِى التَّارِيخِ. وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الوَكِيل . أَسْمَاءَ مَنْ كَانَ حَاضِراً لِذَلِكَ وَكتبَ خَطَّهُ آخِرَ هَذَيْنِ المحْضَرَيْنِ : القَاضِى أَبُو بَكْرٍ بنِ صَبْر، وَالقَاضِى أَبُو الحَسَن الخوزِيِ، وَأَبُو إِسْحَاق إِبْرَاهِيم بنُ هِلَال، وَأَبُو سَعْدٍ الفَضْلِ بنُ بُولِس النَّصْرَانِىّ الشّيرَازِى، وَأَبُو سَهْل وَيَجن بنُ رُسْتُم، وَأَبُو الوَفَاء مُحَمَّد بنُ مُحَمَّد الحَاسِب، وَأَبُو حَامِد أَحْمَد بنُ مُحَمَّد الصَّاغَانِى صَاحِبُ الأَصْطُرْلَاب، وَأَبُو الحَسَن مُحَمَّد بنُ مُحَمَّد الشَّامِرِى وَأَبُو الحَسَنْ المغْرِبِى» .

كتاب اخبار الحكماء ص 230



145) فكرة صائبة تحققت في زماننا

وَمِمَّا يُحكى أَنَّهُ كانَ، فِي قَدِيمِ الزَّمانِ، مَلِكٌ عَظِيمٌ ذُو خَطَرٍ جَسِيمٍ، وَكَانَ لَهُ ثَلاثُ بَناتٍ مِثْلُ الْبُدُورِ السَّافِرَةِ، وَالرِّيَاضِ الزَّاهِرَةِ، وَوَلَدٌ ذَكَرٌ كَأَنَّهُ القَمَرُ. فَبَيْنَمَا المَلِكُ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ ثَلاثَةٌ مِنَ الحُكَماءِ، مَعَ أَحَدِهِمْ طَاوُوسٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَعَ الثَّانِي بُوقٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَمَعَ الثَّالِثِ فَرَسٌ مِنْ عَاجٍ وَأَبْنُوسٍ. فقالَ لَهُمْ المَلِكُ: مَا هٰذِهِ الأَشْيَاءُ وَمَا مَنْفَعَتُهَا ؟ فَقَالَ صَاحِبُ الطَّاوُوسِ : إِنَّ مَنْفَعَةَ هَذَا الطَّاوُوسِ، إِنَّهُ كُلَّمَا مَضَتْ سَاعَةٌ مِنَ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، يُصَفِّقُ بِأَجْنِحَتِهِ، وَيُزْعِقُ. وَقَالَ صَاحِبُ البُوقِ: إِنَّهُ إِذَا وُضِعَ هَذَا البُوقُ عَلَى بَابِ المَدِينَةِ، يَكُونُ كَالمحَافِظِ عَلَيْهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِي تِلْكَ المَدِينَةِ عَدُوٌّ يَزْعَقُ عَلَيْهِ هَذَا البُوقُ، فَيُعْرَفُ وَيُمْسَكُ بِالْيَدِ، وَقَالَ صَاحِبُ الفَرَسِ: يَامَوْلَايَ إِنَّ مَنْفَعَةَ هَذَا الفَرَسِ أَنَّهُ إِذَا رَكِبَهَا إِنْسَانٌ تُوَصِّلُهُ إِلَى أَيِّ بِلادٍ أَرَادَ. فَقَالَ المَلِكُ: لاَ أُنْعِمُ عَلَيْكُمْ حَتَّى أُجَرِّبَ مَنَافِعَ هٰذِهِ الصُّوَرِ. ثُمَّ أَنَّهُ جَرَّبَ الطَّاوُوسَ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ صَاحِبُهُ، وَجَرَّبَ البُوقَ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ صَاحِبُهُ... فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُجَرِّبَ الفَرَسَ تَقَدَّمَ ابنُ المَلِكِ وَقَالَ: يَاوَالِدِي أَنَا أَرْكَبُ هٰذِهِ الفَرَسَ وَأُجَرِّبُهَا وَأَخْتَبِرُ مَنْفَعَتَهَا .. فَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ الحَكِيمُ إِلَى ابنِ المَلِكِ، وَأَرَاهُ لَوْلَبَ الصُّعُودِ، وَقَالَ لَهُ: افْرُكْ هَذَا اللَّوْلَبَ، فَفَرَكَهُ فَإِذَا بِالفَرَسِ قَدْ تَحَرَّكَ وَطَارَتْ بِابْنِ المَلِكِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَزَلْ طَائِرَةً بِهِ حَتَّى غَابَ عَنِ الأَعْيُنِ .. (*)

الف ليلة وليلة

---

*) ان ما يحكى هنا خيالي ولكن لا يخلو من افكار صائبة ، اليست الساعة الناطقة وآلات الانذار (وبالخصوص الرادار) والطيارات الا وليدة مثل هذه الافكار ؟ ـ ألم يتحقق مثلا اكثر ما جاء في كتاب المؤلف الفرنسي جول فارين؟

الباب الرابع

الفصل السابع

الفنون

قال الرصافي

أَرْقَــى الشُّعُوبِ تَمَدُّناً وَحضَـارَةً

مَـنْ كَانَ في الفُنُـونِ عَريقـاً

إِنَّ مَظَاهِرَ الفَنِّ الإِسْلَامى تَتَجَلَّى فِى أَكْثَرِ القِطَعِ التى تَقَدَّمَتْ وبالخُصُوصِ فِى بَابِ العِمَـارَةِ ، وَلِذَلِكَ اكْتَفَيْنَا هُنَا بِإِيراد عِدَّةِ صُوَرٍ طَرِيفَةٍ لما أَنْتَجَهُ بَعْضُ مَهَرَةِ الصَّنَاعِ ، تَلْبِيَةً لِطَلَبِ غَنِيّ ذِى ذَوْقٍ سَلِيمٍ ، أَوْ إِرْضَاءَ لِنَزْعَةٍ دِينيَّةٍ نَبِيلَةٍ .

146) مباراة بين مصورين

كَانَ اليَازُورِيّ، أَحَد وُزَرَاءِ الفَاطِمِيِّينَ (1)، شَغُوفاً بِالنَّظَرِ إِلَى الصُّوَرِ وَالْكُتُبِ المُزَوَّقَةِ، وَلُوعاً بِالتَّحْرِيضِ بَيْنَ المُصَوِّرِينَ. وَقَدْ حَدَثَ مَرَّةً أَنَّهُ اسْتَدْعَى ابنَ عَزِيزٍ المُصَوِّرِ العِرَاقِيّ لِمُبَارَاةِ المُصَوِّرِ المِصْرِيّ المَعْرُوف بِالقَصِيرِ. فَلَمَّا حَضَرَ الإِثْنَانِ فِي مَجْلِسِهِ، قَالَ ابن عَزِيزٍ : «أَنَا أُصَوِّرُ صُورَةً، إِذَا رَآهَا النَّاظِرُ ظَنَّ أَنَّهَا خَارِجَةً مِنَ الحَائِطِ» . وَقَالَ القَصِيرُ : «أَمَّا أَنَا فَأُصَوِّرُهَا، فَإِذَا نَظَرَهَا النَّاظِرُ ظَنَّ أَنَّهَا دَاخِلَةً فِي الحَائِطِ» . فَقَالَ الوَزِيرُ : «هَذَا أَعْجَبُ» وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَصْنَعَا مَا وعَدَا بِهِ. فَصَوَّرَا صُورَتَيْنِ فِي حَانِيَّتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ ، فَكَانَتْ صُورَةُ القَصِيرِ بِثِيَابٍ بِيضٍ، وَقَدْ دَهَنَ أَكْنِيَّةً(2) بِالسَّوَادِ، فَكَانَتْ كَأَنَّهَا دَاخِلَةً فِيهَا. وَصَوَّرَهَا ابنُ عَزِيزٍ بِثِيَابٍ حُمْرٍ، وَقَدْ جَعَلَ أَكْنِيَّةً صَفْرَاءَ، فَكَانَتْ كَأَنَّهَا خَارِجَةً مِنْهَا. فَاسْتَحْسَنَ اليَازُورِيّ مَهَارَتَهُمَا وَخَلَعَ عَلَيْهِمَا، وَوَهَبَ لَهُمَا كَثِيراً مِنَ الذَّهَبِ .



---

1) الفاطميون : هم اصحاب الدعوة الشيعية الذين قاموا بالمغرب وفتحوا مصر فحكموها نحو القرنين (909 – 1171م) .

2) اكنية ج كن : وقاء كل شيء وستره، واكتننت المراة غطت وجهها حياء من الناس .

*) انظر كتاب : «التصوير في الاسلام» للدكتور زكي مبارك محمد حسن (مصر 1936) .

147) قلم الحبر «سنبلو»

قَالَ القَاضِى النُّعْمَان بنُ مُحَمَّد بنُ مَنْصُورٍ: ذَكَرَ الإمَامُ المعِزُّ لِدِينِ اللّٰهِ(1) القَلَم، فَوَصَفَ فَضْلَهُ، وَرَمَزَ فِيهِ بِبَاطِنِ (2) العِلْمِ، ثُمَّ قَالَ: «نُرِيدُ أَنْ نَعْمَلَ قَلَماً نَكْتُبُ بِهِ بِلَا اسْتِمْدَادٍ مِنْ دَوَاةٍ، يَكُونُ مِدَادُهُ فِى دَاخِلِهِ، فَمَتَى شَاءَ الإِنْسَانُ كَتَبَ بِهِ فَأَمَدَّهُ، وَكَتَبَ بِهِ فَأَمَدَّهُ، وَكَتَبَ بِهِ مَا شَاءَ، فَإِنْ تَرَكَهُ ارْتَفَعَ المِدَادُ وَكَانَ القَلَمَ نَاشِفاً مِنْهُ، يَجْعَلُهُ الكَاتِبُ فِى كُمِّهِ أَوْ حَيْثُ شَاءَ فَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَلَا يرشح شَىء مِنَ المِدَادِ عَنْهُ، وَ لَايَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ مَا يَبْتَغِى مِنْهُ، وَيُرَادُ الكِتَابَةَ مِنْهُ، فَيَكُونَ آلَةً عَجِيبَةً لَمْ نَعْلَمْ أَنَّنَا سُبِقْنَا إِلَيْهَا، وَدلِيلًا عَلَى حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا وَعَرَفَ وَجْهَ المَعْنَى فِيهَا» فَقُلْتُ: «وَيَكُونَ هَذَا يَامَوْلَانَا عَلَيْكَ سَلَامُ اللّٰهِ(3)؟» قَالَ: «يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ». فَمَا مَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِل، حَتَّى جَاءَ الصَّانِعُ الذى وَصَفَ لَهُ الصَّنْعَةَ، بِالْقَلَمِ مَعْمُولاً مِنْ ذَهَبٍ، فَأَوْدَعَهُ المِدَادَ، وَكَتَبَ بِهِ فَكَتَبَ، وَزَادَ شَيْئاً مِنَ المِدَادِ عَلَى مِقْدَارِ الحَاجَةِ. فَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ شَىءٍ مِنْهُ فَأَصْلَحَهُ وَجَاءَ بِهِ، فَإِذَا هُوَ قَلَمٌ يُقَلَّبُ فِى اليَدِ وَيَمِيلُ إِلَى كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَلَا يَبْدُو مِنْهُ شَىء مِنَ المِدَادِ. فَإِذَا أَخَذَهُ الكَاتِبُ وَكَتَبَ بِهِ، كَتَبَ أَحْسَنَ كِتَابٍ مَا شَاءَ أَنْ يَكْتُبَ بِهِ، ثُمَّ إِذَا رَفَعَهُ عَنِ الكِتَابِ أَمْسَكَ المِدَادَ.

---

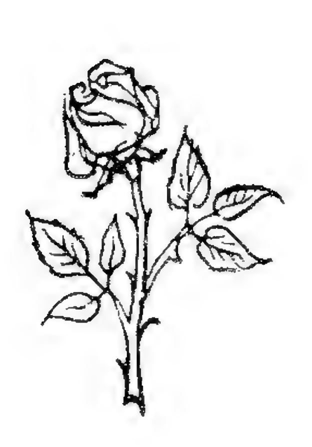
1) المعز لدين الله: هو الخليفة الفاطمى الرابع – فى عهده فتحت مصر وبنيت القاهرة وجامعتها الازهر. مات سنة 365هـ. 975 م
انظر القطعة السابقة (الفاطميين).

2) باطن العلم : ان الشيعة ومنهم الفاطميون باطنية (انظر قطعة رقم 103)

3) قال الوزير «يامولانا عليك سلام الله» : لانه يخاطب خليفة من سلالة النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا كان يدعى لائمة الشيعة .

فَرَأَيْتُ صَنْعَةً عَجِيبَةً لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنْ أَرَى مِثْلَهَا، وَتَبَيَّنَ فِيهِ مَثَلُ حَسَنٍ فِي أَنَّهُ لَا يَسْمَحُ بِمَا عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ طَلَبَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَلَا يَجُودُ لِغَيْرِ مُبْتَغٍ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ مَا يَضُرُّ فَيَلَطِّخُ يَدَ مَنْ يمسكهُ أَوْ ثَوْبَهُ أَوْ مَا لَصَقَ بِهِ. فَهُوَ نَفْعٌ لَا ضَرَرٌ وَجَوَادٌ لِمَنْ سَأَلَ، وَمُمْسِكٌ عَمَّنْ لَمْ يَسْأَلْ» .

عن مخطوط بالقاهرة «المجالس والمسامرات»
للقاضي النعمان ـــ ذكرته الاذاعة المغربية



148) المقصورة والمنبر « الاتوماتيكيات »

لما بنى الخليفة عبد المومن (1) مسجده بمراكش، صنع فيه ساباطا (2) يدخل من القصر إليه، ومنه إلى الجامع لا يطلع عليه أحد. ونقل إليه منبرا عظيما، كان قد صنعه بالأندلس، في غاية الإتقان، قطعاته عود وصندل أحمر وأصفر، وصفائحه من الذهب والفضة. وصنع مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من ألف رجل. وكان المتولي لصنعها رجل من أهل مالقة، يقال له الحاج يعيش، وهو الذى ابتنى جبل الفتح على ما هو عليه الآن، في مدة الخليفة عبد المومن بن علي. وكيفية هذه المقصورة أنها وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله، وذلك أنه صنع على يمين المحراب باب داخله المنبر، وعن يساره باب داخله دار فيها حركات المقصورة والمنبر . وكان دخول عبد المومن وخروجه منها. فكان إذا قرب وقت الرواح إلى الجامع، يوم الجمعة، دارت الحركة بعد رفع البسط عن موضع المقصورة، فتطلع الأضلاع في زمان واحد، لا يفوت بعضها بعضا بدقيقة، وكان باب المنبر مسدودا، فإذا قام الخطيب ليطلع إليه انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة، ولا يسمع له حس ولا يرى تدبيرها. يقول فيها الكاتب أبو بكر بن مجير الخميرى الفهرى من قصيدة طويلة : (كامل)

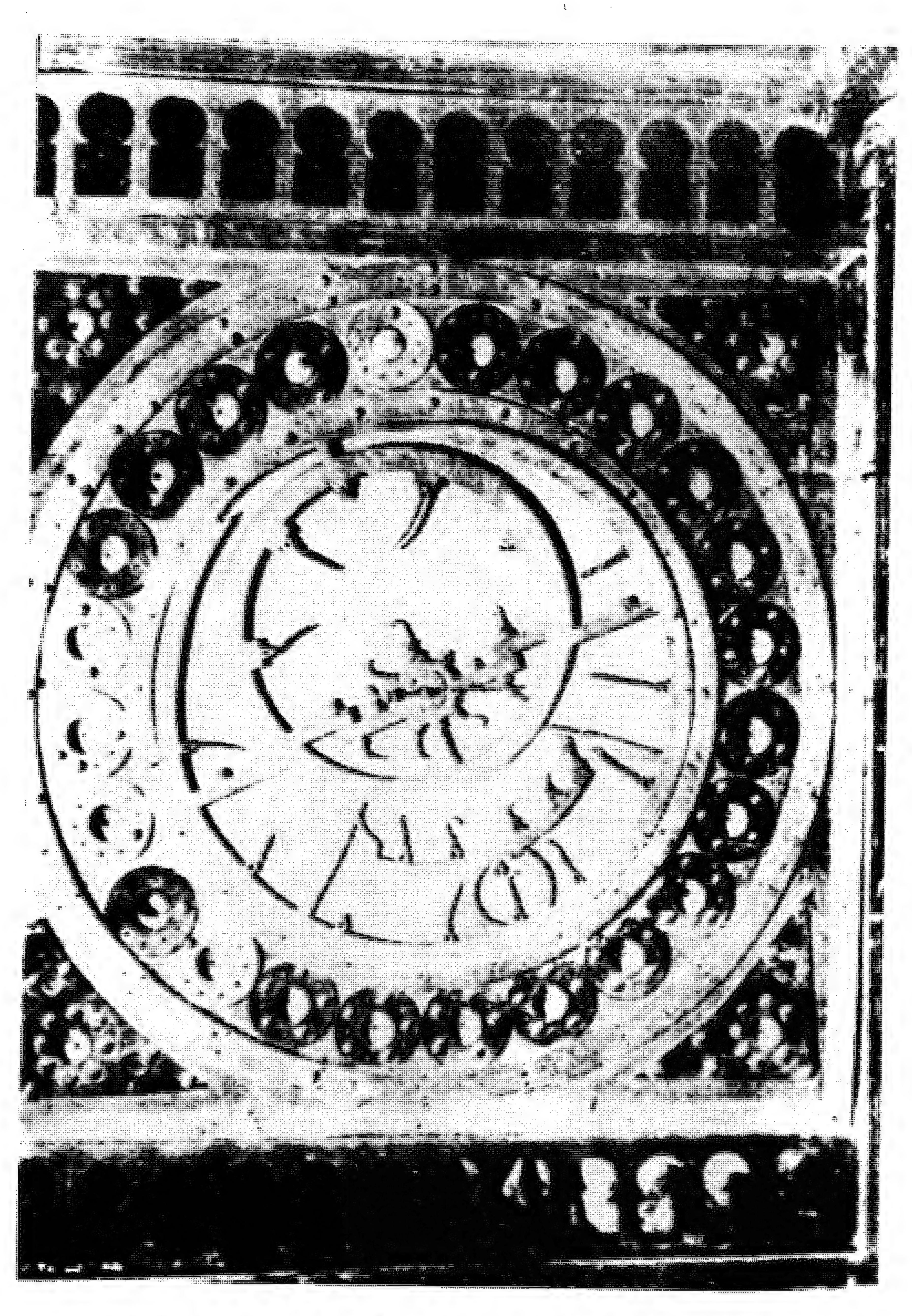
طورا تكون بمن حوته محيطة ... فكأنها سور من الأسوار
وتكون طورا عنهم مخبوءة ... فكأنها سر من الأسرار
وكأنها علمت مقادير الورى ... فتصرفت لهم على مقدار
فإذا أحست بالأمير يزورها ... في قومه، قامت إلى الزوار
يبدو، فتبدو، ثم تخفى بعده ... فتكون كالهالات للأقمار

الحلل الموشية

---

1) عبد المومن تقدمت ترجمته قطعه 73

2) ساباط : مجاز مسقف ـ ويقال باللغة العامية «صابة».



الاسطرلاب المرتبطة بالساعة المائيه التى تعتبر أقدم ساعة من نوعها فى العالم
(القرويين - فى عهد بنى مرين)

149) شاسبات مسجد دمشق

وَعَنْ يَمِينِ الخَارِجِ مِنْ بَابِ جِيرُونَ فِي جِدَارِ البلَاطِ الذِي أَمَامَهُ، غُرْفَةٌ وَلَهَا هَيْئَة طَاقٍ كَبِيرٍ مُسْتَدِيرٍ، فِيهِ طِيقَانُ صُفْرٌ قَدْ فتحتْ أبْوَاباً صِغَاراً عَلَى عَدَدِ سَاعَاتِ النَّهَارِ، وَدُبِّرَتْ تَدْبِيراً هَنْدَسِياً، فَعِنْدَ انْقِضَاءِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، تَسْقُطُ صَنْجَتَانِ مِنْ صُفْرٍ مِنْ فَمَيْ بَازِيَيْنِ مُصَوَّرَيْنِ مِنْ صُفْرٍ، قَائِمِينَ عَلَى طَاسَتَيْنِ مِنْ صُفْرٍ، تَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، أَحَدُهُمَا تَحْتَ أَوَّلِ بَابٍ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ وَالثَّانِي تَحْتَ آخِرِهَا، وَالطَّاسَتَانِ مَثْقُوبَتَانِ، فَعِنْدَ وُقُوعِ البُنْدُقَتَيْنِ فِيهِمَا تَعُودَانِ دَاخِلَ الجِدَارِ إِلَى الغُرْفَةِ، وَتُبْصِرُ البَازِيَيْنِ يَمُدَّانِ أَعْنَاقَهُمَا بِالبُنْدُقَتَيْنِ إِلَى الطَّاسَتَيْنِ، وَيَقْذِفَانِهِمَا بِسُرْعَةٍ، بِتَدْبِيرٍ عَجِيبٍ تَتَخَيَّلُهُ الأَوْهَامُ سِحْراً. وَعِنْدَ وُقُوعِ البُنْدُقَتَيْنِ فِي الطَّاسَتَيْنِ يُسْمَعُ لَهَا دَوِيٌّ، وَيَنْغَلِقُ البَابُ الذِي هُوَ لِتِلْكَ السَّاعَةِ لِلْحِينِ بِلَوْحٍ مِنَ الصُّفْرِ، لَا يَزَالُ كَذَلِكَ عِنْدَ انْقِضَاءِ كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ حَتَّى تَنْغَلِقَ الأَبْوَابُ كُلُّهَا، وَتَنْقَضِي السَّاعَاتُ، وَتَعُودَ إِلَى حَالِهَا الأَوَّلِ !

وَلَهَا بِاللَّيْلِ تَدْبِيرٌ آخَرُ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي القَوْسِ المُنْعَطِفِ عَلَى تِلْكَ الطِّيقَانِ المَذْكُورَةِ، اثْنَتَيْ عَشْرَةَ دَائِرَةً مِنَ النُّحَاسِ مُخَرَّمَةً، وَتَعْتَرِضُ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ زُجَاجَةٌ مِنْ دَاخِلِ الجِدَارِ فِي الغُرْفَةِ، مدبّر ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْهَا خَلْفَ الطِّيقَانِ المَذْكُورَةِ، وَخَلْفَ الزُّجَاجَةِ مِصْبَاحٌ يَدُورُ بِهِ المَاءُ عَلَى تَرْتِيبِ مِقْدَارِ السَّاعَةِ. فَإِذَا انْقَضَتْ عَمَّ الزُّجَاجَةَ ضَوْءُ المِصْبَاحِ ، وَفَاضَ عَلَى الدَّائِرَةِ أَمَامَهَا شُعَاعُهَا، فَلَاحَتْ لِلأَبْصَارِ دَائِرَةً مُحْمَرَّةً، ثُمَّ انْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى أُخْرَى، حَتَّى تَنْقَضِيَ سَاعَاتُ اللَّيْلِ وَتَحْمَرَّ الدَّوَائِرُ كُلُّهَا .

وَقَدْ وُكِّلَ بِهَا فِي الغُرْفَةِ مُتَفَقِّدٌ لِحَالِهَا، دَرِبٌ بِشَأْنِهَا وَانْتِقَالِهَا يُعِيدُ فَتْحَ الأَبْوَابِ وَصَرْفَ الصَّنْجِ إِلَى مَوْضِعِهَا وَهِيَ التِي يُسَمِّيهَا النَّاسُ المِنْجَانَةَ.

رحلة ابن جبير ص 249

150) مأدبة طريفة في دار ظريفة

كَانَ بِبَغْدَادَ دَارٌ قَدِيمَةٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ المُلوكِ ، مُعَظَّمَـةٌ فِى نُفُوسِهِمْ ، يَجْتمِعُ فِيهَا دِجْلَةُ وَالفُرَاتُ. فَعَمَّرَهَا الوَزِيرُ أَبُو الفَضْلِ العَبَّاسُ بن الحُسَيْن بنْ عَبدِ اللّهِ بنُ فَاخِر، وَانْتَهَى خَبَرُهَا إِلَى أَحْمَد بنْ بُوَيه (1)، فَأَحَبَّ النَّظَرَ إِلَيْهَا. فَاصْطَنَعَ لَهُ أَبُو الفَضْلِ طَعَاماً، وَرَتَّبَ النَّاسَ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ، وَفَرَشَ مَجَالِسَهَا وَقِبَابَهَا وَمحَالَهَا وَرِحَابَهَا بِأَلْوَانِ الفَرْش، وَأَصْنَافِ الأَمْتِعَةِ مِنَ الدِّيبَاجِ السُّنْدسِى المَنْسُوجِ لَهَا بِقَدْرِ أُطْوَالِهَا وَأَعْرَاضِهَا، المُثَقَّلِ بِالذَّهَبِ، وَالأَرْمنِى الرَّفِيعِ عَلَى أَصْنَافِهِ ، وَالخزّ المَقْطُوعِ المَرْقُومِ المُثَقَّلِ بِالذَّهَبِ عَلَى أَجْنَاسِهِ وَأَلْوَانِهِ، وَالمَحْفُورِ الدجلِى القَدِيمِ، وَالمَحْفُورِ الأَرْمِنِى، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الفَرْشِ مِمَّا أَحْدَثَهُ العِرَاقِيُّونَ .

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى حِينِ طِيبِ الزَّمَانِ، وَاجْتِمَاعِ خَيْرَاتِ كُلِّ أَوَان، فِى زَمَنِ الوَرْدِ، وَوَقْت النَّيرُوز الفَارِسى (2)، وَهُوَ حِينَ تَكَامُلِ النَّبْتِ، وَزِيَادَة المِيَاهِ، وَطلُوعِ الثِّمَارِ، وَزَهْرِ الأَشْجَارِ . وَاصْطَنَعَ فِى البُسْتَانِ الأَعْظَمِ عَلَى البِرْكَةِ، التِى يَجْتَمِعُ بِفِنَائِهَا دِجْلَةُ وَالفُرَاتُ، قَصْراً مَبْنِياً مِنَ السُّكَّرِ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ، بِأَبْوَابٍ تَدُورُ بِهِ، وَأَبْوَاب تغْلقُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقِهَا طَبَقَة فَطَبَقَة، تَطْلُعُ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ صُوَرٌ مِنَ السُّكَّرِ عَلَى هَيْئَةِ الجَوَارِى وَالغِلْمَانِ، بِصُنُوفِ المَلاَهِى فِى أَحْسَنِ المَلاَبِسِ وَالحُلَلِ، وَجَعلَ عَلَى شُرُفَاتِهَا وَطَبَقَاتِهَا وَحَنَايَاهَا، أَنْوَاعُ الطَّيْرِ

1) احمد بن بويه: هو امير الامراء معز الدولة الديلمى — دخل بغداد ايام الخليفة المستكفى اى سنة 334 هـ. 945 م. وكان يلقب بالسلطان

2) النيروز : والنوروز : عند الفرس ، اول يوم من السنة الشمسية وهو يوم تقام فيه الافراح وتقدم فيه الهدايا للاكابر وللاصدقاء

وَالحَيَوَانِ وَالوُحوشِ، وَجَعَلَ مِنْ وَرائِهَا رِجَالاً تَنْفخُ بِالبُوقَاتِ وَالمزَامِيرِ، كُلّ صِنْفٍ يَخْرُجُ مِنْهُ صَوْتٌ يَليقُ بِصُورَتِهِ صَوْتٌ مِثْلُهُ، وَكُلّ ذَلِكَ مِنَ السُّكّرِ المُمَوّهِ بِصُنُوفِ الأصْبَاغِ وَالنُّقُوشِ وَالذَّهَبِ. ثُمّ نَصَبَ القِيَّانَ (3) وَأَصْحَابَ المَلاهِي عَلَى طَبَقَاتِهِمْ، مُتَصَدِّرِينَ فِى تِلْكَ المجَالِسِ. وَحَضَرَ أَحْمَد بنُ بُوَيه، وَوُلْدُهُ بخْتيَّار وَإِبْرَاهِيم وَمُحَمَّد ، كُـلٌّ مِنْهُمْ فِى قُوّادِهِ وَجُنْدِهِ وَكُتّابِـهِ وَوُجوهِ رِجَالِهِ وَحَاشِيَتِهِ، وَأَمَرَ بِعَرْضِ دِجْلَة، فَمُدّ مِنْ جَانِبِهَا الغَرْبِى، الذِى هُوَ الرُّكْنُ المجْتَمَعُ فِيهِ دِجْلَةُ وَالفُرَاتُ ، إِلَى الجَانِبِ الشَّرْقِىّ الذِى بِإِزَائِهِ حَبْلٌ مَفْتُولٌ ، وَنثرَ عَلَى المَاءِ مِنَ الوَرْدِ مَا غَطّى دِجْلَة مِنَ الجَانِبِ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ، إِلاّ مَا خَرَقَتْهُ أَنْوَاعُ المرَاكِبِ مِـنَ الطّيَارَاتِ وَالزَّلاّلاتِ وَالحَدِيدِيّاتِ وَالدّبَارِبِ وَالسّمَارِيَاتِ التِى رَكِبَهَا أَحْمَد وَأَصْحَابُهُ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ العَامّةِ.. وَصَارَ ذَلِكَ الوَرْدُ مُسْتَقْبِلَ المُنْحَدِرَ إِلَى الدّارِ يَمْنَعهُ الحَبْلَ مِنَ الجَرْىِ مَعَ المَاءِ مِنْ تَحْتِهِ .

ثُمّ تَلَقّى أَحْمَد وَبَنِيهِ بِمَا أَعَدّ لَهُمْ مِنَ الكَرَامَةِ وَالحبَاءِ، فَكَانَ مِنْ صُنُوفِ ذَلِكَ دَنَانِيرَ، وَدَرَاهِمَ ضَرَبَهَا، فِى كُلّ دِينَارٍ مِنْهَا وَدِرْهَم خَمْسَة دَنَانِيرَ وَخَمْسَة دَرَاهِمَ، عَلَيْهَا صُنُوفُ الصُّـوَرِ، فِى أَوَانِى الذّهَبِ وَالفِضّةِ، وَأَنْوَاعِ البَـزّ مِنْ صُنُوفِ الحرِيرِ وَالنّسِيجِ وَالخَـزّوَأَصْنَافِ المتَاعِ، وَأَعَدّ مِنَ الخَيْلِ وَالمرَاكِبِ وَالغِلْمَانِ بِصُنُوفِ المَلاَبِسِ بِقَدْرِ مَا يَقْتَضِيهِ مَا قَدّمْنَا ذِكْرَهُ .

ثُمّ أَخَذَ فِى إِطْعَامِ الجَمِيعِ حَتّى عَمّ سَائِرَهُمْ، صَغِيرَهُمْ وَكَبِيرَهُمْ، إِلَى أَنْ وَصَلَ ذَلِكَ بِأَصْحَابِ السُّفُنِ، فَأَتَى عَلَى سَائِرِهِمْ طَعَاماً وَشَرَاباً .

ثُمّ أَهْدَى لِكُلٍّ عَلَى قَدْرِهِ الأَوَانِى وَالدَّوَابَ وَالمرَاكِبَ وَالحُلَلَ ، وَأَمَـرَ بِنَهْبِ القَصْرِ السُّكّرِ فَنَهَبَـهُ الحَشَمُ وَالغِلْمَانُ وَالعَامة حَتّى أَتَوْا عَلَى آخِرِهِ .

ذيل زهر الآداب ص 277

---

3) القيان : قينة وهى الجارية المغنية .

دراسات وكتب للمؤلف

أ) بالفرنسية :

1) الصداق والجهاز فى المغرب .
(المجلة الافريقية – الجزائر 1942)

2) « ميزانية » الموظف المغربى الصغير .
(المجلة الاقتصادية – بالمغرب 1938)

3) الهدايا فى البلاد الاسلامية .
(مجلة ادارة التعليم – 1949 – 1950)

ب) ترجمة :

1) من العربية للفرنسية :
رسالة الكندى من كتاب البخلاء (مجلة ادارة التعليم 1949)

2) من الفرنسية للعربية :
التربيـة الوطنيـة للنساء (تأليف الآنسة هـ. سورجان – نشر اللجنة الوطنية لليونسكو 1959) .

ج) بالعربية :

1) ملخصات فى تاريخ الدول الاسلامية .

2) المطالعة الثقافية للمدارس الثانوية التقنية – ثلاثة أجزاء بالمشاركة مع أساتذة من البعثة التعليمية للج. ع. م.

3) القراءة الثقافية للمدارس الثانوية 3 أجـزاء – بالمشاركة مـع أساتذة من البعثة الثقافية للج. ع. م.

4) القراءة التوجيهية لاقسام الملاحظة – بالمشاركة مـع الاستاذين محمد الاخضر ومحمد حمدانى .

5) دراسات أدبية : رسالة الكندى – رسالة الصحابة – فصول عن رسالة الغفران – بالمشاركـة مـع الاستاذين : عمر الدسوقى ومحمد الصادق عفيفى .

ملاحظـــة

لقد تسربت أغلاط عـــدة في النصوص أثناء شكلها ولم يتأت للمؤلف تصحيحها فمعذرة .

هذا الكتاب

ليس بحثا جديدا في الحضارة الاسلامية وتاريخ أطوارها وانما هو «شريط» **صور ومشاهد ونصوص أدبية** انتخبت من مصنفات ألفها علماء أفذاذ ومؤرخون أمجاد ونسقت تنسيقا يشخص تلك الحضارة ومقوماتها بكيفيه حية ناطقة ...**صور ومشاهد** لالوان وضروب من النشاط السياسي والفكري والفني ، في مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها خلال عصورها الزاهرة ، عقول واعية متيقظة ، عواطف نبيلة متفتحة ، أيدي منجزة منشئة .

...**صور ومشاهد** تتيح للقارىء تقدير ما جادت به قرائح المسلمين في خدمة الانسانية وتفهم ما قدمه أسلافنا الكرام للركب البشري من عقائد صافية ومبادىء سامية ومثل عليا ومآثر حميدة .

...**صور ومشاهد** تحفز ذوي الهمم العالية على العمل الخلاق لربط ماضينا الزاهر بمستقبل تتفتح فيه الملكات الطيبة ، والقيم الروحية الكريمة وتنتشر فيه رايات السلام والاطمئنان .

مطابع دار الكتاب ــ الدار البيضاء